

الموضوع

تشبيه التمثيل وأثره في بلاغة
الكلام في الموروث العربي
- عبد القاهر الجرجاني نموذجاً -

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في إطار مشروع
البلاغة العربية بين التطور والتجديد

تحت إشراف

أ.د / قدور إبراهيم عمار

إعداد الطالب

مختاري يحيى

لجنة المناقشة

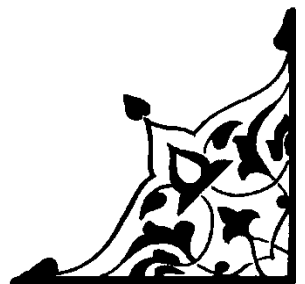
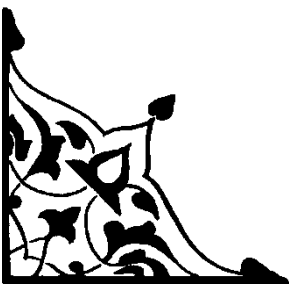
| | | |
|------------------------|----------------|-------------|
| أ.د. إسطنبول ناصر | رئيساً | جامعة وهران |
| أ.د. قدور إبراهيم عمار | مشرفاً ومقرراً | جامعة وهران |
| أ.د. محمد بن سعيد | مناقشاً | جامعة وهران |
| أ.د. مختاري خالد | مناقشاً | جامعة وهران |

2012 / 2011



الإهداء

إلى الوالدين الكريمن - حفظهما الله، ورحمهما كما ربياني
صغيرا... وإلى معلّمي النَّاسِ الخَيْرِ... وإلى كل غيورٍ على القرآن
ولغة القرآن، حريصٍ عليهما، مُنَافِحٍ عنهما... إلى أولئك جميعا....
أهدي هذا العمل المتواضع



كلمة شكر

بعد شكر الله - سبحانه - الذي هو صاحب الفضل على
العالمين.... أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ الجليل والوالد الكريم
، صاحب الفضل علينا - بعد الله - في إنجاز هذا العمل،
الأستاذ الدكتور: قدور إبراهيم عمّار - حفظه الله ومنتّعه بالصحة
والعافية - آمين..... ثمّ الشكر موصول لكلّ من أعان - ولو بكلمة
طيّبة... ونعمًا هي.

مقدمة

الحمد لله الرحيم الرحمن، الذي علم القرآن، وخلق الإنسان، وعلمه البيان... سبحانه العليم الخبير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾¹ والصلاة والسلام على البشير النذير، الذي ليس له في الفصاحة - من الورى - نظير ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾²... وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين... أما بعد:

فإن التشبيه من أبلغ أساليب البيان و فنونه، وأحسن طرق التصوير، وأشدّها تأثيراً، وأبلغها أثراً في النفوس... ولأمر ما شغفت به العرب، وأكثرت منه في كلامها منثوره ومنظومه، وعدته من محاسنه وكمالاته... ذلك لأنها وجدت فيه وسيلة إلى حسن الإيضاح والبيان، والتأثير في النفوس والعقول، والتقريب بين الأشياء المتباعدة، والتأليف بين الأشياء المتنافرة... بأخصر عبارة وأوجز إشارة. ومن اطلع على كلام العرب، وتأمل التشبيهات الماثورة عنها، وقف على الكثير من محاسنه، وأدرك سبب حسنه ورفعة شأنه...

وأما تشبيهات القرآن فهي آية في البلاغة والجمال، يعجز عن الإتيان بمثلها الأنام، وتقتصر عن الإحاطة بأسرارها الأفهام... وتأتي بعدها - في البلاغة والحسن - تشبيهات السنة النبوية، ثم تلك الماثورة عن بلغاء العرب من خطباء و شعراء وكتاب...

هذا وإن الناظر في كلام العرب، وما أثر عنهم من تشبيهات، ليدرك أنها ليست في درجة واحدة من البلاغة وقوة التصوير و التأثير... فبعضها أبلغ من بعض، وأقوى و أشد تأثيراً في نفوس السامعين.

¹ سورة الشورى، الآية 11.

² سورة النجم، الآية 3-4.

وقد نصّ كثير من علماء البلاغة على أن التشبيه كلما كان خفياً بعيداً عن الأذهان، يحتاج في استخراجهِ إلى تدقيق نظر، و طول تأمل، وإعمال فكر... كان أبلغ و أشد تأثيراً في النفس. و " تشبيه التمثيل " قد حاز من تلك الصفات النصيب الأوفر، فكان أبلغ من غيره...

وقد شغفت بهذا الفن البديع من فنون التشبيه لما تقدم ذكره، فكان ذلك داعياً إلى اختياره ليكون موضوع البحث، ولأسباب أخرى: أهمها الشعور بالحاجة إلى بسط القول أكثر في هذا الفن؛ ليمس جوانب أغفلها من بحثوا فيه-على قلة تلك البحوث، أو أشاروا إليها إشارات هي عبارة عن أحكام عامة تفتقر إلى إقامة الدليل...

وقد قوى ذلك الداعي في نفسي أنني لما أطلعت أستاذنا الكريم الأستاذ الدكتور قدور عمّار إبراهيم على اختياري، شجعني و صوب ذلك الاختيار، وأرشدني ناصحاً إلى أن أربط دراستي له بالموروث العربي، وأن أختار نموذجاً لتلك الدراسة علماً من أعلام البلاغة العربية، ممن وقوا ذلك الفن حقّه، فصادف ذلك هوى في الفؤاد، وكان العلم المختار- بلا تردد -شيخ البلاغة العربية ومحقق علومها: أبا بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني (ت: 471 هـ)... فكان عنوان البحث كالتالي:

تشبيه التمثيل وأثره في بلاغة الكلام في الموروث العربيّ

– عبد القاهر الجرجانيّ نموذجاً –

وتهدف هذه الدراسة إلى أمور، أهمها :

- أولاً: تحقيق القول في ذلك الفن البديع، وذلك ببيان حقيقته و معناه، و أثره في بلاغة الكلام

وأداء المعنى.

- ثانيا: الوقوف على أوليته في الموروث العربي، كيف نشأ، ثم كيف نما وتطور، و معرفة الأعلام الذين كان لهم أثر في نموه و ازدهاره، والكشف عن أسرارهم...

- ثالثا : بيان جهود عبد القاهر الجرجاني الخاصة في تحديد معالم ذلك الفن، ورفع قواعده، ومقدار تلك الجهود ومدى تأثيره- في دراسته- بالسابقين، و تأثيره في اللاحقين...

ولا شك أن تحقيق هذه الأهداف يتطلب منا اتباع منهج تاريخي، وآخر وصفي تحليلي _ فالأول يفيدنا في الوقوف على أولية فن تشبيه التمثيل، وتتبع مراحل نشأته وتطوره... والثاني يساعدنا في وصف ذلك الفن، وبيان حقيقته ومعناه، وتحليل شواهد...

وأما فيما يخص الخطة المتبعة في تقسيم البحث، فقد وضعت على نحو يحقق الأهداف المرجوة، والتي سبق ذكرها - فقسّمنا البحث إلى مقدمة، ومدخل، وثلاثة فصول، وخاتمة... كالتالي:

- المقدمة :

- المدخل : وقد تناولنا فيه الحديث - بإيجاز- عن بعض المسائل التي لها علاقة بالفن المدرّس- فعرضنا للصورة البيانية، وما يرتبط بها من عناصر كالخيال والتخييل، ولعلاقتها بالنظم، كما عرضنا للتشبيه ومنزلته وفوائده، وأنه درجات في الحسن والبلاغة وقوة التصوير والتأثير؛ لنخلص إلى بيان فضيلة "التمثيل".

- الفصل الأول : تحدثنا فيه عن " تشبيه التمثيل " عند السابقين حتى عصر عبد القاهر الجرجاني، ونعني بهم الأعلام الذين سبقوه، والذين عاصروه وتوقوا قبله، مع التركيز على من وردت عندهم كلمة "تمثيل " ؛ لنقف على دلالاتها عندهم .

- الفصل الثاني : وكان القصد من وراء عقده تجلية حقيقة "تشبيه التمثيل"، وبيان معناه، وقد اضطررنا ذلك إلى بيان اختلاف مذاهب علماء البلاغة في "التمثيل"، مع التركيز على بيان آراء ثلاثة منهم دوت شهرتهم في الآفاق، وصاروا الأئمة المتبوعين الذين لا يصدر العلماء- في البلاغة- إلا عن آرائهم...

ونعني بهم : عبد القاهر الجرجاني، وأبو يعقوب السكاكي، والخطيب القزويني . . كما قصدنا إلى إبراز أثر تشبيه التمثيل في بلاغة الكلام وأداء المعنى، والكشف عن أهم أسرارهم... ولأن المقال يتضح بالمثل؛ فقد عرضنا- بالتحليل- لبعض أمثله ونماذجه من الكلام البليغ : من القرآن الكريم، والحديث الشريف، وأشعار العرب.

- الفصل الثالث : وقد خصصناه للحديث عن آراء عبد القاهر الجرجاني الخاصة في "تشبيه التمثيل

"، وبيان جموده في رفع دعائمه وتحديد معالمه، وإبراز أثره في المعاني والنفوس، وكذا بيان مدى تأثره - في دراسته - بالسابقين، وتأثيره في اللاحقين .

- الخاتمة : وقد عرضنا فيها أهم نتائج البحث المستخلصة .

ولعلّ من محاسن هذه الخطة؛ أنّها تستوعب - تقريباً- جميع جوانب القول في فنّ تشبيه التمثيل،

وتعطي القارئ تصوّراً شاملاً عن الموضوع...

وبعد... فهذا جهد المقلّ تقدّمه لإخواننا القراء، إن كنا قد أحسنا فيه ووقفنا للصواب - فذلك ما

نرجوه، وإلا... فحسبنا أنّنا قد بذلنا ما في وسعنا، والنقص ملازم لعامة البشر، وقد أوى الله الكمال إلا لكتابه.

الجمعة 17 جادى الآخرة 1432هـ الموافق ل20ماي 2011

يحي مختاري

مدخل

لقد عرّف علماء البلاغة المتأخرون البيان بأنه: «علم يعرف به كيفية أداء المعنى بطرق وأساليب مختلفة؛ بعضها أوضح في الدلالة من بعض... فالمعنى الواحد يستطاع أداءه بطريق من طرق التشبيه أو الاستعارة أو المجاز أو الكناية....»

"وقد اتجه الدارسون المحدثون إلى استخدام مصطلح الصورة المجازية أو الصورة البيانية بدلا من علم البيان... وتقوم الصورة البيانية على استحداث علاقة بين الدلالة الوضعية، كدلالة النهر على المجرى المائي، وبين صفة ما؛ كدلالة النهر على الكرم؛ التي هي دلالة مجازية؛ لأنها تتجاوز ما تواضع عليه أهل اللغة للنهر. فهم قد افترضوا في النهر صفة إنسانية هي صفة الكرم، حيث رأوا أنفسهم يأخذون منه الماء الذي هو مصدر للحياة، وحملوه صفتهم، وافترضوا له بعض خصائصهم... فالصورة تمثل إعادة صياغة، أو تشكيل خيالي للواقع بما تضيفه أو تستحدثه من علاقات وإشارات ورموز..."³

وقد "لقيت الصورة البيانية احتفالا شديدا من جانب البلاغيين القدماء والمعاصرين، لما لها من تأثير حيوي في مجال التعبير وتأثيره في نفس المتلقي من ناحية، وكثرة استخدامها في التراث الأدبي شعرا ونثرا من ناحية أخرى. ولهذا نجد البلاغيين منذ القرن الثالث الهجري ينتهون إلى التعبير البياني في الأسلوب الأدبي فيرصدونه، ويدرسون مباحثه، ويؤصلون قضاياها..."⁴

ويمكن تعريف الصورة البيانية بأنها: " تلك الظلال والألوان التي تخلعها الصياغة على الأفكار والمشاعر، وهي الطريق الذي يسلكه الشاعر والأديب لعرض أفكاره وأغراضه عرضا أدبيا مؤثرا، فيه طرفة ومنتعة وإثارة " ⁵

³ حسني عبد الحليل يوسف: "التصوير البياني بين القدماء والمحدثين" / دار الافاق العربية / القاهرة / بدون تاريخ / ص 8، 9.

⁴ عبد الفتاح عثمان: "التشبيه والكناية" / مكتبة الشباب / مصر / 1993 / ص 3

⁵ صلاح الدين عبد التواب: " الصورة الأدبية في القرآن الكريم " / الشركة المصرية العالمية للنشر- لونغمان / مصر / ط1: 1995 / ص

ومعلوم أن مقياس الجودة الأدبية هو مدى تأثير الصورة البيانية في نفوس متذوّقيها، بما جمعت في إطارها من سموّ المعاني، وبلاغة الألفاظ، وروعة التناسق، ودقة النظم، وحسن إيقاع الكلام، إلى غير ذلك مما يبلغ تأثيره في النفوس كل مبلغ...⁶

وإذاً "فليست كل صورة جديرة بأن تميّ ذوقاً أدبياً رفيعاً، أو تعتبر فناً قولياً أصيلاً، وإنما فقط- تلك الصورة الحية النابضة، والمتحركة الشاحصة التي تترك أثرها يتعمق المشاعر ويهز الوجدانيات. فإذا مضت تلك الصورة وانقضت، أو إذا أغمضت العيون دونها، فإنها تبقى حية ما ثلة بجملتها في الفكر والوجدان، ولا تزال تهيم بها النفوس، وتنفعل لها المشاعر والأحاسيس... ومما لاشك فيه؛ أن جمال التصوير وروعة البيان، وراء كل تأثير تحدثه الصورة الأدبية في النفوس..."⁷

وعند الحديث عن الصورة وتأثيرها، يبرز مصطلحان مهمان لهما ارتباط وثيق بالصورة البيانية، وهما الخيال والتخييل...

- فالخيال كعنصر من عناصر الصورة، هو تلك القوة النفسية التي يستطيع بها الأديب أن يعرض أدبه في صورة قوية مؤثرة، وذلك بتصوير حقيقة الشيء حتى يتوهم أنه ذو صورة تشاهد...⁸

ودور الخيال في الأسلوب الأدبي أمر جوهري وحيوي، وقد أبان عن ذلك النقد الحديث، فلم تعد مهمة الخيال قاصرة على استعادة المدركات الحسية التي غابت عن مجال الإدراك المباشر وإنما تجاوزت محمته هذه الناحية لتصل إلى القدرة الفاعلة النشيطة التي تتعامل مع الواقع بحرية فتتفاعل معه بالتجزئة والتركيب والحذف والإضافة، بل تخاطه خلقاً جديداً كأننا نراه لأول وهلة.⁹

فالأديب ينظر بعين الخيال نظرة خاصة متفردة، يرى بها الناس والأشياء رؤية مميّزة، تتيح له الكشف عن العلاقات المتشابكة، والروابط الخفية، والمعاني القائمة، فيقدمها لنا لينتزع من نفوسنا

⁶ المرجع نفسه، ص 36.

⁷ صلاح الدين عبد التواب: " الصورة الأدبية في القرآن الكريم "، ص 10، 11.

⁸ المرجع نفسه، ص 25.

⁹ عبد الفتاح عثمان: "التشبيه والكناية"، ص 7.

الدهشة، وليزجح عن عيوننا الغشاوة، وليرينا مواطن الجمال التي نبصرها ولا نتبصرها، ونمر بها ولا ننفع لها .¹⁰

والخيال يرتبط بالصورة لأنها في الواقع أدواته الطيعة التي يمارس من خلالها فاعليته ونشاطه، ويعقد صلات بين المدركات العقلية والمدركات الحسية...¹¹

- وأما التخيل فيراد به التقديم الحسي للصور الذهنية الموجودة في مخيلة الشاعر، والتي تثير بدورها أو تستدعي صوراً مشابهة إلى ذهن المتلقي فينفع لها...¹²

ونلاحظ في هذا المجال أن مصطلح التخيل قد تحدد، وأصبح يعني الأنواع البلاغية التي تركز عليها الصورة الفنية، وهي التشبيه والاستعارة والمجاز، كما أنه دخل عنصراً جوهرياً في الشعر، ولم يعد مجرد إيهام ليس له نصيب من الحقيقة .¹³

وبهذا يكون التخيل مرتبطاً بالأنواع البلاغية، ومميزاً للأسلوب الأدبي عن الأساليب الخطائية والبرهانية والجدلية .¹⁴

وعليه فإن موضوع علم البيان هو : " الصور الخيالية المبتدعة في صياغة المعنى للتعبير عنه، وفي هذه الصور تعقد صلة بين أمرين قد لا تكون بينهما في الواقع أية صلة، وهذه الصور تتمثل في خيال المنشئ مرتبطة بثقافته ورؤاه وتجاربه..."¹⁵

كما يبرز هنا عنصر أصيل له شأنه ودوره الكبير في الصورة البيانية، ألا وهو: "التظم" ... ويعدّ عبد القاهر الجرجاني من أبرز من تحدثوا عن "النظم"، وإليه يردّ أمر الإعجاز في القرآن، وقد ألف كتابة الجليل "دلائل الإعجاز" لبيان ذلك...

¹⁰ عبد الفتاح عثمان: "التشبيه والكناية"، ص 7، 8

¹¹ المرجع نفسه، ص 8.

¹² المرجع نفسه، ص 12، 13.

¹³ المرجع نفسه، ص 13.

¹⁴ المرجع نفسه، ص 14.

¹⁵ محمد مصطفى هدارة: "علم البيان" / دار العلوم العربية / بيروت / لبنان / ط1: 1989 / ص 5، 6.

ولما كان لعبد القاهر فضل في إبراز وتوثيق قضية النظم نسب إليه؛ لأنه أكملها وأحسن عرضها وتحقيقتها وتحليلها وتعليلها واستقراء أمثلتها، وإزالة ما يعرض لها من شبهات، ومحاولة تطبيقها في ميدان الدراسة الخاصة.¹⁶

ويوضح عبد القاهر مفهوم النظم، ومدى ارتباطه بالنحو فيقول: "اعلم أن ليس "النظم" إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه "علم النحو"، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك، فلا تخلّ بشيء منها..."¹⁷

وعبد القاهر لا ينكر دور الخيال ولا العبارة الموسيقية، وتأثيرهما في الصورة البيانية، غير أنه يعتد بالعنصر الأصيل وهو النظم لأنه مهما تنوعت صور الخيال وتعددت وبرز ما فيها من جمال، ومهما تتابعت تلك العبارات الموسيقية بما فيها من روعة وجلال، فإن دقة النظم من وراء هذا كله، ولولا مراعاة النظم وروعته فيها لما جاءت هذه الصور على هذا النسق الجميل، ثم يأتي دور الخيال والعبارة الموسيقية بعد ذلك ليضفي كل منها جمالا على الجمال.¹⁸

وعبد القاهر يقرر أن الاستعارة والكناية والتمثيل وسائر ضروب المجاز من مقتضيات النظم، وعنها يحدث، وبها يكون؛ لأنه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم وهي أفراد، فإذا قلنا في لفظ "اشتعل" من قوله تعالى: واشتعل الرأس شيئا¹⁹، إنها في أعلى المرتبة من الفصاحة لم توجد تلك الفصاحة لها وحدها، ولكن موصولا بها الرأس معرفا بالألف واللام، ومقرونا إليها الشيب منكرًا منصوبا، فليست الفصاحة صفة لفظ اشتعل وحده...²⁰

¹⁶ عبد العاطي غريب علام: "دراسات في البلاغة العربية" / منشورات جامعة قان بونس / بنغازي / ليبيا / ط1: 1997 / ص 3
¹⁷ المرجع نفسه، ص 10، وأبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان الجرجاني: "دلائل الإعجاز" / تحقيق: محمود محمد شاكر / دار المدني- جدة / مطبعة المدني / القاهرة / ط3: 1992 / ص81.
¹⁸ صلاح الدين عبد التواب: "الصورة الأدبية في القرآن الكريم"، ص25.
¹⁹ سورة مريم، الآية 4
²⁰ محمد عبد المنعم الحفاجي وآخرون: "الأسلوبية والبيان العربي" / الدار المصرية اللبنانية / القاهرة / ط1: 1992 / ص78. وعبد القاهر الجرجاني: "دلائل الإعجاز"، ص100 وما بعدها.

- والتشبيه من أبلغ أساليب التعبير البياني وفنونه، وأحسن أدوات التصوير وأشدها تأثيراً في النفوس... وقد شغفت به العرب قديماً، وأكثر منه في كلامها منثوره ومنظومه... كما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية في كثرة لافتة، وحسنه فيها ظاهر باهر...

وقد انتقل هذا الشغف بالتشبيه إلى البلاغيين؛ فاعتنوا به في مؤلفاتهم أشد الاعتناء وأشادوا ببلاغته...، ومن ذلك أنهم أطلقوا " على بعض أنماط التشبيه ألقاباً تعبر عن إعجابهم بها من حيث بناء التشبيه، أو من حيث المضمون؛ كالتشبيه البليغ؛ وهو التشبيه الذي يحذف فيه وجه الشبه وأداة التشبيه، لأنه يزيد الشبه قوة، فكأن المشبه هو المشبه به، ومن ذلك التشبيه البعيد، وهو الذي يحتاج إلى تفسير، وتشبيه التوكيد، والتشبيه الجيد، والحسن، والعجيب، والمحمود، والمستطرف، والمصيب، والتشبيهات العمق؛ أي تلك التشبيهات التي لا نظير لها... " ²¹، وقد عدّ ابن المعتز من محاسن الكلام والشعر: " حسن التشبيه ". ²² وقال مؤلف نقد النثر: "... وأما التشبيه فهو من أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة عندهم. وكلما كان المشبه منهم في تشبيهه أطف؛ كان بالشعر أعرف، وكلما كان بالمعنى أسبق؛ كان بالحذف أليق.... " ²³

وقال صاحب الطراز: "اعلم أن التشبيه هو بحر البلاغة وأبو عذرتها، وسرها ولبابها، وإنسان مقلتها. " ²⁴

وقد حدّد اللغويون معنى التشبيه بالتمثيل، ودارت مادّة "شبه" وما يشتق منها حول المثل والمماثلة والتمثيل... ففي لسان العرب لابن منظور نقراً هذا التحليل اللغويّ: "الشَّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المِثْلُ، والجمع أشباه، وأشبه الشيء الشيء: ماثله، وفي المثل: من أشبه أباه فما ظلم... " ²⁵

²¹ حسني عبد الحليل: "التصوير البياني بين القدماء والمحدثين"، ص 24.

²² عبد الله بن المعتز: "البدیع" / تحقيق: عبد المنعم خلفي / دار الجيل / بيروت / ط1: 1990 / ص 152 و 166.

²³ قدامة بن جعفر: "قد النثر" / نشر: طه حسين، وعبد الحميد العبادي / المكتبة العلمية / بيروت / 1980 / ص 58 وسيأتي الكلام عمّا في نسبة الكتاب إلى قدامة.

²⁴ يحيى بن حمزة العلوي: "الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز" / تحقيق: عبد الحميد هندواوي / المكتبة العصرية / بيروت / ط1: 2002 / ج 1 / ص 167

ولا يخرج التشبيه في جذره اللغويّ عن هذا المعنى الوضعي الذي يراد به المثل والنظير، وداخل هذا الإطار تنضمّ مشتقات المادة التشبيهية . وواضح أنّ التعريف اللغويّ عامّ لا يحدّد صفات المماثلة، ولا يتعرّض لطبيعة الصلة بين الشيء ومثيله...²⁶

وأما في اصطلاح البلاغيين، فالتشبيه هو - الدلالة على مشاركة أمر لآخر في صفة أو أكثر... وهو " يقوم أساساً على طرفين أصليين هما : المشبّه والمشبّه به، وعلاقة تربطهما تسمى وجه الشبه، وأداة تصل بينهما يطلق عليها أداة التشبيه. ومن خلال هذه المكونات الأربعة تتحرك عبقرية البليغ ليصوغ الصور التشبيهية، ويبين عن رؤيته الذاتية للأشياء، وإحساسه نحوها . وهو حين يعقد مقارنات ظاهرة لوجوه شبه تصل بينها، لا يتعسّف في إيجاد هذه الصلات، ولا يخلقها من العدم، كذلك لا ينقل عنها نقلاً حرفياً لمجرد التشابه الأصمّ، وإنما يتدخل برصيده الشعوري وفطنته العقلية ليضفي عليها من ذاته، بحيث يكون التشبيه صورة من الذات والموضوع معاً"²⁷

وللتشبيه فوائد ذكرها البلاغيون، أهمها ثلاث أشار إليها ابن الأثير؛ وهي: المبالغة- أو البلاغة-، والبيان- أو الإيضاح، والإيجاز- أو الاختصار-²⁸

وقد ذكرها يحيى بن حمزة العلوي- أيضاً- في "الطراز"، وفصل القول فيها مع التمثيل، وذلك من خلال ثلاثة مقاصد:²⁹

- المقصد الأول: في إفادته للبلاغة، وهذا كقوله تعالى : ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ

﴿³⁰، فشبه السفن الجارية على ظهر البحر بالجبال، في كبرها وفخامة أمرها على جملة المبالغة في ذلك،

²⁵ عبد الفتاح عثمان : "التشبيه والكناية"، ص 25، وأبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأفرقي المصري : "لسان العرب"/دار

صادر/ بيروت /بدون تاريخ/ ج 13 /ص 503

²⁶ عبد الفتاح عثمان : "التشبيه والكناية"، ص 25

²⁷ المرجع نفسه، ص 37

²⁸ ضياء الدين بن الأثير : "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" / تحقيق: محي الدين عبد الحميد / المكتبة العصرية / بيروت /

1999 / ج 1 / 378

²⁹ العلوي: "الطراز..."، ج 1 / ص 142 الى 145، باختصار.

³⁰ سورة الرحمن، الآية 24.

وهكذا القول في جميع تصرفات التشبيه، فإنه لا ينفك عن إفادة البلاغة، وإلا لم يكن تشبيهاً، لأن إفادته للبلاغة هو مقصده الأعظم، وبابه الأوسع...

- المقصد الثاني: في إفادته للإيجاز؛ وهذا ظاهر، فإنك إذا قلت: زيد كالأسد، فإن الغرض تشبيهه بالأسد في شهامة النفس، وقوة البطش، وجرأة الإقدام، والقدرة على الاقتراس... وغير ذلك من الصفات الفاخرة، فقد استغنيت بذكر لفظ الأسد عن أن تقول: زيد شهيم شجاع قوي البطش جريء الجنان قادر على الاعتداء، فهذا هو الذي نريده بالإيجاز...

- المقصد الثالث: في إفادته للبيان والإيضاح؛ فإنه يخرج المهم إلى الإيضاح، والمتلبس إلى البيان، ويكسوه حلة الظهور بعد خفائه، والبروز بعد استتاره، وهذا كقوله تع ³¹ إلى- عن الكفار والمنافقين:- ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾.

— وكقول أبي نؤاس في ذم الدنيا وتقييحها: ³²

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكشَفَتْ لَهُ عَن عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ...

فهذه الفوائد الثلاث موجودة في كل تشبيه، غير أن هناك بعض الأنواع اختصت بفوائد أخرى، وذلك لأن التشبيهات ليست في مستوى واحد من البلاغة والحسن والتأثير في النفس... فبعضها أبلغ من بعض، وأشدّ تأثيراً، وأقوى تصويراً وأبداعاً... وهذه حقيقة يدركها كل مطلع على التشبيهات الماثورة عن العرب، فإنه يشعر بالروعة تأخذه عند بعضها دون البعض الآخر.

وقد نصّ كثير من علماء البلاغة على أن التشبيه كلما كان بعيداً خفياً، يحتاج في إدراكه واستخراجه إلى دقة نظر، وفضل تأمل. . كان أبلغ، وأشدّ تأثيراً، يعمل في النفوس والعقول عمل السحر، فيأخذ بالألباب.

³¹ سورة البقرة، الآية 17.

³² أبو نؤاس: الديوان / دار الكتب العلمية/بيروت /ط1: 1987 / ص 394

ومن تأمل شواهد التشبيه الذي أطلق عليه البلاغيون اسم "تشبيه التمثيل"، أدرك أن هذا النوع أبلغ وأشدّ تأثيراً من غيره، ذلك لأنه حاز من تلك الصفات أوفر نصيب...

وقد لقي هذا الفنّ البديع اهتماماً بالغاً من علماء البلاغة، وذلك لأنهم عرفوا منزلته وفضله، فاعتنوا به في مؤلفاتهم، وأبانوا عن فضله، وجمّل أثره في النفس، وقوة تأثيره فيها... وعلى رأس هؤلاء شيخ البلاغة العربية: عبد القاهر الجرجاني، والذي خصّه بدراسة مفصّلة معمّقة رائعة، تدلّ على قريحة فياضة، وذكاء حادّ، وبصر بأساليب العرب في كلامهم، وذوق أدبي عال...

ويكفي أن تقرّأ له هذا الكلام الرائع - في كتابه "أسرار البلاغة" - عن تأثير التمثيل، وذلك حين يقول: "وهل تشكّ في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بُعد ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المشتم والمعرق. وهو يريك للمعاني الممثّلة بالأوهام شبيهاً في الأشخاص الماثلة، والأشباح القائمة، وينطق لك الأخرس، ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجماد، ويريك التئام عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين، والماء والنار مجتمعين..."³³

فكيف نشأ هذا الفنّ وتخلّق؟ - ثمّ كيف نما وتطوّر؟ - ومن هم الأعلام الذين أسهموا في تطوّره؟
- وما هي حقيقته؟ - وما أثره في بلاغة الكلام وأداء المعنى؟ - وما هي جهود عبد القاهر الجرجاني الخاصّة في رفع قواعده وتحديد معالمه؟...

³³ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة" / تحقيق: محمود شاكر / دار المدني-جدة- / مطبعة المدني -مصر/ ط2: 1989 / ص 132.

الفصل الأوّل

تشبيه التمثيل عند السابقين

لاشكّ أن أي علم من العلوم مهما كان موضوعه ، لابد أن يمرّ بمراحل من التطور، من بداية نشأته إلى أن تكتمل أبوابه و مسائله و قضاياها. و القضايا " لا ينتظر أن تولد كاملة، وأي فنّ من الفنون إنما هو نتاج قرائح، يضاف بعضه إلى بعض، و يعمل بعضه في بعض، فالفضل و إن نسب إلى المتأخر، و الشرف و إن حازه من أكتمل عنده و صادف التمام لديه فإن المتقدم يقاسمه هذا الشرف حتى و إن أخطأ. و حسب السابقين أن عملهم و أجرهم عند الله الذي لا يضيع عنده مثقال ذرة" ³⁴.

ومسائل البلاغة و فنونها، قد جرى عليها هذا القانون – قانون التطور-، وتتابع على تحقيقها و السير بها نحو الكمال أجلة من علماء العربية المتقدمين. و من هذه الفنون: فنّ التمثيل البلاغي أو تشبيه التمثيل "

وسنعرض في هذا الفصل آراء طائفة من علماء البلاغة و العربية، ممن تناولوا في كتبهم هذا الفن البديع أو أشاروا إليه، متبعين في العرض منهج التسلسل الزمني – حسب سنة وفاة كل واحد منهم-، وهذا المنهج سيمكننا من الوقوف على أولية هذا الفن، كيف تخلق ونشأ، ثم كيف نما و تطور... حتى ازدهر على يد الشيخ عبد القاهر الجرجاني – شيخ البلاغة العربية و محقق علومها، المتوفى في أواخر القرن الخامس الهجري (سنة 471)- بعد ذلك، و هو ما سنفصل فيه الكلام لاحقاً في غير هذا الفصل. كما سيمكننا من معرفة الأعلام الذين تأثروهم عبد القاهر في عمله حين عمد إلى وضع نظرية تشبيه التمثيل – إن كان قد تأثر...

³⁴ محمد جلال الذهبي : "سبأ البلاغة عند الشيخ عبد القاهر " / مطبعة الأمانة/ مصر / ط2/ بدون تاريخ / ص89

أبو عبيدة

هو أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت: 211هـ)، صاحب الكتاب المشهور "مجاز القرآن". و قبل الشروع في المقصود، ينبغي التنبيه على أمر مهم، وهو أنه لا خلاف بين الباحثين في أن أبا عبيدة هو أول من أطلق كلمة مجاز " في كتابه... غير أنه لم يقصد بلفظ " المجاز " معناه الاصطلاحي المعروف. قال ابن تيمية: " و أول من عرف أنه تكلم بلفظ المجاز: أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه، و لكن لم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة، و إنما عنى بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية " ³⁵. أو بعبارة أخرى - كما قال الدكتور شوقي ضيف: " عنى به تفسيرها و تأويلها "، قال: " ويتضح هذا المعنى منذ السطور الأولى في الكتاب، فقد جاء في فاتحته: " قال الله جل ثناؤه: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ ³⁶، مجازة: تأليف بعضه إلى بعض، ثم قال: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ ³⁷، مجازة: فإذا أَلَفْنَا مِنْهُ شَيْئًا فَضَمَّمْنَا إِلَيْكَ فَخَذَ بِهِ وَاوَعَلَ بِهِ وَضَمَّهُ إِلَيْكَ... " ³⁸، على أنه يلاحظ أنه اختار الآيات التي تصور طرقا مختلفة في الصياغة والدلالة، متمثلا بما يشبهها من أشعار العرب وأساليبهم، و شارحا لما تتضمنه من لفظ غريب. و أداه هذا الاختيار إلى أن يتحدث عما في الآيات من: استعارة وتشبيه وكناية و تقديم و تأخير و حذف و تكرار وإضمار... ³⁹.

إذا علم هذا...، فقد تحدث أبو عبيدة في كتابه عن "التمثيل"، حيث وردت هذه الكلمة عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ ﴾ ⁴⁰، قال: "...ومجاز الآية مجاز "التمثيل"، لأن ما بنوه على التقوى أثبت أساسا من البناء الذي بنوه على الكفر والنفاق فهو على شفا جرف، وهو ما يجرف من

³⁵ أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية: "الإيمان" / تحقيق صدقي جميل عطار / دار الفكر/بيروت / ط1: 1419هـ / ص71.

³⁶ سورة القيامة، الآية 17

³⁷ سورة القيامة، الآية 18

³⁸ أبو عبيدة معمر بن المثنى: "مجاز القرآن" / تحقيق: أحمد فريد الزبيدي / دار الكتب العلمية / بيروت / ط1: 2006 / ص13

³⁹ شوقي ضيف: "البلاغة تطور و تاريخ" / دار المعارف/ مصر/1965 / ص29

⁴⁰ سورة التوبة، الآية 109

سيول الأودية فلا يثبت البناء عليه" ⁴¹. والبحث الآن هو في دلالة هذه الكلمة – "التمثيل" – عند أبي عبيدة.

يرى الدكتور أحمد مطلوب أن "التمثيل" عند أبي عبيدة هو التشبيه أو تشبيه التمثيل، و نجده يقول بعد أن أورد تفسير أبي عبيدة للآية السابقة: "...وليس في هذا التفسير ما يعطي الفرق الواضح بين اللوين" ⁴².

والحقيقة أن التثبت من مدى صحة هذا الرأي، يستوجب الرجوع إلى كتاب أبي عبيدة، و البحث في مواضع أخرى من بين تفسيراته، عن كلام له قد يوقفنا على دلالة هذه الكلمة – كلمة تمثيل - عنده. ولما رجعنا إلى الكتاب و بحثنا فيه، وجدنا المؤلف:

يقول عند قوله تعالى: ﴿ فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ ﴾ ⁴³: "مجازه، مجاز المثل والتشبيه، والقواعد الأساس. إذا استأصلوا شيئاً قالوا هذا الكلام، و هو مثل... " ⁴⁴.

ووجدناه يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَرُدُّوْاْ أَيْدِيَهُمْ فِىْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ ⁴⁵: "مجازه مجاز المثل، وموضعه موضع: "كفوا عما أمروا بقوله من الحق، ولم يؤمنوا به ولم يسلموا... " ⁴⁶.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ ⁴⁷ يقول: "مجازه في موضع قولهم: "لا تمسك عما ينبغي لك أن تبذل من الحق، و هو مثل و تشبيه" ⁴⁸.

⁴¹ أبو عبيدة: "مجاز القرآن"، ص: 106.

⁴² أحمد مطلوب: "معجم المصطلحات البلاغية و تطورها" / مكتبة لبنان / طبعة: 2000 / ص 332

⁴³ سورة النحل، الآية 26.

⁴⁴ أبو عبيدة: "مجاز القرآن"، ص 138.

⁴⁵ سورة إبراهيم، الآية 9.

⁴⁶ المصدر نفسه، ص 129.

⁴⁷ سورة الإسراء، الآية 29.

⁴⁸ المصدر نفسه، ص 143.

إن التأمل في هذه التفسيرات التي قدمها أبو عبيدة، و الجمع بينها و بين ما جاء في تفسيره لآية

التوبة السابقة، يوقفنا على الحقائق الآتية:

■ **أولاً:** أن كلمة "تمثيل" عند أبي عبيدة مرادفة لكلمة "مثل"، وكلمة "تشبيه"، فالتمثيل هو المثل و التشبيه.

■ **ثانياً:** أن هذه المصطلحات الثلاث ترد عنده حسب دلالتها في اللغة، ذلك لأن دلالة التمثيل والتشبيه في اللغة واحدة، وكذلك دلالة المثل، ففي كتب اللغة يكاد ينحصر معنى المثل و المثل و المثل، في التنظير و التشبيه و الفضل و قوة الظهور⁴⁹. وجاء في "مختار الصحاح" مادة: "م ث ل": "مثل كلمة تسوية، يقال: هذا "مثله" و "مثله"، كما يقال: شبهه و شبهه، والمثل ما يضرب به من الأمثال..."⁵⁰. وأبو عبيدة نفسه نجده يقو ل في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا

لِلنَّاسِ ﴾⁵¹: "مجازها: هذه الأشباه و النظائر نحتج بها، يقال: اضرب لي مثلاً. قال الأعشى:

هل تذكر العهد في تنمّص إذ تضرب لي قاعداً بها مثلاً"⁵²

ومما يؤيد ذلك أيضاً أن أبا عبيدة يقرن لفظ "المثل" بلفظ "التشبيه"، من دون تفريق بينهما.

■ **وثالثاً:** وكنتيجة للحقيقتين الأوليين، يظهر أن مصطلحات كالتشبيه والاستعارة، لم تكن قد تحددت عند أبي عبيدة بالمعنى الاصطلاحي، فضلاً عن أن تتميز عن بعضها البعض. واضطراب مدلولات المصطلحات- كما بين الدكتور علي عشري زايد- سمة بارزة من سمات التأليف البلاغي في المرحلة الأولى من مراحل البلاغة؛ وهي مرحلة النشأة⁵³. بل إننا نرى أبا عبيدة يقرن أحياناً مصطلح

⁴⁹ عبد العظيم المطعني: "من قضايا البلاغة والنقد" / مكتبة وهبة/ القاهرة/ ط1: 2002/ ص51

⁵⁰ أبو بكر بن عبد القادر الرازي: "مختار الصحاح" / دار الحديث/ القاهرة/ 2004 / ص331

⁵¹ سورة العنكبوت، الآية 43

⁵² 4 أبو عبيدة: "مجاز القرآن"، ص 211، و الأعشى ميمون بن قيس: "الديوان/ دار بيروت/ بيروت/ 1980/ ص 171
⁵³ زايد: "البلاغة العربية..."/مكتبة الآداب/ القاهرة/ ط4: 2004/ ص35 وما بعدها

التشبيه بمصطلح الكناية كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ﴾⁵⁴ يقول عنه إنه " كناية

وتشبيه " وواضح أنّ الآية -كما ذكر الدكتور زايد- صورة من صور التشبيه الذي أطلق عليه البلاغيون

اسم التشبيه البليغ وهو الذي حذف منه وجه الشبه وأداة التشبيه...⁵⁵

وإذا تقرر هذا، فلا يدري ما الذي قصده الدكتور أحمد مطلوب بعبارة: "تشبيه التمثيل" في قوله إن التمثيل عند أبي عبيدة هو التشبيه أو تشبيه التمثيل؟! ذلك لأن مثل تلك العبارة قد توحى بأن أبا عبيدة يكون قد عرف أو أدرك معنى "تشبيه التمثيل" بمعناه الاصطلاحي... وهذا بعيد.

وكذلك نرى الدكتور "شفيع السيد" يذكر بعد أن أورد تفسير أبي عبيدة للآية السالفة الذكر وهي قوله تعالى: ﴿فَأَتَى اللَّهَ بُيُوتَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾... أن عبارته تشي بإدراك معنى "الاستعارة التمثيلية" وإن لم يستمها بذلك... قال: "والواقع أن استخدام كلمة "المثل" بمعنى الاستعارة التمثيلية شاع كثيرا في أوساط البلاغيين بعد ذلك"⁵⁶. والحقيقة أن ما ذهب إليه الدكتور السيد من أن البلاغيين بعد أبي عبيدة قد شاع كثيرا في أوساطهم استخدام كلمة المثل بمعنى الاستعارة التمثيلية... لا يلزم منه أن يكون أبو عبيدة قد أدرك معنى الاستعارة التمثيلية كما أدركه من جاء بعده إذ إن كلامه لا يدل على ذلك بل يدل على أنه يريد المعنى اللغوي للمثل كما سبق بيانه.

وقد ذكر الدكتور محمد أبو موسى أن الأستاذ كامل الخولي قد كتب بحثا ضافيا- في كتابه: "صور من تطوّر البيان العربي"- عن تطور دراسة التشبيه وتتبع في بصر مراحل هذا التطور... فعرض لدراسة أبي عبيدة واستخلص في نهاية حديثه جموده وركزها في قوله: "ويدو من فهم أبي عبيدة للصور البيانية أنه لا يتعدى الفهم اللغوي فهو يتعرّض للفنّ البياني بحسب ما تفسّره اللغة فكلمة "مجاز" عنده طريق المعنى... وكلمة "تمثيل" كما فسّرتها اللغة ترادف كلمة تشبيه"⁵⁷.

54 البقرة، الآية 223 سورة

55 علي عشري زايد: "البلاغة العربية..."، ص 30

56 شفيع السيد: "البحث البلاغي عند العرب" /دار الفكر العربي/مدينة نصر/مصر/ط2: 1996/ص 21، 22

57 محمد أبو موسى: "البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري" /دار الفكر العربي/ القاهرة/ بدون تاريخ/ ص 141

ابن قتيبة الدينوري

أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: 276هـ)، صاحب الكتاب المشهور: "تأويل مشكل القرآن"، والذي "صنّفه للرد على الملاحدة وأشباههم الذين يطعنون على القرآن الكريم، فيقولون إن به تناقضا وفسادا في النظم، واضطرابا في الإعراب، وهو طعن مردّه إلى جهلهم بأساليب العربية، ومن ثمّ ألف كتابه، ليحق الحق ويبطل الباطل، عارضا فيه بعض آي الذكر الحكيم، مستشهدا لها بنصوص الشعر، ليقمّ الدليل على ما يقوله، ويسقط دعوى الطاعنين ويمحوها... " ⁵⁸. والكتاب غني بالمباحث البلاغية، فقد تحدث فيه عن المجاز، والاستعارة، والقلب، والحذف والاختصار، والتكرار، والكناية والتعريض، والتقديم والتأخير... إلى غير ذلك.

أما التمثيل فقد ورد ذكره في الكتاب، في سياق حديث المؤلف عن العرب وما خصهم الله به من العارضة والبيان واتساع المجاز، وذلك في قوله: "وللعرب المجازات في الكلام، ومعناها: طرق القول وماآخذه، ففيها: الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص، مع أشياء كثيرة سترها في أبواب المجاز إن شاء الله تعالى" ⁵⁹.

وقد تحدث ابن قتيبة عن كثير من طرق القول وماآخذه، و توسع في التمثيل لها، وهي التي سماها بـ "المجازات في الكلام". وكان كلمة "المجاز" عنده - كما يقول الدكتور شوقي ضيف- لا تزال تستخدم

⁵⁸ شوقي ضيف: "البلاغة تطور وتاريخ"، ص 58

⁵⁹ عبد الله بن مسلم ابن قتيبة: "تأويل مشكل القرآن" / تحقيق: السيد أحمد صقر / المكتبة العلمية / بدون تاريخ / ص 20-21

بمعناها الواسع الذي استخدمها فيه أبو عبيدة⁶⁰. وكذلك يرى الدكتور شفيح السيد أن ابن قتيبة تأثر في

الروح العام لمنهجه في التأويل لما أشركل من آيات القرآن... بمنهج أبي عبيدة من حيث الرجوع إلى

أساليب العرب في التعبير والقياس عليها والاهتداء بها... قال: "بل إنه استخدم كلمة "المجاز"

التي كانت مفتاح أبي عبيدة إلى فهم أساليب القرآن بالمفهوم نفسه الذي قصده أبو عبيدة"⁶¹... ولكن ابن

قتيبة لم يعرض في كتابه "التمثيل"، ولا نجد له كلاما عنه ما عدا تلك الإشارة السابقة حينما عدّه من

مجازات العرب في كلامها أي من أساليبها في التعبير- كما ذكرنا... وهذا مما قد يرجح أنّ هذا المصطلح يرد

عنده بنفس الدلالة التي ورد بها عند أبي عبيدة من قبله، وهي "المثل والتشبيه" بالمعنى اللغوي.

⁶⁰ شوقي ضيف: البلاغة تطور و تاريخ " / ص 59.

⁶¹ شفيح السيد: " البحث البلاغي عند العرب "، ص 22

قدامة بن جعفر

هو أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت: 327هـ)، و كتابه المشهور في النقد والبلاغة، هو كتاب "نقد الشعر"، و قد خطا فيه مؤلفه بالمباحث البلاغية خطوات مُمودة، و وُقِّق فيه "توفيقاً منقطع النظير، وهو توفيق جعل من يكتبون في البديع بعده يلهجون باسمه، وفي مقدمتهم أبو هلال العسكري صاحب "الصناعتين"، وكذلك من كتبوا في عيوب الشعر و وجوه رداءته، و في مقدمتهم المرزباني في كتابه "الموشح"⁶².

و أما كتاب "نقد النثر" المشهور نسبته إلى قدامة بن جعفر، فهو:

■ **أولاً:** ليس صحيح النسبة إليه كما ذكر الدكتور شوقي ضيف⁶³، بل هو جزء من كتاب اسمه: "البرهان في وجوه البيان"، لرجل يدعى إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب، عثر عليه أحد الباحثين في بعض المكتبات الأوربية...

■ **ثانياً:** ليس فيه ذكر "التمثيل"، و لذلك ضربنا عنه صفحا.

وقد تحدث قدامة بن جعفر في كتابه "نقد الشعر" عن "التشبيه"، و عدّه من نعوت أهم أغراض الشعراء في المعاني⁶⁴، وجعله قسماً للمدح والهجاء والمراثي والتسيب والوصف. و تحدث عن "التمثيل" في موضع آخر من كتابه، و عدّه من نعوت ائتلاف اللفظ مع المعنى، و صنّيعه هذا يوحى بأن "التمثيل" عنده غير "التشبيه"، و هذا هو الصواب، و يؤكده التعريف الذي ذكره قدامة للتمثيل، والأمثلة التي مثل له بها - كما سيأتي - قال الدكتور أحمد مطلوب - بعد أن ذكر دلالة كلمة "تمثيل" عند أبي عبيدة بن

⁶² شوقي ضيف: "البلاغة تطور و تاريخ"، ص 92.

⁶³ المرجع نفسه، ص 93 و ما بعدها.

⁶⁴ قدامة بن جعفر: "نقد الشعر" / تحقيق: محمد عبد المنعم حجاجي / دار الكتب العلمية / بيروت / بدون تاريخ / ص 124

المننى :- " ... ولعل قدامة كان أول من عدّ التمثيل مخالفاً للتشبيه، و هو عنده من نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى "65.

قال قدامة: "ومن نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى: " التمثيل "، وهو: أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى، فيضع كلاماً يدلّ على معنى آخر، و ذلك المعنى الآخر والكلام ينبئان عما أراد أن يشير إليه... "66، فإذا أراد الشاعر العبارة عن معنى من المعاني فوضع كلاماً يدلّ على معنى آخر وذلك المعنى الآخر مع سياق الكلام ينبئان عما أراد أن يشير إليه... فذلك هو التمثيل عند قدامة... "67

وقد نقل الدكتور أحمد مطلوب عن قدامة نفسه في كتاب له آخر سمّاه "جواهر الألفاظ" نحو هذا التعريف، فقال: "... و قال قدامة أيضاً: "و التمثيل أن يراد الإشارة إلى معنى، فتوضع ألفاظ تدلّ على معنى آخر، و ذلك المعنى و تلك الألفاظ مثال للمعنى الذي قصد بالإشارة إليه و العبارة عنه. كما كتب يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد، حين تلكأ عن بيعته: "أما بعد فإني أراك تقدّم رجلاً و تؤخّر أخرى، فإذا أتاك كتابي هذا فاعتمد على أيّهما شئت و السلام، فهذا التمثيل من الموقع ما ليس له لو قصد للمعنى بلفظه الخاص حتى لو أنّه قال مثلاً: "بلغني تلكؤك عن بيعتي، فإذا أتاك كتابي هذا فبايع أولاً"، لم يكن لهذا اللفظ من العمل في المعنى بالتمثيل ما لما قدّمه "68.

وهذا المثال الذي أورده قدامة في "جواهر الألفاظ"، أدخله المتأخرون من علماء البلاغة تحت ما سمّوه بـ "الاستعارة التمثيلية"، وهي من المجاز المركّب، فقد عرّف الخطيب القزويني المجاز المركّب بأنه:

⁶⁵ أحمد مطلوب: "معجم المصطلحات البلاغية و تطورها"، ص 332.

⁶⁶ قدامة بن جعفر: "نقد الشعر" / ص 159-160.

⁶⁷ بدوي طبانة: "قدامة بن جعفر والنقد الأدبي" / مكتبة الأنجلو المصرية/القاهرة/ط3: 308/1969

⁶⁸ أحمد مطلوب: "معجم المصطلحات البلاغية و تطورها"، ص 332.

"اللفظ المركب المستعمل فيما شبّه بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل للمبالغة في التشبيه"، و ذكر عبارة يزيد بن الوليد مثالا له...⁶⁹

وفي كتابه "نقد الشعر" أورد قدامة أمثلة وشواهد أخرى على ما سماه "التمثيل"، منها: قول الزمخشر بن ميادة:

ألم تك في يميني يديك جعلتني فلا تجعليني بعدها في شمالي
ولو أنني أذنبت ما كنت هالكاً على خصلة من صالحات خصالكا

قال: فعدل أن يقول في البيت الأول: إنه كان عنده مقدّمًا فلا يؤخّره، أو مقربًا فلا يبعده، أو مجتبي فلا يجتنبه... إلى أن قال: إنه كان في يميني يديه فلا يجعله في اليسرى، ذهابًا نحو الأمر الذي قصد الإشارة إليه بلفظ ومعنى يجريان مجرى المثل له، والإبداع في المقالة⁷⁰.

قال الدكتور شوقي ضيف معلقًا على هذا المثال: "...وواضح أنه كنى باليمين عن تقدّمه عنده، وبالشمال عن تأخّره وهبوط منزلته، وهذا المثال إمّا هو ضرب من التعريض والكناية"⁷¹.

ومنها قول عمير بن الأيهم:

راح القطين من الأوطان أو بكروا وصدّقوا من نهار أمس ما ذكروا
قالوا لنا - وعرفنا بعد بيّهم - قولاً، فما وردوا عنه و ما صدروا

⁶⁹ الخطيب القزويني: "الإيضاح في علوم البلاغة" / وضح حواشيه: إبراهيم شمس الدين / دار الكتب العلمية / بيروت / ط 1: 2003 / ص 231، و "التلخيص" / شرح عبد الرحمن البرقوقي / دار الفكر العربي / ط 2: 1932 / ص 322 . وأحمد مطلوب: "معجم المصطلحات البلاغية و تطورها"، ص 332
⁷⁰ قدامة بن جعفر: "نقد الشعر" / ص 160
⁷¹ شوقي ضيف: "البلاغة تطور و تاريخ" / ص 90

قال: فكان يستغني عن قوله: "فما وردوا عنه و ما صدروا"، بأن يقول: فما تعدّوه، أو يقول: فما تعدّوه أو فما تجاوزوه. . ، ولكن لم يكن له من موقع الإيضاح وغرابة المثل ما لقوله: "فما وردوا عنه و لا صدروا"⁷²

ومنها قول بعض بني كلاب:

دَعِ الشَّرَّ وَاخْلُلْ بِالنَّجَاةِ تَعَزُّلاً إِذَا هُوَ لَمْ يَصْبُغْكَ فِي الشَّرِّ صَابِغٌ
وَلَكِنْ إِذَا مَا الشَّرُّ ثَارَ دَفِينُهُ عَلَيْكَ فَانْضِجْ مِنْهُ مَا أَنْتَ دَابِغٌ

قال: فأكثر اللفظ والمعنى في هذين البيتين جار على سبيل التمثيل، وقد كان يجوز أن يقال مكان ما قيل فيه: "دع الشر ما لم تنشب فيه، فإذا نشبت فيه فبالغ". لكن لم يكن لذلك من الحظ في الكلام الشعري و التمثيل الظريف ما لقول الكلبي...⁷³.

- ومن ذلك قول بعضهم :

تَرَكْتُ الرِّكَابَ لِأَرْبَابِهَا وَأَكْرَهْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ الصَّعِقِ
جَعَلْتُ يَدَيَّ وَشَاحاً لَهُ فَأَجْزاً ذَاكَ عَنِ الْمُعَسْتَقِ

فقوله: "جعلت يدي وشاحاً" ... إشارة بعيدة بغير لفظ الاعتناق وهي دالة عليه⁷⁴.

- ومثل ذلك قول عبد الرحمان بن علي بن علقمة بن عبدة :

أُورِدْتُهُمْ وَصُدُورُ الْعَيْسِ مُسْنِفَةٌ وَالصَّبْحُ بِالْكَوْكِبِ الدُّرِيِّ مَنْحُورٌ

قال: "فقد أشار إلى الفجر إشارة ظريفة بغير لفظه"⁷⁵.

⁷² قدامة بن جعفر: "نقد الشعر" / ص 160

⁷³ قدامة بن جعفر: "نقد الشعر" / ص 160_161

⁷⁴ المصدر نفسه، ص 161

وهذا البيت أورده ابن المعتز في كتابه "البديع" وجعله من الاستعارة حيث قال بعد إيراده: "وإنما هو استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها..."⁷⁶

- وقال بعض الأعراب:

فَتَى صَدَمَتْهُ الْكَأْسُ حَتَّى كَانَتْهَا
بِهِ فَالِحٌ مِنْ دَائِهَا فَهَوَ يَرْعَشُ

قال: "فالكأس لا تصدم ولكنّه أشار بهذا التمثيل إشارة حسنة إلى سكره"⁷⁷.

- وقال عباس بن مرداس:

كَانُوا أَمَامَ الْمُسْلِمِينَ رَدِيئَةً
وَالْبَيْضُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهِمْ أَشْمُسُ

قال: "يريد أن البيض عليهم قد صارت شموساً"⁷⁸

ويرى الدكتور بدوي طبانة أن كلام قدامة في التمثيل، والأمثلة التي ذكرها له تنطبق على ما يسميه البلاغيون: "الاستعارة التمثيلية" أو "الاستعارة في المركب"⁷⁹، بينما يرى الدكتور شوقي ضيف أن بعض ما سماه قدامة باسم التمثيل يدخل في التعريض و الكناية أو ما سماه قدامة الإرداف.⁸⁰

ويمكن أن نخلص بعد هذا البيان إلى أن التمثيل عند قدامة بن جعفر: "يشمل الاستعارة التمثيلية وبعض صور الكناية."⁸¹

⁷⁵ المصدر نفسه، ص 161

⁷⁶ عبد الله ابن المعتز: "البديع"، ص 75

⁷⁷ قدامة بن جعفر: "نقد الشعر"، ص 162

⁷⁸ قدامة بن جعفر: "نقد الشعر"، ص 162. وينظر بيت ابن مرداس في: عماد الدين ابن كثير الدمشقي: "البداية والنهاية" / تحقيق:

جودة محمد جودة، ومحمد حسني الشعراوي / دار ابن الهيثم / القاهرة / ط1: 2006 / ج5 / ص 107

⁷⁹ بدوي طبانة: "قدامة بن جعفر والنقد الأدبي"، ص 388

⁸⁰ شوقي ضيف: "البلاغة تطور وتاريخ"، ص 90

⁸¹ المرجع نفسه، ص 90

والحقيقة أن لقدامة يدا بيضاء على هذا الفن، فهو أول من وضع له حدا - فيما علم-، ومثّل له بأمثلة توضّحه، وبالتالي فقد سار به نحو شيء من التحديد، وقد ذكر الدكتور طبانة أن التمثيل من الفنون التي انفرد قدامة باستخراجها.⁸²

⁸² بدوي طبانة: " قدامة بن جعفر والنقد الأدبي "، ص 395

أبو هلال العسكري

هو الحسن بن عبد الله بن سهل (ت: 395هـ)، صاحب الكتاب المشهور في الدراسات النقدية والبلاغية والأدبية، ألا وهو كتاب "الصناعتين- في صناعة الكتابة و الشعر. وهو كتاب حافل بالمباحث البلاغية، أفاد فيه مؤلفه من كتابات سابقه ومعاصريه، من أمثال الجاحظ، و قد توه به في مقدّمة كتابه-⁸³، و قدامة بن جعفر، وعليّ بن عيسى التّرماني... وغيرهم، و زاد أشياء على ما أوردوه، كما ذكر هو نفسه في كتابه، عند شرحه لأنواع البديع في الباب التاسع الذي أفرده لذلك⁸⁴.

وتحت هذا الباب التاسع، أورد أبو هلال خمسة و ثلاثين فصلا، بعدد أنواع البديع عنده، والذي يهتّمنا منها هو الفصل التاسع الذي عقده للحديث عمّا سماه: "المماثلة".

وقبل الشّروع في بيان كيفة عرضه لها، نقف قليلا عند هذا المصطلح "المماثلة"، فقد ذكر الدكتور شوقي ضيف أنّ هناك سبعة مصطلحات اصطلح عليها أبو هلال مجهولة النسبة، وهو يرجّح أنه جلبها من رسالة خاله وأستاذه أبي أحمد العسكري (ت: 382)⁸⁵ في "صناعة الشعر"، وهذه المصطلحات هي: "المماثلة"، والتّذييل، والاستطراد، وجمع المؤنّث والمختلف، والسّلب والإيجاب، والاستثناء، والتّعطف." و ذكر من الأدلة على ذلك ذكر الباقلانيّ لها جميعا في كتابه "إعجاز القرآن"، ما عدا جمع المؤنّث والمختلف، و تصرّحه في بعضها أنّه ينقل عن أبي أحمد. و كذلك ما ذكره عبد القاهر الجرجانيّ في كتابه "أسرار البلاغة"، في ثنايا عرضه للتّمثيل، بعد استشهاده له بكلمة يزيد بن الوليد لمرّوان بن محمّد حيث

⁸³ أبو هلال العسكري: "الصناعتين" / تحقيق: مفيد قميحة / دار الكتب العلمية/ بيروت / ط2: 1989 / ص13

⁸⁴ المصدر نفسه / ص294.

⁸⁵ ترجمته في: ياقوت الحموي: "معجم الأدباء" / دار الفكر / ط3: 1980 / ج8 / ص 233 إلى 258

قال: "وذكر أبو أحمد العسكري أنّ هذا النحو من الكلام يستمى "المماثلة"، وهذه التسمية توهم أنّه شيء غير المراد بالمثل و التمثيل، و ليس الأمر كذلك"⁸⁶.

وإذا تقرّر هذا، فلنشرع الآن في عرض هذا الفنّ - "المماثلة" - كما ورد في كتاب "الصناعتين"، حتّى نقف على مدلولها عند أبي هلال. و هو يعرّفها بقوله: "المماثلة أن يريد المتكلم العبارة، فيأتي بلفظة تكون موضوعة لمعنى آخر: إلاّ أنّه يبنى إذا أوردته عن المعنى الذي أراده"⁸⁷. وهذا التعريف عند التدقيق هو نفس التعريف الذي وضعه قدامة بن جعفر "للمثيل"⁸⁸؛ وإن اختلفت العبارتان بعض الشيء. كما أنّنا نجد أبا هلال يستخدم كلمة "تمثيل"؛ عند إيراده لبعض الأمثلة و تعليقه عليها، فمن ذلك:

قوله بعد إيراد التعريف السابق: "ققولهم: "فلان نقي الثوب"، يريدون به أنه لا عيب فيه، و ليس موضوع نقاء الثوب البراء من العيوب، و إنّما استعمل فيه تمثيلاً"⁸⁹.

و قوله عند قول بعض الشعراء:

تركّث الرّكّاب لأزباها وأكرهت نفسي على ابن الصّعوق

جعلت يدي وشاحاً له وبعض الفوارس لا تعتنق

فقوله: " جعلت يدي وشاحاً له " تمثيل"⁹⁰.

وكذا قوله عند قول زهير في معلّته:

ومن يعص أطراف الرّجاج فإنّه يطبع العوالي ركبث كلّ لهذم

أراد أن يقول: "من أبي الصلح رضي بالحرب"؛ فعدل عن لفظه، وأتى بالتمثيل"⁹¹.

⁸⁶ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص113. وشوقي ضيف: "البلاغة تطوّر وتاريخ" / ص143 و ما بعدها.

⁸⁷ أبو هلال العسكري: "الصناعتين" / ص389.

⁸⁸ قدامة بن جعفر: "نقد الشعر" / ص159-160.

⁸⁹ أبو هلال العسكري: "الصناعتين" / ص389.

⁹⁰ أبو هلال العسكري: "الصناعتين"، ص392.

وهذا يدل بوضوح على أنّ "المماثلة" عند أبي هلال هي "التمثيل" عند قدامة بن جعفر، وحتى الشاهد الأول الذي مثل به قدامة في كتابه "التمثيل"، وهو قول الرّماح بن ميادة:⁹²

ألم تك في يميني يديك جعلتني فلا تجعلني بعدها في شالكا

ولو أتت أذنت ما كنت هالكا على خصلة من صالحات خصالكا

نجد أبا هلال يورده أيضا⁹³، وأمثلة أخرى سيأتي ذكرها.

ولكن أبا هلال - ومقارنة بقدامة - توسع أكثر في إيراد الأمثلة والشواهد، وفيما يلي طرف منها:

فمن ذلك من القرآن، قوله تعالى: ﴿كَأَلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَبَتْ﴾⁹⁴، فمثل العمل ثم

إحباطه بالتقض بعد الفتل. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ

ثُبُوتِهَا﴾⁹⁵، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾⁹⁶، فمثل

البخيل الممتنع من البذل بالمغلول بمعنى يجمعها؛ وهو أنّ البخيل لا يمدّ يده بالعطية، فشبهه بالمغلول...⁹⁷

ومن كلام العرب، قولهم: "عركت هذه الكلمة بجني"، إذا أغضيت عنها، "وفلان قد طوى كشحه عن

فلان، إذا ترك مودته و صحبته... ويقولون: كبا زند العدو، و صلف زنده، وأفل نجمه، وذهبت ريجه، و

طفنت جمرته، وأخلف نوؤه، وأخلقت جدته، وانكسرت شوكنه، وكلّ حدّه، وانقطع بطانه، وتضعضع

⁹¹ المصدر نفسه " ص 392. و زهير بن أبي سلمى: " الديوان " / المكتبة الثقافية / بيروت / بدون تاريخ. / ص 32

⁹² قدامة بن جعفر: "نقد الشعر"، ص 160.

⁹³ أبو هلال العسكري: "الصناعتين"، ص 392.

⁹⁴ سورة النحل، الآية 92.

⁹⁵ سورة النحل، الآية 94

⁹⁶ سورة الإسراء، الآية 29

⁹⁷ أبو هلال العسكري: "الصناعتين"، ص 391.

ركنه، وضعف عقده، وذلت عضده، وفتت في عضده، ورق جانبه، ولانت عريكته، يقال ذلك فيه إذا
ولّى أمره تمثيلاً وتشبيهاً...⁹⁸

ومن أمثلة الشعر التي أوردتها :

- قول امرئ القيس في معلقته:

وما ذرقت عيناك إلا لتضربي بسهميك في أعشار قلبٍ مُقتل

فقال بسهميك، و أراد العينين⁹⁹ ...

ومن ذلك قول العباس بن مرداس:

كانوا أمام المؤمنين دريئةً والشمس يومئذ عليهم أشمس

أراد: تالؤ البيض في الشمس، فكان على كل رأس شمسا¹⁰⁰. وقد أورد قدامة بن جعفر هذا
البيت من قبله.¹⁰¹

ومن أمثلة الشعر التي أوردتها أبو هلال، وسبقه قدامة في الاستدلال بها ما ذكرناه سابقاً من قول
بعضهم:

تركّ الركاب لأزيابها.....¹⁰²

كما ذكر أبو هلال أن مما عيب من هذا الباب، قول أبي تمام:

⁹⁸ المصدر نفسه، ص 391
⁹⁹ أبو هلال العسكري: "الصناعتين"، ص 392-393. وأبو عبد الله الحسين الزوزني: "شرح المعلقات السبع" / مكتبة
المعارف/ بيروت/ ط5: 1985/ ص23
¹⁰⁰ أبو هلال العسكري: "الصناعتين" / ص 393.
¹⁰¹ قدامة بن جعفر: "نقد الشعر"، ص 162
¹⁰² المصدر نفسه، ص 161

أَنْتَ دَلُّوْ وَذُو السَّاحِ أَبُو موسى قَلِيْبٌ، وَ أَنْتَ دَلُّو الْقَلِيْبِ

أَيُّهَا الدَّلُّو لَا عَدِمْتُكَ دَلُّوًّا مِنْ جِيَادِ الدَّلَاءِ صُلْبِ الصَّلِيْبِ¹⁰³

وهذه الأمثلة وغيرها مما أورده أبو هلال تدل أن مفهوم "المائلة" أو التمثيل عنده كان عاما، ذلك أننا نجد يطلقه على كثير من الصور البيانية، كالاستعارة، والكناية، والتشبيه الاصطلاحي... فالاستعارة كما في: أبيات بن مرداس، وامرئ القيس، و زهير، وآية النحل: 94، وآية الاسراء: 29... والكناية كما في قول ابن ميادة السابق، وقول العرب: "فلان نقي الثوب" كناية عن براءته من العيب... والتشبيه كما في آية النحل: 92، وقول أبي تمام السابق...

و برغم ذلك نجده يرد على قدامة جعله من أمثلة باب "التمثيل" قول الشاعر:

أَوْرَدْتُهُمْ وَصُدُورُ الْعَيْسِ مُسْنِفَةٌ وَ الصُّبْحُ بِالْكَوْكَبِ الدَّرِّيِّ مَنْحُورٌ

و قوله أي قدامة:- "قد أشار إلى الفجر إشارة إلى طريقه بغير لفظه"¹⁰⁴.

قال أبو هلال: "... و ليس في هذا البيت إشارة إلى الفجر بل قد صرح بذكر الصبح وقال هو منحور بالكوكب الدرّي، أي: صار في نحره... و وضع هذا البيت في باب الاستعارة أولى منه في باب المائلة!"¹⁰⁵ كما نجد في آخر باب "الإرداف والتتابع"، يقول: "و قد أدخل بعض من صتف في هذا أمثلة باب الإرداف في باب المائلة، و أمثلة باب المائلة في باب الإرداف، فأفسد البابين جميعا، فلتختص ذلك وميزته، و جعلت كلا في موضعه، و فيه دقة و إشكال!"¹⁰⁶. وكلام أبي هلال هذا يدل على أن مباحث الاستعارة و الكناية والتشبيه و المجاز لم تكن قد تحددت و تميزت في عصره التميز الكامل، بل بقي بينها بعض الخلط، وبخاصة في باب الشواهد والأمثلة.

¹⁰³ أبو هلال العسكري: "الصناعتين"، ص 393

¹⁰⁴ قدامة بن جعفر: "نقد الشعر" / ص 161

¹⁰⁵ أبو هلال العسكري: "الصناعتين" / ص 393.

¹⁰⁶ المصدر نفسه، ص 388.

أبو بكر الباقلاني

ونلتقي بعد أبي هلال العسكري، بأحد أعلام المتكلمين على مذهب الأشاعرة، وهو أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت: 403هـ)، وكتابه الذي يهمننا من بين سائر كتبه، هو كتابه المشهور "إعجاز القرآن"، والذي ألفه لبيان وجه الإعجاز في الكتاب العزيز، "فنوه بنظم القرآن العجيب الذي يعد في الذروة من البلاغة، ونفى أن يكون مدار إعجازه: البديع، أو أقسام البلاغة التي عددها الرماني. ولكي يوضح ذلك عرض لفنون البديع، كما عرض لأقسام البلاغة عند الرماني عرضا فيه كثير من التفصيل"¹⁰⁷.

ويظهر بوضوح عند الرجوع إلى الكتاب، تأثر الباقلاني الشديد- في عد وجوه البديع- بمن سبقوه، كابن المعتز¹⁰⁸، وقدامة، وأبي هلال العسكري، وخاله وأستاذه أبي أحمد العسكري، وقد سبقت الإشارة إلى تأثره بهذا الأخير عند أول حديثنا عن أبي هلال. ولعل سبب هذا التأثر يرجع إلى أنّ الباقلاني لم يكن يقصد إلى التأليف في علوم البلاغة، أو في فنون البديع، وإنما كان قصده - كما أسلفنا- بيان وجه الإعجاز في القرآن، ولما كان هناك من رد وجه الإعجاز إلى ما اشتمل عليه القرآن من فنون البديع، أو إلى أقسام البلاغة التي ذكرها الرماني في "النكت"، فقد عرض لها لينفي إمكان تفسير وجه الإعجاز بها.

وإذا علم هذا، فلا نعجب بعد ذلك حين نراه يطلق لفظ "المئاتة"، كما أطلقه أبو أحمد و أبو هلال العسكريان، وحين نراه-أيضا- يفسرها تفسير أبي هلال، وقدامة من قبله، فيقول: "...ذلك أن يقصد الإشارة إلى معنى، فيضع ألفاظا تدل عليه و ذلك المعنى بألفاظه، مثال للمعنى الذي قصد الإشارة إليه"¹⁰⁹.

¹⁰⁷ شوقي ضيف: "البلاغة تطور و تاريخ" / ص 371.

¹⁰⁸ محمد عبد المنعم الحفّاخي: مقدمة التحقيق لكتاب "البديع" لابن المعتز، ص 49.

¹⁰⁹ أبو بكر الباقلاني: "إعجاز القرآن" / تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر / مؤسسة الكتب الثقافية / بيروت / ط4 / بدون تاريخ /

والأمثلة التي أوردتها¹¹⁰ - وهي قليلة - أكثرها وردت عند من سبقوه، ككلمة يزيد بن الوليد لمروان بن محمد: "... فإني أراك تقدم رجلا و تؤخر أخرى، فاعتمد على أيتها شئت" - وقد سبق أن قدامة أورد هذا المثال في كتابه "جواهر الألفاظ".

- وكقول زهير في معلقته:

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الرَّجَاحِ.....

- وقول امرئ القيس أيضا في معلقته:

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لِتَضْرِبِي.....

وقد تقدم ذكرهما عند أبي هلال.

- ومن أمثلته المستجدة، قول عمرو بن معدي كرب¹¹¹:

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقْتَنِي رِمَاحُهُمْ نَطَقْتُ، وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجْرَتِ

و قول آخر¹¹²:

بَيْ عَمْنَا لَا تَدْكُرُوا الشَّعْرَ بَعْدَمَا دَفَنْتُمْ بِصَخْرَاءِ الْعُمَيْرِ الْقَوَافِيَا

و قول آخر:

أَقُولُ وَ قَدْ شَدُّوا لِسَانِي بِنِسْعَةٍ أَمَعَشَرَ تَيْمٍ أَطْلَقُوا عَن لِسَانِيَا

¹¹⁰ المصدر نفسه، ص 103-104

¹¹¹ عبد الملك بن قريب الأصمعي: "الأصمعيات" / تحقيق وشرح: سعدي ضناوي / دار الكتب العلمية / بيروت / ط1: 2004 / ص

158

¹¹² ينسب إلى الشميد الحرثي كما في: أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي: "شرح ديوان الحماسة" / تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون / دار الجيل / بيروت / ط1: 1991 / ج1/ص124

ومن أمثلة القرآن التي أوردتها، قوله تعالى: ﴿وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ﴾¹¹³، قال الأصمعي: أراد البدن، قال:

وتقول العرب: "فدا لك ثوباي"، يريد نفسه. وأنشد:

أَلَا أُبْلِغُ أَبَا حَفْصٍ رَسُولًا فِدَا لَكَ مِنْ أَخِي ثِقَّةً إِزَارِي

ولكن الباقلاني ذكر عبارة مهمة، رددها ابن رشيق القيرواني من بعده، وهي جعله "المائة" ضرباً من ضروب الاستعارة، قال: "ومما يعدونه من البديع: "المائة"؛ وهي "ضرب من الاستعارة"¹¹⁴.
بينما فرق أبو هلال بينها - كما سبق ذكره.

ولعلّ عبد القاهر الجرجاني يكون قد استفاد منها، ومن الشاهد الأول الذي أوردته الباقلاني، وهو كلمة يزيد بن الوليد لمروان بن محمد، ذلك لأن عبد القاهر ذكر في "دلائل الإعجاز" أن "التمثيل" قد يكون مجازاً، إذا جاء على حد الاستعارة. قال: "... وأما التمثيل الذي يكون مجازاً لمجئك به على حد الاستعارة، فمثاله قولك للرجل يتردد في الشيء بين فعله وتركه: "أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى". فالأصل في هذا: أراك في ترددك كمن يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، ثم اختصر الكلام، وجعل كأنه يقدم الرجل ويؤخرها على الحقيقة..."¹¹⁵، وسيأتي ذكر ذلك.

¹¹³ سورة المدثر، الآية 4

¹¹⁴ أبو بكر الباقلاني: "إعجاز القرآن" / ص 103.

¹¹⁵ عبد القاهر الجرجاني: "دلائل الإعجاز"، ص 68-69.

ابن رشيق القيرواني

وهو أبو عليّ الحسن بن رشيق المسيليّ ثمّ القيرواني، الأزدي (ت: 456 أو 463هـ)، "الأديب الناقد، صاحب الكتاب القيم الذي ذاعت شهرته في المغرب والمشرق، وحل لدى عارفيه المحلّ الأرفع: "العمدة في صناعة الشعر ونقده" ¹¹⁶، و الذي جمع فيه - كما ذكر هو نفسه في مقدمته- أحسن ما قاله كل واحد ممّن سبقوه- في الشعر وصنعتة، وعول في أكثره على قريحة نفسه، ونتيجة خاطره، خوف التكرار، ورجاء الاختصار، إلا ما تعلق بالخبر، وضبطته الرواية، فإنه لا سبيل إلى تغيير شيء من لفظه ولا معناه، ليؤتى بالأمر على وجهه... ¹¹⁷.

والكتاب في جزأين، وقد وزعه مؤلفه على نحو مائة باب، وأفرد فيه للبديع خمسة و ثلاثين باب مثل أبي هلال، وغيرها في بعض الأسماء والمصطلحات. وعرض في جميع الأبواب آراء البلاغيين من قبله مضيفا كثيرا من الملاحظات الدقيقة ¹¹⁸.

و تتميز دراسة ابن رشيق لما ذكره من فنون البديع بأنها أكثر تفصيلا، وإن كان قد سار فيها على منهج أشبه بمنهج أبي هلال، فهو أولا يعرف الفن البديعي ثم يشفعه بالأمثلة والشواهد من منظوم الكلام و منشوره، وقلما عرض للشاهد بالتوضيح اعتمادا على فطنة القارئ. و في المصطلحات نلاحظ أنه إذا أثر مصطلحا بعينه لفن بديعي، فإنه يذكر الآخر عند هذا أو ذاك ممّن سبقوه إلى البديع. ففي

¹¹⁶ عبد العظيم المطعني: "من قضايا البلاغة و التقد"، ص 13.

¹¹⁷ أبو علي الحسن بن رشيق: "العمدة" / تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد / طبعة دار الجيل / بيروت / بدون تاريخ / ج 1 / ص

17، 16

¹¹⁸ شوقي ضيف: "البلاغة تطور و تاريخ"، ص 146 مع 372 باختصار.

"الاستثناء" يقول: و ابن المعتز يسميه توكيد المدح بما يشبه الذم¹¹⁹، وفي كلامه عن "المطابقة" يقول:
وسمى قدامة هذا النوع - الذي هو المطابقة عندنا - "التكافؤ"¹²⁰ ...¹²¹

و في باب "التمثيل" أيضا، نجده يقول: "و هو الماثلة عند بعضهم"¹²²، في إشارة واضحة إلى
أبي هلال العسكري، و أبي أحمد العسكري، و أبي بكر الباقلافي، وقد سبق الحديث عنهم.

و "التمثيل" عند ابن رشيق من ضروب الاستعارة¹²³، و قد عرفه بقوله: "وذلك أن تمثل شيئا
بشيء فيه إشارة"¹²⁴، وهو بذلك متابع في دلالته قدامة بن جعفر¹²⁵.

ثم أورد بيت امرئ القيس السابق - و هو عنده أول من ابتكره :

و ما ذرقت عينك إلا لتقْدحي بسهميك في أعشار قلبٍ مُقتلٍ

فمثل عينيها بسهمي الميسر يعني المعلّى، و له سبعة أنصباء، و الرقيب، و له ثلاثة أنصباء - فصار
جميع أعشار قلبه للسهمين اللذين مثل بهما عينيها، و مثل قلبه بأعشار الجزور، فتمت له جهات الاستعارة
والتمثيل¹²⁶.

و ما أورده بعد ذلك من شواهد، فمبتكر. و الملاحظ أن أكثر تلك الشواهد؛ هو "من قبيل
الكناية والتشبيه الاصطلاحي"¹²⁷.

فمن ذلك: قول الأخطل يهجو التابعة بن جعدة:¹²⁸

¹¹⁹ ابن رشيق: "العمدة"، ج2/ ص 48.

¹²⁰ المصدر نفسه، ج2/ ص 5

¹²¹ عبد العزيز عتيق: "علم البديع" / دار الآفاق العربية/ القاهرة/ ط 1: 2006/ ص 19. و "في تاريخ البلاغة العربية / دار النهضة

العربية/ بيروت/ بدون تاريخ. / ص 234-235

¹²² ابن رشيق: "العمدة" / ج1/ ص 277.

¹²³ المصدر نفسه. ج1/ ص 277

¹²⁴ المصدر نفسه. ج1/ ص 277

¹²⁵ ينظر: ضيف: "البلاغة تطور وتاريخ"، ص 148

¹²⁶ ابن رشيق: "العمدة" / ج1/ ص 277.

¹²⁷ ابن عبد الله شعيب: "علم البيان" / دار الهدى/ عين مليلة/ الجزائر/ بدون تاريخ/ ص 26.

لَقَدْ جَازَى أَبُو لَيْلَى بِقَحْمٍ وَمُنْتَكِبٍ عَنِ التَّقْرِيبِ وَإِنْ
إِذَا هَبَطَ الْحَبَارَ كَبَا لِفِيهِ وَخَرَّ عَلَى الْجَحَافِلِ وَالْجِرَانِ

قال: و إنما عيّره بالكبر، و إنّما هو شاب حديث السن...¹²⁹

و من ذلك قول أبي خراش في قصيدة رثى بها زهير بن عجردة، و قد قتله جميل بن معمر يوم حنين

مأسورا:

فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَ لَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرِّقَابِ السَّلَاسِلُ¹³⁰

يقول: نحن من عهد الإسلام في مثل السلاسل، و إلا فكنا نقتل قاتله، وهو من قول الله عز

وجل في بني إسرائيل: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾¹³¹، يريد بذلك الفرائض

المانعة لهم من أشياء رخص فيها لأمة محمد¹³².

و من جيد التمثيل قول ضباعة بنت قرط، تراثي زوجها هشام بن المغيرة المخزومي:

إِنَّ أَبَا عُثْمَانَ لَمْ أَنْسَهُ وَإِنَّ صَمْتًا عَنْ بُكَاءِ لُحُوبِ

تُفَاقِدُوا مِنْ مَعْشَرٍ! مَالَهُمْ أَيِّ ذُنُوبٍ صَوَّبُوا فِي الْقَلْبِ؟¹³³

¹²⁸ الأخطل: "الدبوان" / شرح مهدي محمد ناصر الدين / دار الكتب العلمية / بيروت / ط2: 1994 / ص 345

¹²⁹ ابن رشيق: "العمدة"، ج1/ص 278

¹³⁰ ذكر هذا البيت ابن قتيبة: "تأويل مشكل القرآن"، ص 149، و ذكر معه بيتا آخر، ونسبها إلى أبي ذؤيب الهذلي، و الصحيح أنّها لأبي خراش الهذلي، كما ذكر السيد أحمد صقر (هامش ص 148). وينظر: "ديوان الهذليين" / دار الكتب المصرية/القاهرة/ط2:

1995/ج1/ص 150

¹³¹ سورة الأعراف، الآية 157

¹³² ابن رشيق: "العمدة" / ج1/ص 278

¹³³ المصدر نفسه. ج1/ص 278

ومن كلام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي التَّمثِيلِ، قَوْلُهُ: " الصَّوْمُ فِي الشَّتَاءِ الْغَنِيمَةُ الْبَارِدَةُ " وَقَوْلُهُ :
" الْمُؤْمِنُ فِي الدُّنْيَا ضَيْفٌ، وَمَا فِي يَدَيْهِ عَارِيَةٌ، وَالضَّيْفُ مَرْتَحِلٌ وَالْعَارِيَةُ مُؤَدَاةٌ، وَنَعَمُ الصَّهْرِ الْقَبْرِ " ¹³⁴.

ومن ملبح أناشيد التمثيل قول ابن مقبل:

إِنِّي أَقَيْدُ بِالْمَأْثُورِ رَاحِلَتِي وَلَا أَبَالِي وَإِنْ كُنَّا عَلَى سَفَرٍ

فقوله: "أقيد بالمأثور" تمثيل بديع، والمأثور هو السيف الذي فيه أثرٌ، وهو الفرند ¹³⁵.

و قال أبو الطيب ¹³⁶ و ذكر نزارا :

فَأَقْرَحَتِ الْمَقَاوِدُ ذِفْرِيَّهَا وَصَعَرَ خَدَّهَا هَذَا الْعِذَارُ

ووصف رحا فقال، وهو ملبح متمكن جدًا:

يُعَادِرُ كُلَّ مُلْتَفِتٍ إِلَيْهِ وَلَبَّتْهُ لِتَغْلِبِهِ وَجَارُ

و قال يخاطب سيف الدولة:

بُنُوكَعْبٍ وَمَا أَثَرَتْ فِيهِمْ يَدٌ لَمْ يُدْمِمْهَا إِلَّا السَّوَارُ

بها من قطعها ألم ونقص ¹³⁷ وفيها من جلايتها ائبخار

¹³⁴ المصدر نفسه، ج/1 ص 278، 279

¹³⁵ المصدر نفسه، ج/1 ص 279، وابن مقبل: "الديوان" /تحقيق: عزة حسن/ دار الشرق العربي/بيروت/ 1995/ ص 73

¹³⁶ الأبيات الأربعة كلها للمتنبى من قصيدة واحدة مطلعها:

طوال قنا تطاعنها قصار و قطرك في ندى ووعى بحار

ناصر اليازجي : "العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب" / دار الحجي لبيروت/ دار نظير عبود/ بدون تاريخ/

ج/2 ص 757

¹³⁷ ابن رشيق : "العمدة" / ج/1 ص 279-280.

والصورة في البيتين الأخيرين هي التشبيه. قال الدكتور أبو موسى: "...المراد أنهم يد لم يدمها إلا السوار، فأنت زينهم كما يكون السوار زينا لليد، وأنت الذي أوجعتهم وأدميتهم، كذلك السوار نفسه الذي يدمي اليد المزينة به، ويقول بعده:

بها من قطعها ألم و نقص وفيها من جلايتها افتخار

فأعاد المعنى في صورة شرح فيها وجه الشبه، والمهم أن التشبيه هنا بني على تشابك الكلمات وتآلفها، ومأخوذ مما بين الكلمات من علاقات¹³⁸

ولعل من الأدلة الواضحة على أن مفهوم " التمثيل " عند ابن رشيق كان عاما، كما كان عند من سبقوه، أتنا نجد في "باب الإشارة" يذكر أن من أنواع الإشارات: "الكناية و التمثيل"¹³⁹، قال الدكتور طبانة: "والكناية والتمثيل يعدهما بن رشيق نوعا واحدا، وهما من أنواع الإشارات عنده"¹⁴⁰ وقد أورد على ذلك قول ابن مقبل - وكان جافيا في الدين - يبكي أهـ ل الجاهلية و هو مسلم فقي ل له مرة في ذلك ، فقال:¹⁴¹

وَمَا لِي لَا أَبْكِي الدِّيارَ وَ أَهْلَهَا وَقَدْ رادها رُوادُ عَكِّ وَ جَمِيرًا

وَجاءَ قَطًّا الأَحبابِ مِنْ كُلِّ جانِبٍ فَوَقَّعَ في أَعْطانا ثُمَّ طَيَّرًا

قال: " فكتى عمّا أحدثه الإسلام و مثل كما ترى"¹⁴²

¹³⁸ محمد أبو موسى : "التصوير البياني" /مكتبة وهبة/القاهرة/ط3: 1993/ص 69

¹³⁹ ابن رشيق : "العمدة" ، ج 1 /ص 305

¹⁴⁰ بدوي طبانة : "علم البيان" /دار الثقافة/بيروت/بدون تاريخ/ص 229

¹⁴¹ ابن مقبل: "الديوان" ، ص 109

¹⁴² ابن رشيق: "العمدة" /ج1/ ص 305.

ومن الملاحظات الدقيقة التي أبدتها ابن رشيق في هذا الباب، ملاحظته أن ثمت فرقا بين التمثيل والاستعارة، وبين التشبيه، وإن كان التمثيل والاستعارة أصلهما من التشبيه. قال: " والتمثيل والاستعارة من التشبيه، إلا أنّها بغير أدواته، وعلى غير أسلوبه " ¹⁴³.

ثم تحدث بعد ذلك عن " المثل "، ذاكراً أنه راجع إلى ما ذكره، أي إلى " التمثيل والاستعارة " الذين هما من التشبيه، و لكن بغير أدواته، وعلى غير أسلوبه، وأورد على ذلك قول طرفة في معلقته:

سَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودْ ¹⁴⁴

قال: " لأن معناه ستبدي لك الأيام كما أبدت لغيرك، و يأتيك بالأخبار من لم تزود كما جرت عادة الزمان. . و تسمية " المثل " دالة على ما قلته؛ لأن المثل والمثل: الشبيه والتظير " ¹⁴⁵ ... ومن حديثه هذا عن المثل ففهم أيضاً أنّ الباب الذي عقده بعد باب " التمثيل "؛ وهو " باب المثل السائر " ¹⁴⁶، إنما هو ملحق به، أفرده لإشباع الكلام فيه، و ذلك لشرفه عند العرب، وإكثارها منه في كلامها نظماً و نثراً، ولوروده في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في كثرة لافتة. قال الدكتور شوقي ضيف بعد حديثه عن التمثيل عند ابن رشيق: " ويضيف إليه فصلاً عن المثل السائر، ومعروف أن البلاغيين يدخلونه في التمثيل أو الاستعارة التمثيلية " ¹⁴⁷ وقد فصل فيه ابن رشيق القول، مثل له بأمثلة كثيرة، من القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب نظماً ونثراً. ¹⁴⁸

وقد صرّح بعض البلاغيين بهذا الأمر، ألا وهو إلحاق ما خرج مخرج المثل السائر بالتمثيل، ولعلمهم في ذلك يتأثرون ابن رشيق في عمدته، ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر:

¹⁴³ المصدر نفسه، ج/1 ص 280.

¹⁴⁴ طرفة بن العبد: "الديوان" /شرح: محمدي محمد ناصر الدين /دار الكتب العلمية/بيروت/ ط 3: 2002 /ص 29. والروزي: "شرح المعلقات السبع" / ص 103.

¹⁴⁵ ابن رشيق: "العمدة" /ج/1 ص 280.

¹⁴⁶ المصدر نفسه، ج/1 ص 280 وما بعدها.

¹⁴⁷ ضيف: "البلاغة تطور وتاريخ"، ص 148

¹⁴⁸ ابن رشيق: "العمدة" /ج/1 ص 280 وما بعدها.

ابن أبي الإصبع المصري (ت: 654هـ)، في كتابه "تحرير التّحبير في صناعة الشعر و النثر و بيان
إعجاز القرآن "

و أبا محمد القاسم السّجلّاسي (المتوفّى بعد سنة 700هـ. على التّراجح).

في كتابه "المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع".

و مرعيّ بن يوسف الحنبليّ (ت: 1033هـ)، في كتابه: " القول البديع في علم البديع ".

و من نافلة القول أن نقول إنّ كلام هؤلاء الثلاثة في " التّمثيل ": حدّا واستشهادا لا يخرج عمّا كتبه

قدامة و أبو هلال و الباقلاني و ابن رشيق، رغم تأخرهم¹⁴⁹.

¹⁴⁹ - ابن أبي الإصبع المصري: "تحرير التّحبير" // تحقيق: حنفي محمد شرف / نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي/ المجلس الأعلى للشؤون
الإسلامية/ الجمهورية العربية المتحدة / ص 214 وما بعدها

- وأبو محمد القاسم السّجلّاسي: " المنزع البديع" // تحقيق: غلال الغازي / مكتبة المعارف/ الزّباط/ المغرب/ ط 1: 1980 / ص
244 وما بعدها

- ومرعيّ بن يوسف: " القول البديع" // تحقيق: محمد بن علي الصّامل / دار كتوز إشبيليا/ م.ع. السعودية/ ط 1: 2004 /
ص 191 وما بعدها

ابن سنان الخفاجي

هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت: 466هـ)، صاحب كتاب "سرّ الفصاحة" الذي يعد "من أروع ما أفرزته القريحة العربية في القرن الخامس الهجري، عصر عبد القاهر الجرجاني"¹⁵⁰. وهو كتاب حافل "عني فيه بتفسير الفصاحة و ما يطوى فيها من الصوّر البيانية و البديعية"¹⁵¹.

وقد تحدث ابن سنان عن "التمثيل"، وهو عنده من نعوت الفصاحة والبلاغة، قال: "... ومن نعوت الفصاحة و البلاغة: أن يراد معنى فيوضح بألفاظ تدلّ على معنى آخر، وذلك المعنى مثال للمعنى المقصود"¹⁵². والأمثلة التي أوردها كلّها تقدّمت عند من سبقوه، كبيت زهير، و ابن ميادة، و كلمة يزيد بن الوليد...¹⁵³

وعليه فالتمثيل عنده كما عند قدامة وابن رشيق يتطابق مع ما سّماه أبو أحمد العسكريّ باسم المائثلة إذ يشمل الاستعارة التمثيلية، وبعض صور الكناية...¹⁵⁴

غير أنّ الأمر الذي يستحق التنويه، والوقوف عنده، هو حديثه عن فائدة "التمثيل"، وأثره في أداء المعنى، وسبب حسنه...وعنده أنّ ذلك راجع إلى أمرين هما: "الإيجاز والإيضاح". وكان قد تحدث عنهما - قبل حديثه عن التمثيل - بشيء من التفصيل، واعتبرهما من شروط الفصاحة والبلاغة...¹⁵⁵ قال ابن سنان: "...وسبب حسن هذا -أي التمثيل- مع ما يكون فيه من الإيجاز، أن تمثيل المعنى يوضّحه

¹⁵⁰ عبد العظيم المطعني: "من قضايا البلاغة و التقد" / ص 15

¹⁵¹ شوقي ضيف: "البلاغة تطوّر و تاريخ" / ص 152

¹⁵² ابن سنان الخفاجي: "سرّ الفصاحة" / تحقيق: علي فودة / مكتبة الخانجي / القاهرة / ط2: 1994 / ص 221

¹⁵³ المصدر نفسه، ص 221 وما بعدها

¹⁵⁴ شوقي ضيف: "البلاغة تطوّر و تاريخ"، ص 157

¹⁵⁵ ابن سنان الخفاجي: "سرّ الفصاحة"، ص 194، و ص 209

ويخرجه إلى الحسّ والمشاهدة، وهذه فائدة التمثيل في جميع العلوم، لأنّ المثال لا بدّ من أن يكون أظهر من الممثل، فالغرض بإيراده إيضاح المعنى وبيانه...¹⁵⁶

وفي تعليقه على الشواهد التي ذكرها، نجد يبرز هذه الفائدة، فيقول مثلا بعد إيراده لبیت الزّماح بن ميادة:

ألم تك في يميني يديك جعلتني.....

"... فعدل في العبارة عن ذلك إلى أيّ كنت في يمينك، فلا تجعلني في شالك، لأن هذا المثال

أظهر إلى الحسّ"¹⁵⁷

وفي تعليقه على بيت زهير:

ومن يعص أطراف الرّجاج.....

يقول: " لأنه عدل عن قوله: ومن لم يطع باللّين أطاع بالعنف، إلى أن قال: ومن لم يطع زجاج الزّماح أطاع الأسنة، وكان في هذا التمثيل بيان المعنى وكشفه"¹⁵⁸...

وهذه الطريقة في العرض، سار عليها ابن سنان في كتابه كله، فهو وإن كان قد عرض لتلك الفنون التي يعرفها البياتيون وعلماء البديع، غير أنه "لم يعرضها عرضا قاعديا، وإنّما يعرضها عرضا أدبيا تقديا، يبين أثرها في صناعة البيان، وعرضا لنماذج جيدة منها وأخرى رديئة، وبيان العلة في استحسانها أو استهجانها بما يدل على العلم الصحيح، والذوق الأدبيّ المستقيم"¹⁵⁹

¹⁵⁶ المصدر نفسه / ص 221

¹⁵⁷ المصدر نفسه / ص 221

¹⁵⁸ المصدر نفسه / ص 221

¹⁵⁹ ابن سنان الخفاجي: "سرّ الفصاحة"، ص 194، و ص 209

و مما يلتحق بمبحث "التمثيل" في كتاب ابن سنان: حديثه في موضع آخر عن "الاستدلال بالتمثيل"، وقد ذكره على أنه من شروط صحّة المعاني¹⁶⁰. "والاستدلال" هو الذي أطلق عليه أبو هلال اسم "الاستشهاد والاحتجاج"¹⁶¹. قال أبو هلال عنه: "...وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر... ومجره مجرى التذييل لتوليد المعنى؛ وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكد بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول والحجة على صحته..."¹⁶².

والاستدلال بالتمثيل عند ابن سنان، هو "أن يزيد في الكلام معنى يدلّ على صحته بذكر مثال له، نحو قول أبي العلاء:

163 لو اختصرتم من الإحسان زُرْتُمْ وَالْعَدْبُ يُهْجَرُ لِلْإِفْرَاطِ فِي الْخَصْرِ

فدلّ على أنّ الزيادة فيما يطلب ربّما كانت سببا للامتناع منه، بتمثيل ذلك بالماء الذي لا يشرب لفرط برده، وإن كان البرد فيه مطلوباً محموداً، ومنه أيضاً قول أبي تمام:

164 أَخْرَجْتُمُوهُ بِكْرِهِ مِنْ سَيْحِيَّتِهِ وَالتَّارُ قَدْ تَنْتَضَى مِنْ نَاضِرِ السَّلْمِ

وقوله:

وَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ نُشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاخَ لَهَا لِسَانَ حَسَوِدِ

165 لَوْلا اشْتِعَالُ التَّارِ فِيمَا جَاوَزَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَزْفِ الْعُودِ

و قول أبي عبادة:

¹⁶⁰ عبد العاطي غريب علام: "البلاغة العربية بين الناقدین الخالدين عبد القاهر الجرجاني و ابن سنان الحفّاجي" /دار

الجيل/بيروت/ط1: 1993/ص 174

¹⁶¹ عبد العزيز عتيق: "في تاريخ البلاغة العربية" / ص 243. وشوقي ضيف: "البلاغة تطور وتاريخ"، ص 158

¹⁶² أبو هلال العسكري: "الصناعتين" / ص 470

¹⁶³ أبو العلاء المعري: "سقط الزند" / دار صادر/بيروت/ 1957/ ص 56

¹⁶⁴ الخطيب التبريزي: "شرح ديوان أبي تمام" /تحقيق محمد عبده عزّام /دار المعارف/ القاهرة/ ط4/ ج3/ ص 189

¹⁶⁵ المصدر نفسه/ ج1/ ص 397

وهذه الأمثلة التي أوردتها؛ تدخل في باب التشبيه، وقد اصطلح المتأخرون على تسمية هذا النوع "بالتشبيه الضمني" ... وهو: "تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة بل يلحان في التركيب. وهذا النوع من التشبيه يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن" ¹⁶⁸ ... والتشبيه الضمني هو ضرب من التشبيه التمثيلي ¹⁶⁹. وعبد القاهر الجرجاني يعبر عنه: "بالتمثيل" الذي يجيء في أعقاب المعاني ¹⁷⁰، وقد تحدث عنه، وبين تأثيره في النفس، وسيأتي بيان ذلك في موضعه...

• وبعد هذا العرض المتسلسل لآراء طائفة من علماء البلاغة والعربية في "التمثيل" لعل من الإنصاف الحديث-ولو بإيجاز-عن علمين كبيرين في مجال البلاغة العربية، لم يرد فيما كتبه مصطلح "التمثيل"، ولكن وردت عندهم إشارات إليه أو إلى بلاغته وحسنه، لا شك في أن من جاءوا بعدهما استفادوا منها...نعني بهما: أبا عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت 255هـ)، وأبا الحسن علي بن عيسى الرماني(ت386هـ).

¹⁶⁶ أبو عبادة البحتري: "الديوان" / دار صادر/ دار بيروت/ بيروت/1962/ ج1/ ص 339

¹⁶⁷ ابن سنان الخفاجي: "سر الفصاحة" / ص 259-260

¹⁶⁸ ابن عبد الله شعيب: "علم البيان"، ص 39

¹⁶⁹ حسني عبد الجليل يوسف: "التصوير البياني بين القدماء والمحدثين" / ص 21

¹⁷⁰ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 115 وما بعدها

__ أما الجاحظ: فقد توقف مرارا في "الحيوان"، وخاصة في جزئيه الرابع والخامس، يكشف عن الدلالات الدقيقة للآيات، وأشار في ثنايا ذلك لما فيها من استعارات وتمثيلات وتشبيهات، وكذلك صنع في تعليقه على بعض الأشعار... والاستعارة عنده من باب المجاز¹⁷¹.

ومن ملاحظاته الدقيقة، إشارته إلى "الاستعارة التمثيلية"، وذلك في قوله: "ويدكرون ناراً أخرى، وهي على طريق "المثل" لا على طريق الحقيقة، كقولهم في نار الحرب، قال ابن ميادة:

يَدَاهُ يَدٌ تَهْلُ بِالْخَيْرِ وَالنَّادَا وَأُخْرَى شَدِيدٌ بِالْأَعَادِي ضَرِيرُهَا

ناراه: نارٌ نارٌ كُلُّ مُدْفَعٍ وَأُخْرَى يُصِيبُ الْمَجْرِمِينَ سَعِيرُهَا...¹⁷²

__ وأما الرّماني: فقد ذكر في رسالته القيمة: "النكت في إيجاز القرآن": "التشبيه" و جعله من أقسام البلاغة، وعرفه بقوله: "التشبيه هو العقد على أن أحد شيئين يسد مسد الآخر في حس أو عقل"¹⁷³، و بذلك قسم التشبيه إلى حسي و عقلي، وسمى الأول: تشبيه حقيقة، والثاني: تشبيه بلاغة¹⁷⁴.

والتشبيه البليغ عند الرّماني: "إخراج الأغمض إلى الأظهر، بأداة التشبيه، مع حسن التأليف"¹⁷⁵، وهو يشير بذلك إلى تفضيل التشبيه العقلي، وحسنه وفائدته؛ ولذلك نجده يقول بعد ذلك: "...وهذا الباب يتفاضل فيه الشعراء، و تظهر فيه بلاغة البلغاء، و ذلك أنه يكسب الكلام بيانا عجيبا..."، ثم ذكر طبقاته في الحسن، وأنه يأتي على وجوه:

- منها: إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، كتشبيه المعلوم بالغائب.

¹⁷¹ شوقي ضيف: "البلاغة تطور و تاريخ" // ص 55

¹⁷² عمرو بن بحر الجاحظ: "الحيوان" / تحقيق: عبد السلام محمد هارون / شركة مصطفى الباني الحلبي وأولاده/ ط 2: 1966 / ج 5/

ص 133. وعبد العزيز عتيق: " في تاريخ البلاغة العربية " // ص 102

¹⁷³ علي بن عيسى الرّماني: "النكت في إيجاز القرآن"، ضمن: "ثلاث رسائل في إيجاز القرآن." // تحقيق: محمد خلف الله، و محمد

زغلول سلام / دار المعارف/ مصر/ بدون تاريخ / ص 74

¹⁷⁴ شوقي ضيف: "البلاغة تطور و تاريخ" // ص 104

¹⁷⁵ الرّماني: "النكت في إيجاز القرآن" ... / ص 75

- ومنها: إخراج ما لم تجر به عادة إلى ما جرت به عادة، كتشبيه البعث بعد الموت بالاستيقاظ بعد النوم.

- ومنها: إخراج ما لا يعلم بالبدئية إلى ما يعلم بالبدئية، كتشبيه إعادة الأجسام بإعادة الكتب.

- ومنها: إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة في الصفة، كتشبيه ضياء السراج بضياء النهار.

ومثل لتشبيهه البلاغة بتشبيهه أعمال الكفار بالسراب، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا

أَعْمَلُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيَعَةٍ تَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾¹⁷⁶ ، ومثل له بآيات أخرى

أكثرها مما أورده البلاغيون في باب "التمثيل"¹⁷⁷.

وهذه التفصيلات في التشبيه، انتفع بها كل من جاءوا بعده مثل أبي هلال وعبد القاهر الجرجاني...

¹⁷⁸ ، بل إن هذا الأخير - كما سيأتي في موضعه - يرى أن التشبيه لا يكون تمثيلاً حتى يكون وجهه عقلياً،

أما التشبيهات الحسية فليست من قبيل "التمثيل" ... وكأنه يستهدي بما أصله الرماني من قبله.

* ونذكر فيما يلي أهم نتائج الفصل المستخلصة:

- أولاً: تبين مما سبق عرضه من آراء و أقوال في التمثيل، أن مفهوم هذا الفن البلاغي عند

السابقين كان عاماً، يطلق على كثير من الصور البيانية كالاستعارة والكناية والتشبيه الاصطلاحي...

ويظهر ذلك جلياً من خلال الشواهد التي مثلوا بها. وقد تبين ذلك مما سبق.

- ثانياً: تبين -أيضاً- أن قدامة بن جعفر يكون أول من عدّ التمثيل مخالفاً للتشبيه، وأول من وضع

له حداً، ومثل له بشواهد تقرّبه من الأفهام... وأوضح دليل على ذلك، تأثر من جاءوا بعده بعمله؛ ذلك

التأثر الشديد.

¹⁷⁶ سورة التور، الآية 39

¹⁷⁷ الرماني: "النكت في إجاز القرآن" ... / ص 75 وما بعدها

¹⁷⁸ شوقي ضيف: "البلاغة تطور و تاريخ" / ص 105. و عبد العزيز عتيق: " في تاريخ البلاغة العربية " / ص 175

- **ثالثاً:** تأثر من تأثر قدامة في عمله، لم يمنع من أن تكون لهم بعض الملاحظات والزيادات

والاستدراكات التي أثرت البحث:

- فمهم من توسع في إيراد الشواهد، وتوقع فيها. فذكر الآيات القرآنية، والأحاديث، والأمثال والأشعار المأثورة عن العرب... كابن رشيق، و أبي هلال.
- ومنهم من جعل "التمثيل" ضرباً من الاستعارة، كالباقلاني وابن رشيق. وهذا الأخير كان أكثر دقة، عندما ذكر أنّ الاستعارة و التمثيل من التشبيه، غير أنّها بغير أدواته، و على غير أسلوبه.
- ومنهم من ركز على فائدة التمثيل و بلاغته وحسنه، وعدّه من نعوت الفصاحة والبلاغة، كابن سنان في "سرّ الفصاحة"، ولاحظ ملاحظة دقيقة أنّ "التمثيل" قد يأتي في أعقاب المعاني، فيكون بمثابة إقامة الدليل و الحجّة على صحّة ذلك المعنى، و لا يخفى ما لهذا من التأثير على النفس...

- **رابعاً:** هناك من البلاغيين من لم يرد عنده مصطلح "التمثيل"، و لكنه أشار إليه إشارة دقيقة،

تحت مستى "المثل" الذي هو عنده من المجاز، كما رأينا عند الجاحظ... أو أشار إليه بأمثلته، وبيان حسنه، حتى سمّاه تشبيه البلاغة، كما سبق عند الرّماني. و هذه الإشارات و الملاحظات؛ أفاد منها من جاءوا بعدها.

- **وبعد:** فهذه الجهود المبذولة من أولئك الأعلام في تحقيق هذا الفن البديع... قد ساهمت مساهمة

كبيرة في تحديد معالمه، وكنفي أصحابها شرفاً أنّ لهم فضل السبق إلى اكتشافه والكشف عن محاسنه... وهي جهود تستوجب الإجلال والتقدير.

الفصل الثاني

تشبيه التمثيل حقيقته ومعناه

إن غرضنا من وراء عقد هذا الفصل الثاني: أن نجلي حقيقة هذا الفن البديع من فنون التصوير، وهذا الأمر يضطرنا إلى البحث عن دلالات مصطلح "التمثيل" في اللغة، وإلى بيان مذاهب علماء البلاغة فيه، ونعني بهم من جاءوا بعد أولئك الذين سبق عرض آرائهم، والذين خلصنا إلى أن مفهوم "التمثيل" عندهم كان عاما يشمل كثيرا من الصور البيانية... وعليه فسنحاول التماس مفهوم هذا الفن وحقيقته من بين آراء من جاءوا بعدهم، عسى أن نخرج من ذلك بما نرتضيه في هذه المسألة، ونظن أنه الصواب الذي ينبغي أن يمثل.

كما سنحاول أن نبين بعض الأسرار التي يزخر بها هذا الفن البليغ، والتي هي مظاهر بلاغته... ولأن المقال يتضح بالمثل، فسنعرض لبعض أمثله من الكلام البليغ، متبعين إياها بشرح يبيط اللثام عن بعض أسرارها.

◆ حقيقة تشبيه التمثيل ومعناه:

*التمثيل في اللغة:

لاشك أن تحديد الدلالة اللغوية لأي مصطلح، هو من أعظم الوسائل الموصلة إلى معرفة حقيقة ذلك المصطلح، والمعينة على فهم معناه، ووجود الفرق دائماً بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، لا ينبغي أن تمت ارتباطاً بينهما، غاية ما في الأمر أن هذا الارتباط قد يكون ظاهراً أحياناً، وأحياناً أخرى يكون خفياً يحتاج إلى تدقيق نظر.

وبناء على هذا، فإن بيان حقيقة "التمثيل" والوقوف على معناه، يستدعي منا الرجوع إلى كتب متون اللغة، والبحث فيها عما تنطوي عليه تصرفات مادة (م ث ل) من معان ودلالات، والمقصود بتصرفات المادة المذكورة: مثل، ومثل، ومثيل...

وإذا رجعنا إلى كتب اللغة المعتبرة، وجدنا ما يلي:

مِثْل: كلمة تسوية، يقال: هذا مِثْلُه ومِثْلُه، كما يقال: شِبْهه وشَبَّهه بمعنى، والمِثْل: الشَّبْه. وقال عز وجل: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلٍ مَّا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ﴾¹⁷⁹، وقال الله تعالى: ﴿مِثْلُ الَّذِينَ أَلْحَقُوا بِهِ مِنَ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمِثْلِ الْعَنْكَبُوتِ الَّتِي اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾¹⁸⁰، أي شبه الذين كفروا شبه العنكبوت.

والمِثْلُ والمِثْلُ كالمِثْلِ، والجمع أمِثْل... ويقال: لي مِثْلُه ومِثْلُه ومِثْلُه ومِثْلُه... ومائِكُ الشيء:

شابهه.

¹⁷⁹ سورة الذاريات، الآية 23.

¹⁸⁰ سورة العنكبوت، الآية: 41.

والطريقة المثلى: الأشبه بالحق، قال تعالى حكاية عن فرعون: ﴿وَيَذَّهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَّى﴾¹⁸¹،
 وَأَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً: أعدلهم وأشبههم بأهل الحق، قال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً﴾¹⁸²، والمثيل: الفاضل،
 يقال: هذا أَمْثَلُ من هذا، أي أفضل وأدنى إلى الخير، وأمائل الناس: خيارهم. وفي الحديث: "أشد
 الناس بلاء الأنبياء ثم الأَمْثَلُ فالأَمْثَلُ"، أي: الأشرف فالأشرف، والأعلى فالأعلى في الرتبة والمنزلة.
 والمثل: ما يضرب به من الأمثال، وتمثل بالشيء: ضربه مثلاً، وفي التنزيل: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ
 مَثَلٍ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾¹⁸³. وهذا البيت مثلٌ تتمثله عندنا وتمثل به، ونتمثله ونتمثل به.

والمثل: الحجّة.

والمثل: بمعنى العبرة، ومنه قوله عز وجل: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾¹⁸⁴، أي عبرة
 يعتبر بها المتأخرون.

والمثال: المقدار، وهو من الشبه، والمثل: ما جعل مثلاً، أي: مقدارا لغيره يجذى عليه... والمثال
 القالب الذي يقدر على مثله... والمثال أيضا معروف، والجمع أمثلة و مثل... والمثال: بمعنى الفراش.
 ومثل الشيء بالشيء: سواه و شبيهه به، وجعله مثله وعلى مثاله... ومثلت الشيء بالشيء إذا
 قدرته على قدره، وتمثل به: تشبّه به.

والمثال: أَرْضُونَ ذات جبال يشبه بعضها بعضا، و لذلك سميت أمثالا.

وأمثل أمره: احتذاه... وأمثل طريقته: اتبعها.

والتمثال بالفتح: التمثيل، وبالكسر: الصورة، ومثله له تمثيلاً: صورته له حتى كأنه ينظر إليه،

وأمثله هو تصوره.

¹⁸¹ سورة طه، الآية: 63.

¹⁸² سورة طه، الآية: 104.

¹⁸³ سورة الحج، الآية: 73.

¹⁸⁴ سورة الزخرف، الآية: 56.

والمثال: القصاص، وأمثلة الرجل: قتله بقود، وأمثلة منه: اقتص.

وتمثال العليل: قارب البرء فصار أشبه بالصحيح.

ومثل الشيء يمثّل مثولاً، ومثل: قام منتصبا.

ومثل بالرجل يمثّل مثلاً ومثلةً، ومثّل، كلاهما: نكل به، وهي المثلة والمثلة، ومثّل بالقتيل:

جدعه، وأمثلة: جعله مثلةً. والمثلة: العقوبة، والجمع: المثلاث. قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ

الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ ۗ﴾¹⁸⁵.

ومثل الشيء بفتحيتين: صفته، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي

الْإِنْجِيلِ ۗ﴾¹⁸⁶، أي: صفتهم، وقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ۗ﴾¹⁸⁷، أي: صفتها، وقيل إنما

معناه التمثيل...¹⁸⁸

فهذه غالب المعاني التي وجدناها، ذكرناها هنا باختصار... وقد لحّص الدكتور: عبد العظيم المطعني القول في هذه المعاني التي تدل عليها تصريفات مادة (م ث ل)، فذكر أن معنى المثل والمثل والمثيل، في كتب اللغة، يكاد ينحصر في التنظير والتشبيه والفضل وقوة الظهور، وفي معنى "صفة" مضافة لما بعدها... فإذا زيد فيها تاء الافتعال كقولنا "امتثل"، دلت على المطاوعة والاتباع، وقد تزايد التاء مع حرف آخر كقولنا: "تمثال" فتدل على بدء الأخذ في الشيء، كتمثال المريض للشفاء، وقد تزايد الألف

¹⁸⁵ سورة الرعد، الآية 6.

¹⁸⁶ سورة الفتح، الآية: 29.

¹⁸⁷ سورة محمد، الآية: 15.

¹⁸⁸ - جمال الدين بن منظور: "لسان العرب"، ج 11 / ص 610 وما بعدها.

- ومجد الدين الفيروزبادي: "القاموس المحيط" / الهيئة المصرية العامة للكتاب / مصر / 1980 / ج 4 / ص 48، 49

- وإسماعيل بن حماد الجوهري: "الصحاح" / تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار / دار العلم للملايين / بيروت / طه: 1990 / ج 4 / ص 1816

- والحسن بن محمد الصغاني: "التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية" / تحقيق: إبراهيم إسماعيل الأبياري / دار

الكتب / القاهرة / 1970 / ج 5 / ص 511

- وجار الله الرمحشري: "أساس البلاغة" / تحقيق: محمد باسل عيون السود / دار الكتب العلمية / بيروت / ط1: 1998 / ج 2 / ص 193

- وأحمد بن محمد الفيومي: "المصباح المنير" / مكتبة لبنان / بيروت / 1987 / ص 215

بعد الثاء ومنه: تَمَثَّلَ وتَمَثَّلَ، بمعنى التمثيل والصورة. والمَثُولُ بزيادة الواو: القيام والانتصاب، وجاء منها المَثَالُ بمعنى الفراش. والأَمَثَلُ والمَثَلَى بمعنى الأفضل والفضلى، والمَثَلُ جمع مَثَلَةٌ بمعنى العقوبة. والمَثَلُ بفتح فسكون: التنكيل بالقتيل بجدع أنفه وقطع أطرافه...¹⁸⁹

ويرى الدكتور المطعني أن هذه المعاني على اختلافها ترجع إلى المقارنة بين شيئين، وأن هذا هو الغالب فيها، وما خرج عن هذا المعنى يمكن إرجاعه إليه عند التحقيق، وأشد المعاني خروجاً عنه في الظاهر، هو كونه بمعنى العقوبة والتنكيل والفراش، وهذه يمكن -كما ذكر- حملها عليه. وقد بين كيفية حملها عليه على النحو التالي:

العقوبة البالغة تصبح ماثلة في الأذهان وتصور للناس للزجر والاعتاظ، ومما يؤيد هذا قوله تعالى:

﴿وَدَسْتَعَجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى

ظُلْمِهِمْ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾¹⁹⁰ فسياق الكلام يدل على التعجيب من شأنهم حيث يستعجلون السيئة، وما فعله الله بأمثالهم مائل لهم كأنهم يرونه، فكان حرياً بهم أن يرتدعوا، وفاصلة الآية: "لشديد العقاب" تؤذن بهذا المعنى، وقد نقل الدكتور هنا تعليقا على هذه الآية نسبة لابن جني، وأحال على "مقاييس اللغة" لأحمد بن فارس والظاهر أنه من كلام بن فارس، إذ لم ينسبه لأحد -وهو قوله: "... أي العقوبات التي تزجر عن مثل ما وقعت لأجله، و يحتمل أنها التي تنزل بالإنسان فتجعل مثالا ينزجر به ويرتدع غيره".¹⁹¹

والتنكيل بجدع الأنف وقص الأطراف، هو كذلك صورة بشعة تمثل للنفس وتقر، فالصورة

الذهنية في هاتين تماثل الصورة الحسية التي وقعت...¹⁹²

¹⁸⁹ عبد العظيم المطعني: "من قضايا البلاغة و النقد"، ص 51.

¹⁹⁰ سورة الرعد، الآية: 6

¹⁹¹ عبد العظيم المطعني: "من قضايا البلاغة و النقد"، ص 52. وأحمد بن فارس: "مقاييس اللغة"/تحقيق: عبد السلام هارون/دار

الفكر/1979/ج5/ص 297

¹⁹² عبد العظيم المطعني: "من قضايا البلاغة و النقد"، ص 52.

وأما كونها بمعنى "الفراش"، فذكر الدكتور أنه تأوله وأوبلا أسعده أن ابن جني - والظاهر أنه لابن فارس كما سبق - قد صرح به فقال: " والمثال: الفراش، وهو شيء يماثل ما تحته أو ما فوقه "193... ليخلص بعد ذلك كله إلى أن معاني مادة (م ث ل) على اختلافها وكثرتها ترجع إلى أصل عام واحد، وإن شذ بعض المعاني عنه، فهو شذوذ من حيث الظاهر، وعند التحقيق تلتقي كل معانيها في التصوير والتجسيم والمماثلة.¹⁹⁴

ولما رجعنا إلى كتاب ابن فارس: "مقاييس اللغة"، وجدناه يذكر أن (الميم والثاء واللام) أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء "... ثم رأيناه يردّ - بعد ذلك - معاني تصريفات المادة (م ث ل) إلى هذا الأصل معللاً لذلك... وهذا الأمر فعله مع كل أصل ذكره في كتابه، ليبين أن اللغة العرب مقاييس وأصولاً ترجع إليها مسائلها المتفرعة عنها - كما ذكر هو في مقدمة كتابه. ويكفي أن ننقل هنا شيئاً من كلامه في مادة (م ث ل) حتى يتبين القارئ حقيقة هذا الأمر - قال ابن فارس: " (مثل): الميم والثاء واللام، أصل صحيح يدل على مناظرة الشيء للشيء... وهذا مثل هذا، أي نظيره. والمثل والمثال في معنى واحد. وربما قالوا: مثل كشيء. تقول العرب: أمثل السلطان فلاناً: قتله قوداً، والمعنى: أنه فعل به مثل ما كان فعله. والمثل المثل أيضاً، كشيء وشبهه، والمثل المضروب مأخوذ من هذا، لأنه يذكر مورى به عن مثله في المعنى. وقولهم: مثل به، إذا نكل، وهو من هذا أيضاً، لأن المعنى فيه أنه إذا نكل به جعل ذلك مثلاً لكل من صنع ذلك الصنيع أو أراد صنعه... ومثل الرجل قائماً: انتصب، والمعنى ذلك، لأنه كأنه مثال نصب... "195

ونستطيع بعد هذا البيان أن نحدد الدلالة اللغوية لمصطلح "التمثيل"، وأنها ترجع إلى معان ثلاث،

وهي: - التمثيل بمعنى "التصوير"

¹⁹³ المرجع نفسه، ص 52

¹⁹⁴ المرجع نفسه، ص 52

¹⁹⁵ أحمد ابن فارس: "مقاييس اللغة"، مادة (مثل)، ج 5 / ص 296 و 297.

والتمثيل بمعنى "التجسيم"، ويمكن أن نستعمل بدله مصطلح "التجسيد"، أو مصطلح "التشخيص".

والتمثيل بمعنى "المماثلة" أو "التشبيه" ... وهذا هو المعنى الغالب عليه.

وظاهر كلام ابن فارس - ومثله في ذلك الدكتور المطعني - أن المعنيين الأولين - وهما التصوير والتجسيم - لا يخرجان عن هذا المعنى الثالث، بل يرجعان إليه، فلا يبقى حينئذ إلا معنى واحد وهو "التشبيه"، أو "المماثلة"، أو "مناظرة الشيء للشيء".

وعلى كل، فإن تحديد الدلالة اللغوية للتمثيل بالتصوير والتجسيم والمماثلة يفيدنا إفادة كبيرة في بيان حقيقة هذا الفن البلاغي البديع، والوقوف على الأسرار التي ينطوي عليها، وبالتالي معرفة أثره في بلاغة الكلام و أداء المعنى...

* التمثيل في الاصطلاح :

إن تحديد معنى "التمثيل" اصطلاحاً وبيان حقيقته... يضطرنا إلى الحديث عن اختلاف مذاهب علماء البلاغة فيه، وبيان آرائهم، وما فيها من صواب، أو ما وقع فيها من خطأ أو قصور، حتى نخرج من ذلك كله بما نظن أنه الصواب الذي ينبغي امتثاله.

1- اختلاف مذاهب العلماء في التمثيل:

لقد اختلفت مذاهب علماء البلاغة في معنى "التمثيل" الاصطلاحى، وتعددت آرائهم، وذلك بناء على اختلاف نظراتهم إلى هذا الفن البلاغى... ولكن هذه الآراء والمذاهب - وإن تعددت و تشعبت - يمكننا ردها إلى مذهبين اثنين، وهما:

أ - مذهب من يجعل التمثيل والتشبيه باباً واحداً.

ب - مذهب من يفرق بينهما... وتحت هذا المذهب الثاني مذاهب.

أ - مذهب من يجعل التمثيل والتشبيه باباً واحداً:

وأصحاب هذا المذهب قد نظروا "إلى اتحاد الدلالة اللغوية لكل من التشبيه والتمثيل، فجعلوها مترادفين، ولم يفرقوا بينهما، فكل تمثيل عندهم تشبيه، وكل تشبيه تمثيل" ¹⁹⁶. ومن أبرز أصحاب هذا المذهب: ضياء الدين ابن الأثير (ت: 637هـ)، وجار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت: 538هـ). فأما ابن الأثير: فقد صرح في كتابه: "المثل السائر" بأن التشبيه والتمثيل شيء واحد، مستدلاً على ما ذهب إليه اتحاد دلالتهم في أصل الوضع، وعائبا على علماء البيان ما ذهبوا إليه من التفرقة بينهما... قال ابن الأثير: "وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل، وجعلوا لهذا بابا مفردا، ولهذا بابا مفردا، وهما شيء واحد لا فرق بينهما في أصل الوضع، يقال: شبهت هذا الشيء بهذا الشيء، كما يقال: مثلته به، وما أعلم كيف خفي ذلك على أولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه..." ¹⁹⁷

قال علي الجندي معلقا على هذا الكلام: "وما عابه ابن الأثير ليس بعيب، واتحاد التشبيه والتمثيل في أصل الوضع لا يخفى على العلماء، ولكن المعروف أنه يوجد فرق دائما بين العرف اللغوي والاصطلاحي..." ¹⁹⁸

وأما الزمخشري: فلم يصرح بأن التمثيل والتشبيه شيء واحد، ولكن يفهم ذلك من كلامه في تفسيره: "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، إذ نجده يعبر عن التشبيه بكلا المصطلحين، ويطلقهما من دون أن يفرق بينهما، والرجوع إلى تفسيراته لآي القرآن كقيل بتجلية هذه الحقيقة وإيضاحها.

فنحن نجده مثلا يقول في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ

الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ ¹⁹⁹: "وقد عد في مساوي الآداب أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من أولي المروءة، ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وإن بلغت منه الرجلة، فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير،

¹⁹⁶ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" / مؤسسة المختار / القاهرة / ط1 1998 / ص 148. وعلي الجندي: "فن التشبيه" / مكتبة الأنجلو المصرية / ط2: 1966 / ج1 / ص 32. وبدوي طبانة: "البيان العربي"، ص 244.

¹⁹⁷ ابن الأثير: المثل السائر، ج1 / 373.

¹⁹⁸ علي الجندي: "فن التشبيه"، ج1 / 32.

¹⁹⁹ سورة لقمان، الآية 19.

وتمثيل أصواتهم بالنهاق، ثم إخلاء الكلام من لفظ التشبيه، وإخراجه مخرج الاستعارة، وأن جعلوا حميرا وصوتهم نهاقا، مبالغة شديدة في الذم والتعجب، وإفراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب عنه، وتنبيه على أنه من كراهة الله بمكان...²⁰⁰

قال الدكتور عبد الفتاح فيود معلقا على هذا الكلام: "فتشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير تشبيه صريح، وكذا تشبيه أصواتهم بالنهاق، ولكن الزمخشري أطلق على الأول التشبيه، وسمى الثاني تمثيلا، وذلك لأنه لا يفرق بين التشبيه والتمثيل، بل جعلهما مترادفين".²⁰¹

ويرى الدكتور شوقي ضيف أن الزمخشري - في حديثه عن التشبيه والتمثيل - إنما يصدر عن آراء عبد القاهر، ويردد كلامه، وقد يكون أهم شيء خالفه فيه تسمية التشبيه تمثيلا، وكأنه كان لا يجد فارقا بينهما في أي التنزيل...²⁰²

أما السبب في عدم تفرقة الزمخشري بين التشبيه والتمثيل، فيرى الدكتور شوقي لذلك سببا آخر - غير ما أسلفنا من أنه هو وابن الأثير يكونان قد نظرا إلى اتحاد الدلالة اللغوية لكل من التشبيه والتمثيل فجعلاهما مترادفين - حيث يقول: "...ولعل مرجع ذلك أن وجه الشبه في التشبيهات القرآنية، يغلب أن يكون عقليا، وكأنه جعل التشبيه الذي يكون فيه وجه الشبه عقليا تمثيلا، سواء أكان مركبا كما قال عبد القاهر، أو كان متعددا أو مفردا".²⁰³

وعلى كل فإذا كان الزمخشري وابن الأثير قد نظرا تلك النظرة، وجعلا التشبيه والتمثيل شيئا واحدا، فإن معظم علماء البلاغة يفرقون بينهما، وهم وإن اختلفت وجهة نظرهم في ذلك التفريق، فإنهم قد اعتمدوا على وجه الشبه المنتزع من الطرفين، وعولوا عليه في تحديد التمثيل والتفرقة بينه وبين التشبيه...²⁰⁴

²⁰⁰ جار الله الزمخشري: "الكشاف" / مكتبة العبيكان / الرياض / ط1: 1998 / تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض / ج5 / ص 18.

²⁰¹ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية"، ص 148.

²⁰² شوقي ضيف: "البلاغة تطور و تاريخ"، ص 238.

²⁰³ شوقي ضيف: "البلاغة تطور و تاريخ"، ص 241.

²⁰⁴ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية"، ص 149.

ب- مذهب من يفرق بينهما:

وعلى رأس أصحاب هذا المذهب: نجوم ثلاثة، تبوؤوا من سماء البلاغة العربية مكانا عليا، وأضأوا لمن جاءوا بعدهم طريقها فاهتدوا إليها، فهم بعد لا يصدرن - في الغالب - إلا عن آرائهم... ونعني بهم: أبا بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت: 471هـ)، وأبا يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت: 626هـ)، صاحب الكتاب المشهور: "مفتاح العلوم"، وجلال الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت: 739هـ) صاحب الكتاين الذين صاروا عمدة المتأخرين: "تلخيص المفتاح"، و"الإيضاح"... ولهذا فسيكون التركيز على بيان آراء هؤلاء الثلاثة في "التمثيل"، وبدرجة أخص على آراء الأخيرين، أما عبد القاهر، فسيأتي بيان آرائه مفصلة في الفصل الثالث، ولذلك فسيكون الحديث عنه مقتضبا، وبالقدر الذي يعيننا على فهم آراء السكاكي والخطيب، ومقارنتها بما ذهب إليه...

- رأي عبد القاهر الجرجاني:

وخلاصة مذهبه في "التمثيل" والفرق بينه وبين التشبيه: أن التشبيه: هو ما كان وجه الشبه فيه حسيا- أي مدركا بالحس - سواء أكان مفردا أم مركبا، كتشبيه الشيء إذا استدار بالكرة أو بالحلقة، كتشبيه الثريا بعنقود الكرم المنور... وكذلك ما كان وجه الشبه فيه غرزيا، أي من جهة الغرائز والطباع، أي: عقليا حقيقيا، كتشبيه الرجل بالأسد في الشجاعة مثلا، فوجه الشبه هنا له وجود حقيقي في كلا الطرفين...

أما "التمثيل": فهو بعكسه، أي ما كان وجه الشبه فيه عقليا غير غرزي (غير حقيقي)، لا يحصل ولا يتم للمرء إلا بتأول وصرف عن الظاهر، سواء أكان مفردا أو مركبا، كما في تشبيه الحجة بالشمس في الظهور، فوجه الشبه في هذا المثال ليس له وجود حقيقي في كتنا الطرفين، فيحتاج للوقوف عليه إلى تأول وصرف عن الظاهر²⁰⁵

²⁰⁵ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 90 وما بعدها.

ويرى عبد القاهر أن التمثيل قد يكون مجازاً، لمحيئك به على حد الاستعارة، كما في قولك للرجل يتردد في شيء بين فعله وتركه: "أراك تقدم رجلاً و تأخر أخرى"²⁰⁶.

- رأي السكاكي:

لقد بين السكاكي مذهبه في التمثيل، يميز له عن التشبيه... وذلك بقوله: "واعلم أن التشبيه متى كان وجهه وصفاً غير حقيقي، وكان منتزعا من عدة أمور، خصّ باسم التمثيل..."²⁰⁷. يؤخذ من هذا النص أن التمثيل عنده هو ما استجمع أمرين اثنين:

الأول: أن يكون وجهه وصفاً غير حقيقي، أي: "عقلياً غير حقيقي أي غير غرزي بأن لا يكون من الغرائز والطباع"²⁰⁸، وهو في هذا موافق لمذهب عبد القاهر.

والثاني: أن يكون وجهه منتزعا من عدة أمور، "وبذا يكون التمثيل عنده أخص من التمثيل عند عبد القاهر؛ لأن عبد القاهر يرى أن منه ما كان وجه الشبه فيه عقلياً غير حقيقي وكان مفرداً، والسكاكي لا يرى مثل هذا تمثيلاً، بل يخصه بالمرکبات العقلية"²⁰⁹.

- ومن أمثلة التمثيل عند السكاكي: قول عبد الله بن المعتز²¹⁰:

اصْبِرْ عَلَى مَضِّ الْحَسُو
فَالْتَأُرْ تَأْكُلُ نَفْسَهَا
دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ
إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

قال: "فإن تشبيه الحسود المتروك مقاولته بالنار التي لا تمد بالخطب، فيسرع فيها الفناء، ليس إلا في أمر متوهم له، وهو ما تنوهم إذا لم تأخذ معه في المقابلة، عسى أن يتوصل بها إلى نفثة مصدر، من قيامه إذ ذاك مقام أن تمنعه ما يمد حياته ليسرع فيه الهلاك، وإنه كما ترى منتزع من عدة أمور"²¹¹.

²⁰⁶ عبد القاهر الجرجاني: "دلائل الإعجاز"، ص 68-69.

²⁰⁷ أبو يعقوب السكاكي: "مفتاح العلوم"/تحقيق: نعيم زرزور/دار الكتب العلمية/بيروت/ ط2: 1987/ ص 348، وأحمد مطلوب: "البلاغة عند السكاكي"/مكتبة النهضة/بغداد/ ط1: 1964/ص 222 و 326

²⁰⁸ سيد محمود شيخون: "الإيضاح في التمثيل البلاغي"/ دار الكتاب الحديث/ القاهرة/ 2006/ ص 11.

²⁰⁹ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 192.

²¹⁰ عبد الله بن المعتز: الديوان"/ طبعة دار صادر/ بيروت/ ص 389. وفيه بدل قوله: "على مضض الحسود": "على حسد الحسود".

²¹¹ السكاكي: "مفتاح العلوم" ص 346-347.

- ومن ذلك أيضا قول صالح بن عبد القدوس:

وَإِنَّ مَنْ أَدَّبْتُهُ فِي الصَّبَا كَالْعُودِ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرْسِهِ

حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا نَاضِرًا بَعْدَ الَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ يُؤْسِهِ

فإن تشبيهه المؤدب في صباه بالعود المسقي أوان الغرس، المونق بأوراقه ونضرتة... ليس إلا فيما يلزم كونه: مذهب الأخلاق، مرضي السيرة، حميد الفعال لتأدية المطلوب بسبب التأديب المصادف وقته من تمام الميل إليه، وكمال استحسان حاله، وإنه كما ترى أمر تصوّري لا صفة حقيقية، وهو مع ذلك منتزع من عدة أمور...²¹²

ومن ذلك من القرآن، قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الَّذِينَ حُمِلُوا

تَحْمِيلُ أَسْفَارًا﴾²¹³، قال: فإن وجه الشبه: بين أحبار اليهود الذين كلّفوا العمل بما في التوراة ثم لم يعملوا

بذلك... وبين الحمار الحامل للأسفار... وهو حرمان الانتفاع بما هو أبلغ شيء بالانتفاع به مع الكد والتعب في استصحابه، وليس بمشبهه كونه عائدا إلى التوهم، ومركبا من عدة معان "²¹⁴.

ويرى السكاكي أن التشبيه التمثيلي متى فننا استعماله على سبيل الاستعارة لا غير سمي مَثَلًا، ولورود الأمثال على سبيل الاستعارة لا تغير...²¹⁵. وكلامه هذا يدل على أنه يرى أن التمثيل قد يكون مجازا بالإتيان به على حد الاستعارة لا غير.

- رأي الخطيب القزويني :

أما الخطيب فإنه يرى أن التمثيل هو ما كان وجهه وصفا منتزعا من متعدد أمرين أو أمور...²¹⁶.

وغير التمثيل ما كان بخلاف ذلك²¹⁷.

²¹² السكاكي: "مفتاح العلوم"، ص 347.

²¹³ سورة الجمعة الآية 5.

²¹⁴ السكاكي: "مفتاح العلوم"، ص 349.

²¹⁵ المصدر نفسه ص 349، و شوقي ضيف: "البلاغة تطور و تاريخ" ص 303.

²¹⁶ الخطيب القزويني: "الإيضاح في علوم البلاغة" / دار الكتب العلمية / بيروت / بدون تاريخ / ص 253.

²¹⁷ المصدر نفسه، ص 255.

ومعنى كلامه هذا، أنه لا يشترط في التمثيل إلا شرطا واحداً، وهو أن يكون وجه الشبه فيه مركبا، سواء أكان هذا الوجه عقليا أم حسيا، أي أنه: ينظر في تفريقه بين التشبيه والتمثيل إلى التركيب والإفراد، فما كان وجه الشبه فيه مفردا فهو تشبيه سواء أكان عقليا أم حسيا... وما كان وجه الشبه فيه مركبا فهو تمثيل، سواء أكان حسيا أو عقليا²¹⁸.

وقد مثل القزويني للمركب العقلي بالأمثلة ذاتها التي أوردتها السكاكي من قبله، كيتي عبد الله بن المعتز وصالح بن عبد القدوس - وقد سبق ذكر آياتها- وكآية سورة البقرة وهي قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ

219 220
... ﴿

أما المركب الحسي، فكقول بشار بن برد:

كَأَنَّ مَثَارَ النَّعْجِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافِنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ

فوجه الشبه هنا: " هو الهيئة الحاصلة من هُويِّ أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار، متفرقة في جوانب شيء مظلم"²²¹.

ويرى القزويني أيضا أن التمثيل قد يأتي على سبيل الاستعارة، وهو ما سماه المجاز المركب وعرفه بقوله: "... وأما المجاز المركب فهو اللفظ المركب المستعمل فيما شُبِّهَ بمعناه الأصلي تشبيه التمثيل، للمبالغة في التشبيه... أي تشبيه إحدى صورتين منتزعتين من أمرين أو أمور أخرى " ثم تدخل المشبهة في جنس المشبه بها مبالغة في التشبيه، فتذكر بلفظها من غير تغيير بوجه من الوجوه... "²²² . ثم مثل له بأمثلة مختلفة، نكتفي منها هنا بذكر مثال واحد للإيضاح... وهو كلمة الوليد بن يزيد لما بويغ إلى مروان بن محمد، وقد بلغه أنه متوقف في البيعة له، فكتب إليه: "أما بعد: فأني أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى، فإذا

²¹⁸ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 194.

²¹⁹ سورة البقرة الآية 17

²²⁰ القزويني: "الإيضاح" ص 254 وما بعدها.

²²¹ الخطيب القزويني: "الإيضاح" ص 231.

²²² المصدر نفسه ص 312.

أتاك كتابي هذا، فاعتمد على أيها شأت والسلام "فشبه صورة تردده في المبايعة بصورة تردد من قام يذهب في أمر فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا، وتارة لا يريد يؤخر أخرى...²²³، ثم ذكر أمثلة أخرى ثم قال: "... وكلّ هذا يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة وقد يسمى التمثيل مطلقا ومتى فشا استعماله كذلك سمي مثلا...²²⁴".

ومذهب الخطيب القزويني هذا في التمثيل، هو مذهب الجمهور من علماء البلاغة الذين جاءوا من بعده يرون رأيه و يقررون ما قرره.

ويبقى بعد هذا العرض والبيان لآراء أولئك الثلاثة في "التمثيل" ... تقديم موازنة بينها توقف القارئ على أوجه الاتفاق والاختلاف... وذلك بأن يقال:²²⁵

- اتفقت تلك الآراء على أن التشبيه الذي يكون وجه الشبه فيه مفردا حسيا أو عقليا حقيقيا، فهو تشبيه صريح ظاهر وليس تمثيلا... واتفقت أيضا على أن التشبيه الذي يكون وجه الشبه فيه مركبا عقليا فهو تمثيل وليس تشبيها صريحا...

- واختلفت فيما كان الوجه فيه مفردا عقليا غير حقيقي، فانفرد الإمام عبد القاهر بجعله تمثيلا، وخالفه السكاكي والخطيب فجعله من قبيل التشبيه الظاهر... كما اختلفت أيضا فيما كان الوجه فيه مركبا حسيا، فانفرد الخطيب القزويني بجعله تمثيلا، وخالفه الشيخان فجعله تشبيها صريحا ظاهرا...

2- حقيقة التمثيل:

يرى الدكتور محمود شيخون أننا إذا تأملنا في حديث عبد القاهر والسكاكي والخطيب القزويني عن التمثيل والتشبيه، "فإننا نراهم يعتمدون في إيضاح الفرق بينهما على احتياج الوجه إلى بذل الجهد والمشقة أو عدم احتياجه إلى ذلك... فإذا كان الطريق إليه سهلا ميسورا لوضوحه وقربه، سمو التشبيه المعقود عليه تشبيها غير تمثيلي". وإذا كان الطريق إليه وعرا لدقته وبعده، سمو التشبيه المعقود عليه "تشبيها تمثيلا"²²⁶

²²³ المصدر نفسه ص 312 و ما بعدها.

²²⁴ المصدر نفسه ص 315.

²²⁵ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 194-195.

²²⁶ محمود شيخون: "الإيضاح في التمثيل البلاغي"، ص 18.

وإذا كان الأمر كذلك، فقد لاحظ الدكتور شيخون أن تلك الآراء الثلاثة مع وجاهتها ورسوخ

أقدام أصحابها في البلاغة العربية... فيما شيء من القصور:

- فعبد القاهر والسكاكي ينفيان التمثيل عما كان الوجه فيه حسياً مركباً مع أن هذا الوجه وإن كان مدركاً بالحواس إلا أن انتزاعه من الطرفين ونظمه في هيئة مركبة يحتاج إلى إعمال فكر وإطاف الروية كالوجه العقلي فينبغي أن يكون التشبيه المعقود عليه من قبيل التمثيل؛ لأنه مشارك للمركب العقلي في احتياجه إلى بذل الجهد والمشقة حتى يمكن تحصيله و العثور عليه...²²⁷.

ويرى الدكتور عبد الفتاح فيود أيضاً أن "التشبيهات التي يكون فيها وجه الشبه مركباً حسياً ينبغي أن تعد من قبيل التمثيل؛ لأن انتزاع ذلك الوجه المركب من طرفيه يحتاج إلى تأمل ولطف فكرة، فهو وإن كان مدركاً بالحواس الظاهرة، إلا أن الخفاء فيه لا يقل عن الخفاء الموجود في وجه الشبه المفرد العقلي غير الحقيقي، ولذا لا يكون من الصواب أن تعد هذه التشبيهات المفردة تمثيلاً وتجعل تلك المركبات الحسية من التشبيه الظاهر...²²⁸.

والحق أن من تأمل أمثلة التشبيهات التي وجه الشبه فيها مركب حسي، تبين له صحة هذا الرأي ووجاهته، وفيما يلي بعض الأمثلة التي تؤيد صحة هذا المذهب:

فمن ذلك قول أبي الطيب المتنبي²²⁹:

يَهْرُ الْجَيْشُ حَوْلَكَ جَانِبَيْهِ كَمَا نَفَّضَتْ جَنَاحَيْهَا الْعُقَابُ

فوجه الشبه: تلك الحركة المزدوجة من تقدم وتقهقر، وهي صورة متعددة الجوانب، تظهر فيها حركة

التقدم وحركة التراجع...²³⁰

ومن ذلك قول ابن المعتز يصف السماء بعد تقشع سحابة:²³¹

كَأَنَّ سَمَاءَنَا لَمَّا تَجَلَّتْ خِلَالَ نُجُومِهَا عِنْدَ الصَّبَاحِ

²²⁷ المرجع نفسه، ص 17.

²²⁸ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 195.

²²⁹ ناصيف اليازجي: "العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب"، ج 2، ص 724.

²³⁰ مختار عطية: "علم البيان و بلاغة التشبيه" / دار الوفاء / الإسكندرية / مصر / 2004 / ص 48.

²³¹ ابن المعتز: "الديوان" ص 149.

رِيَاضٌ بَنَفْسِجٍ خَضِلٍ نَدَاهُ
تَفْتَحُ بَيْنَهُ نَوْرُ الْأَقَاحِي

فالمشبه صورة السماء والنجوم منثورة فيها وقت الصباح، والمشبه به صورة رياض من أزهار البنفسج تخللتها أزهار الأقاحي. ووجه الشبه هو الصورة الحاصلة من شيء أزرق انتشرت في أثناءه صور صغيرة بيضاء.²³²

وقال بعضهم يصف الشمس وقت طلوعها:

وَلَا حَتَّ الشَّمْسُ تَحْكِي عِنْدَ مَطْلَعِهَا
مِرَاةَ تَبْرِ بَدَتْ فِي كَفِّ مُرْتَعِشٍ

فقد شبه الشمس تحكي وقت طلوعها حين تكون حمراء لامعة مضطربة... بمراة من ذهب تضرب في كف ترتعش. ووجه الشبه هو: "الهيئة الحاصلة من وجود شيء أحمر لامع يهتز ويضطرب"²³³...
- أما الخطيب القزويني فقد "أطلق اسم التمثيل على ما كان الوجه فيه مركبا سواء أكان حسيا أم عقليا، وأهل ما كان الوجه فيه مفردا عقليا غير غرزي، مع أن هذا الوجه لا يمكن تحصيله والوصول إليه إلا بعد كد الذهن وإرهاق الحس؛ لأنه يستلزم صرف اللفظ عن ظاهره، وإرادة مقتضاه ولازمه..."²³⁴، وكذلك أهل السكاكي ما كان الوجه فيه مفردا عقليا غير غرزي، وذلك حينما حصر التمثيل في المركب العقلي.

ومن أمثلة التشبيه الذي وجه الشبه فيه مفرد عقلي غير غرزي، أي غير حقيقي، قولهم: حجة كالشمس في الظهور - وكلام ألفاظه كالعسل في الحلاوة، وكالماء في السلاسة، وكالنسيم في الرقة - وهم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفها... وحينما تتأمل هذه الأمثلة، نجد أن وجه الشبه فيها ليس له وجود حقيقي في كلا الطرفين، ولا يحصل إلا بضرب من التأول، وصرف عن الظاهر كما يرى عبد القاهر، ولذلك جعلها من التمثيل.²³⁵

²³² عبد العزيز عتيق: "علم البيان"، ص 59.

²³³ ابن عبد الله شعيب: "علم البيان"، ص 34.

²³⁴ محمود شيخون: "الإيضاح في التمثيل البلاغي"، ص 18.

²³⁵ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 92 وما بعدها.

ففي قولهم مثلا: "كلام أفاضه كالعسل حلاوة، وكالماء في السلاسة، وكالنسيم في الرقة"... نجد أن الحلاوة والسلاسة والرقة، لا وجود لها في جانب المشبه، فنحن في حاجة إلى تأول نصل به إلى وجه شبه له تحقق في كلا الطرفين، وهو بعد التأول: الاستطابة وميل النفس وحصول الراحة واللذة لها، وهذا الوجه يوجد في الكلام، حيث يحدث الكلام الجيد في النفس سرورا وأريحية، كما يوجد في العسل والماء والنسيم الذي يمتع النفس وتلذ به²³⁶...

وبقي بعد هذا التماس حقيقة التمثيل من بين تلك الآراء المختلفة... ولعل الرأي الأمثل والصواب في هذه المسألة، هو ما خلاص إليه الدكتور محمود شيخون - ومثله في ذلك الدكتور فيود - إذ يرى أنه ينبغي أن يكون الفرق بين التمثيل والتشبيه على النحو التالي:

- التمثيل: هو ما كان الوجه فيه دقيقا لا يدركه ولا يفتن إليه إلا أصحاب الأذواق السليمة، الذين ارتفعوا عن طبقة العامة- وهذا يتحقق في:

- ما كان وجه الشبه فيه مفردا عقليا غير غرزي.

- وما كان وجه الشبه فيه مركبا عقليا.

- وما كان وجه الشبه فيه مركبا حسيا.

- والتشبيه: ما كان وجه الشبه فيه واضحا بينا لا يحتاج إلى إعمال فكر وإطاف روية- وهذا

يتحقق في:

- ما كان وجه الشبه فيه مفردا حسيا

- وما كان وجه الشبه فيه عقليا (والشأن في مثل هذا الوجه أن يكون مفردا)²³⁷

والتمثيل - زيادة على ما ذكر- هو أسلوب "قائم في الأساس على الإيحاء للمتلقى أن المشبه الذي هو

في الغالب معنى ذهني مجرد...متمثل ومتجسد في المشبه به الذي هو في الغالب موجود حسي، وعلى هذا

²³⁶ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 154.

²³⁷ محمود شيخون: "الإيضاح في التمثيل البلاغي"، ص 18-19. وعبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية"، ص 195

يمكن القول: إن التمثيل هو كل صورة حسية يبتكرها الذهن أو يتخيلها للمعاني الذهنية المجردة..²³⁸، وقد كنا خالصنا من قبل إلى أن معاني التمثيل في اللغة ترجع إلى المماثلة و التجسيم و التصوير.

ويبقى بعد هذا أن نبحت مسألة مهمة، لها صلة وثيقة بالمسألة السابقة ، بل هي من تمام الكلام في حقيقة التمثيل، وهي:

كلمة "تمثيل": على ماذا تطلق؟ أو: ما هي الصور التي يطلق عليها هذا المصطلح؟

3- صور التمثيل:

مما سبق عرضه وبيانه من آراء مختلفة في "التمثيل" ... يتبين أن عبد القاهر والسكاكي والخطيب القزويني - ومعه جمهور علماء البلاغة - يرون أن "التمثيل" قد يأتي في صورة "التشبيه" - وهو حقيقة لغوية، كما قد يأتي في صورة "الاستعارة"، أو على حدها - وهي مجاز لغوي... يدل على ذلك أقوالهم والأمثلة التي أوردوها.

وقد حقق الدكتور عبد العظيم المطعني القول في هذه المسألة، وتتبع معاني التمثيل وصوره وطرقه التي أتى عليها في القرآن الكريم والحديث النبوي، والتراث العربي شعره ونثره، ليخلص بعد ذلك كله إلى أن التمثيل يطلق على أربعة معان أو صور، وهي:²³⁹

- التشبيه التمثيلي؛ وهو حقيقة لغوية لم يصرح فيه بذكر المثل.

- التشبيه التمثيلي المصرح فيه بذكر المثل، على نحو ما هو من البيان القرآني والبيان النبوي، وهو كسابقه حقيقة لغوية، بيد أنه مثل خاص مضروب لحالة خاصة لا يتعداها لغيره، فمورده ومضربه واحد، كالأمثال المضروبة للمنافقين وللحياة الدنيا في القرآن الكريم، والأمثال المضروبة للعلم والهدى وللأنبياء، وللجليل الصالح وجليس السوء في البيان النبوي.

²³⁸ ابن عبد الله شعيب: "علم البيان" ص 27.

²³⁹ عبد العظيم المطعني: "من قضايا البلاغة و النقد"، ص: 99.

- المثل الذي له مورد ومضرب؛ المشبه بمضربه بمورده الذي له حظ من الشهرة.

- الاستعارة التمثيلية، وهي نوعان:

- تمثيل استعاري ليس مثلاً، كقوله تعالى: ﴿وَأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْثَى﴾²⁴⁰، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ

عَلَىٰ حِجْرَةٍ تَنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾²⁴¹.

- تمثيل على حد الاستعارة شبيه بالمثل وليس بمثل لعدم الشهرة، مثل: يخط على الماء، ويرقم في

الهواء، ويترق في حديد بارد. كلها بمعنى واحد، إذا كان يعمل بلا جدوى.

هذا ما ذكره الدكتور المطعني من المعاني والصور التي يطلق عليها مصطلح "التمثيل" ... وهو إنما

ذكرها على سبيل التفصيل بملاحظة بعض الفروق الدقيقة بينها، والناشئة بسبب الاستعمالات المختلفة...

لكن على سبيل الإجمال يمكننا رد تلك الصور والمعاني إلى صورتين اثنتين، وهما:

أ - التشبيه التمثيلي؛ وهو حقيقة لغوية.

ب- الاستعارة التمثيلية؛ وهي مجاز لغوي.

وذلك لأن الصورتين الأوليين ترجعان إلى صورة واحدة؛ وهي التشبيه التمثيلي... والصورة الثالثة-

وهي المثل- تدخل في الصورة الرابعة- وهي الاستعارة التمثيلية... ونحن إذا رجعنا إلى كتب البلاغة -

وبخاصة المتأخرة منها؛ وجدنا الأمثلة المذكورة فيها للاستعارة التمثيلية؛ إما أمثالا سائرة مشتهرة، وإما

أقوالا جرت مجرى الأمثال، واستعملت في غير ما وضعت له... والاستعارة التمثيلية كما عرفها المتأخرون:

²⁴⁰ سورة النجم، الآية 34

²⁴¹ سورة الصف، الآية 10

"هي تركيب استعمل في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي"²⁴².
ومن أمثلتها²⁴³:

- قولهم لمن يحتال على حصول أمر خفي، وهو متستر تحت أمر ظاهر: "لأمرٍ ما جدع قصيرٍ
أنفه..." وإجراء الاستعارة في هذا المثل: شُبِّهت هيئة الرجل المتستر تحت أمر؛ ليحصل على أمر خفي
يريده، بهيئة الرجل المسمى قصيراً؛ حين جدع أنفه ليأخذ بثأر جذيمة من الزباء، بجامع الاحتيال في كل،
واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية.
- وكقول الشاعر:

مَتَى يَبْلُغُ الْبُنْيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَغَيْرَكَ يَهْدُمُ

وإجراء الاستعارة في هذا المثل أن يقال: شُبِّهت حال المصلح يبدأ الإصلاح ثم يأتي غيره فيبطل
عمله، بحال البنيان ينهض به، حتى إذا أوشك أن يتم جاء من يهدمه، والجامع هو الحالة الحاصلة من عدم
الوصول إلى الغاية لوجود ما يفسد على الساعي سعيه، ثم حذف المشبه واستعير التركيب الدال على
المشبه به للمشبه...

* تشبيه التمثيل:

1- مفهومه:

"تشبيه التمثيل" أو "التشبيه التمثيلي"، هو إحدى صورتين يطلق عليهما مصطلح "التمثيل"، وهما:

أ- التشبيه التمثيلي؛ وهو حقيقة لغوية.

ب- الاستعارة التمثيلية؛ وهي مجاز لغوي.

²⁴² ابن عبد الله شعيب: "علم البيان"، ص: 164، والسيد أحمد الهاشمي: "جواهر البلاغة" / دار الكتب العلمية / بيروت / ط 4،

2009 / ص: 195.

²⁴³ السيد أحمد الهاشمي: "جواهر البلاغة"، ص: 195-197.

الفصل الثاني

ومنه نعلم أن تشبيه التمثيل أخص من "التمثيل"، وقد مضى تعريف التمثيل بأنه: "ما كان فيه الوجه فيه دقيقا لا يدركه و لا يفظن إليه إلا أصحاب الأذواق السليمة، الذين ارتفعوا عن الطبقة العامة"، و بأنه أسلوبه قائم في الأساس على الإيحاء للمتلقى أن المشبه الذي هو في الغالبية معنى ذهني مجرد، متمثل و متجسد في المشبه به الذي هو في الغالب موجود حسي... وعلى هذا يكون معنى "تشبيه التمثيل": "أنه التشبيه الذي تلك صفته... ويتحقق كما أسلفنا في:

أ- ما كان وجه الشبه فيه مفردا عقليا غير غرزي، كقولهم: "حجة كالشمس في الظهور".

ب- ما كان وجه الشبه فيه مركبا عقليا، كقول ابن المعتز:

اصْبِرْ عَلَى مَضِّ الْحَسُوِّ دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ

فَالْتَارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

ج- ما كان وجه الشبه فيه مركبا حسيا، كقول بشار:

كَأَنَّ مَثَارَ النَّعْجِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ

وجمهور البلاغيين يقصرون تشبيه التمثيل على ما كان وجه الشبه فيه مركبا حسيا كان أو عقليا، ويهملون ما كان فيه الوجه مفردا عقليا غير غرزي - وقد تقدم بيان أن هذا هو مذهب الخطيب القزويني - ولهذا فهم يعرفونه بقولهم: "هو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد أمرين أو أمور..." فاشترطوا فيه تركيب الوجه لا غير، سواء أكان هذا الوجه حسيا أم عقليا، وسواء في المركب الحسي، أكان طرفا التشبيه - أي المشبه والمشبه به - مفردان أم مركبان أم مختلفان...

- فالمركب الحسي الذي طرفاه مفردان، كقول أحيحة بن الجلاح، أو قيس بن الأسلت:

وَقَدْ لَاحَ فِي الصُّبْحِ التُّرْبَا كَمَا تَرَى كَعُنُقُودٍ مُلَاحِيَةٍ حِينَ تَوَرَا

فالوجه هو الهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض، الصغار المقادير في مرأى العين وإن كانت كبارا في الحقيقة، على الكيفية المخصوصة، منضمة إلى المقدار المخصوص... والطرفان المفردان هما: الثريا والعنقود.

- والذي طرفاه مركبان، فكقول بشار السابق.

- والذي طرفاه مختلفان - أي أحدهما مفرد والآخر مركب - فكقول بعضهم في النيلوفر، وهو نبات ينبت في المياه المستنقعة، ويزهر على سطحها:

كَلُّنَا بِاسِطَ الْيَدِ نَحْوُ تَيْلُوفِرٍ نَدِي

كَدَابِيسٍ عَسَجِدٍ قُضْبَهَا مِنْ زَرْجَدٍ²⁴⁴

وقد خلط بعض البلاغيين بين التشبيه المركب، والتشبيه المتعدد... والصحيح أن بينهما فرقا؛ "لأن المركب ينظر فيه إلى الهيئة الحاصلة المنتزعة من أمور متعددة لا يتم التشبيه إلا بها، بينما ينظر في التشبيه المتعدد إلى كل تشبيه على حدة، فالصورة في المركب عامة، وفي المتعدد جزئية"²⁴⁵. فاجتماع الأمرين أو الأمور في التشبيه المتعدد ليس على جهة المزج والتركيب، بل على جهة الاستقلال والانفراد... ففي قول امرئ القيس:²⁴⁶

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهِا الْعُنَابُ وَالْحَشْفُ الْبَالِي

²⁴⁴ الخطيب القزويني: "الايضاح"، ص: 223، 231، 232، و على الجندي: "فن التشبيه"، ج/1 ص: 142-144.

²⁴⁵ عبد الفتاح عثمان: "التشبيه و الكناية"، ص 48.

²⁴⁶ الأعلام المشتقري: "أشعار الشعراء الستة الجاهليين" / دار الفكر/ بيروت/ ص 52

لم تمتزج قلوب الطير الرطبة بقلوبها اليابسة، ولا العناب بالحشف البالي، بل ظل كل جزء من أجزاء التشبيه منفردا مستقلا عن الآخر، حيث شبهت قلوب الطير الرطبة بالعناب، وقلوبها اليابسة بالحشف البالي، على جهة الانفراد والاستقلال، لا على جهة المزج والتركيب...²⁴⁷.

أما الصورة في التشبيه المركب؛ فهي صورة قد اتحدت وامتزجت فيها الأمور، فنتج عن هذا الامتزاج صورة خاصة غير التي كانت لكل جزء في حالة الأفراد.²⁴⁸

2- مواقعه:

ذكر بعض البلاغيين أن تشبيه التمثيل يجيء في الكلام على وجهين أو في موقعين:

-الموقع الأول: أن يكون في مفتتح الكلام، فيكون قياسيا موضحا، وبرهانا مصاحبا، وهو كثير جدا في القرآن...²⁴⁹ ومن أمثلته:

قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ

مِائَةٌ حَبَّةٌ ۗ﴾²⁵⁰، وقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ۗ صُمُّ

بِكُمْ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۗ﴾²⁵¹.

ومن الشعر قول أحمد شوقي²⁵²:

²⁴⁷ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية"، ص: 172.

²⁴⁸ المرجع نفسه، ص 169.

²⁴⁹ السيد أحمد الهاشمي: "جواهر البلاغة"، دار الفكر، بيروت، 2003، ص: 231.

²⁵⁰ سورة البقرة، الآية: 261.

²⁵¹ سورة البقرة: الآية: 171.

مَثَلُ الْقَوْمِ نَسُوا تَارِيخَهُمْ كَلَفِي طِ عَيَّ فِي التَّاسِ اثْتِسَابًا

أَوْ كَمَغْلُوبٍ عَلَى ذَاكِرَةٍ يَشْتَكِي مِنْ صِلَةِ الْمَاضِي اتِّقْبَاضًا

-الموقع الثاني: أن يجيء بعد تمام المعاني، لإيضاحها و تقريرها، فيشبه البرهان الذي تثبت به

الدعوى...²⁵³ ومن ذلك قول بعضهم²⁵⁴:

لَا يَنْزِلُ الْمَجْدُ إِلَّا فِي مَنَازِلِنَا كَالْتَّوْمِ لَيْسَ لَهُ مَأْوَى سِوَى الْمَقْلِ

وقول البحري يمدح ابن نَيْبُخْتِ²⁵⁵:

ذَا نِ عَلَى أَيِّدِي الْعِفَاةِ وَشَاسِعٍ عَن كُلِّ نِدٍّ فِي النَّدَى وَضَرِبِ

كَالْبَدْرِ أَفْرَطَ فِي الْعُلُوِّ وَضَوْءُهُ لِلْعُصْبَةِ السَّارِينِ جِ دُّ قَرِيبِ

ويدخل في هذا الباب - أي التشبيه التمثيلي الذي يجيء بعد تمام المعاني - ما يسمى "بالتشبيه

الضمني"؛ وهو "تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل يلمحان في التركيب، وهذا النوع من التشبيه يؤتى به ليفيد أن الحكم الذي أسند إلى المشبه ممكن"²⁵⁶،

وبيان ذلك أن الكاتب أو الشاعر قد يلجأ عند التعبير عن بعض أفكاره إلى أسلوب يوحي بالتشبيه من

غير أن يصرح به في صورة من صور المعروفة... ومن بواعث ذلك: التفنن في أساليب التعبير، والتزوع

إلى الابتكار والتجديد، وإقامة البرهان على الحكم المراد إسناده إلى المشبه، والرغبة في إخفاء معالم

التشبيه، لأنه كلما خفي ودق كان أبلغ في النفس...²⁵⁷.

²⁵² علي الجندي: "فن التشبيه"، ج2، ص 27.

²⁵³ السيد أحمد الهاشمي، "جواهر البلاغة"، ص: 231.

²⁵⁴ المرجع نفسه، ص: 231.

²⁵⁵ البحري: "الديوان"، ج1/ ص 220.

²⁵⁶ ابن عبد الله شعيب: "علم البيان"، ص: 39.

²⁵⁷ عبد العزيز عتيق: "علم البيان"، ص: 69.

ومن أمثلة التشبيه الضمني، قول أبي فراس الحمداني²⁵⁸:

سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جِدُّهُمْ
وَفِي اللَّيْلَةِ الظُّلْمَاءِ يُفْتَقَدُ البَدْرُ

فهو هنا يريد أن يقول: إن قومه سيذكرونه عند اشتداد الخطوب والأهوال عليهم ويطلبونه فلا يجدونه، ولا عجب في ذلك؛ لأن البدر يفتقد ويطلب عند اشتداد الظلام... فهذا الكلام يوحي بأنه تضمن تشبيها غير مصرح به، فالشاعر يشبه ضمنا حاله وقد ذكره قومه وطلبوه فلم يجدوه عندما أَلَمَّت بهم الخطوب، بحال البدر عند اشتداد الظلام، فهو لم يصرح بهذا التشبيه، وإنما أورده في جملة مستقلة وضمنه هذا المعنى في صورة برهان...²⁵⁹.

ومن ذلك أيضا قول أبي تمام²⁶⁰:

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ
طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ

لَوْلا اشتعالُ التَّارِ فيما جاورَتْ
مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَزْفِ العُودِ

فالشاعر هنا قرر حقيقة هي أن الله إذا أراد لفضيلة عند امرئ أن تنتشر، فيض حسودا يرددها بين الناس، ثم انتقل مباشرة إلى ذكر صورة تمثيلية دون أن يصرح بأن تلك الصورة تمثيل لما ذكره، لكن المتلقي يدرك ذلك ضمنا، وعلى هذا يكون التشبيه الضمني ضربا من التشبيه التمثيلي...²⁶¹.

• ولتشبيه التمثيل - أيضا - مواقع عديدة باعتبار المعاني التي ينظمها، والأغراض التي يتناولها... قال علي الجندي: "والتمثيل ينتظم شتى المعاني، ويلبس مختلف الصور الأدبية"، وذكر من ذلك: الوصف، والغزل، والمدح، والهجاء، والثناء، والفخر، والاستعطاف، والتحسر والتوجع، والعتاب والشكوى، والعزاء والتسلية، والاحتجاج، والاعتذار، والحكم والعظات والنصائح - وهذه الثلاثة الأخيرة - حسبه

²⁵⁸ أبو فراس الحمداني: "الديوان" / دار بيروت/ بيروت/ 1986/ ص161

²⁵⁹ عبد العزيز عتيق: "علم البيان"، ص 70.

²⁶⁰ الخطيب التبريزي: "شرح ديوان أبي تمام" / ج1/ ص 397.

²⁶¹ حسني عبد الجليل يوسف: "التصوير البياني بين القدماء والمحدثين"، ص: 21.

– هي أوسع الأبواب وأليقها بالتمثيل... وقد أورد لهذه الصور المختلفة أمثلة كثيرة²⁶²، نكتفي هنا بذكر بعض منها من دون تعرض لشرح:

- فمن ذلك "الغزل" كقول أبي الطيب²⁶³:

مَتَى تَزُرُ قَوْمَ مَنْ تَهْوَى زِيَارَتَهَا لَا يُتَحَفُّوكَ بِغَيْرِ الْبَيْضِ وَالْأَسَلِ
وَالهَجْرُ أَقْتُلُ لِي مِمَّا أَرَا قِبَهُ أَنَا الْعَرِيقُ فَمَا حَوْفِي مِنَ الْبَلَالِ

- و"المدح"، كقول البحري²⁶⁴:

مُتَهَلِّلٍ طَلَّقَ إِذَا وَعَدَ الْغَنَى بِالْبَشْرِ أَتْبَعَ بِشْرَهُ بِالتَّائِلِ
كَالْمُزْنِ إِنْ سَطَعَتْ لَوَامِعُ بَرْقِهِ أَجَلَّتْ لَنَا عَن دِيمَةٍ أَوْ وَابِلِ

- و"الهجاء" كقول أبي تمام²⁶⁵:

كَمْ نِعْمَةً لِّلَّهِ كَانَتْ عِنْدَهُ فَكَأَنَّهَا فِي عُرْبَةٍ وَإِسَارِ
كَسَيْتَ سَبَائِبَ لَوْمِهِ فَتَضَاءَلَتْ كَتَضَاؤُلِ الْحَسَنَاءِ فِي الْأَطَارِ

- و"الفخر"، كقول عبد المطلب بن هاشم:

لَنَا نُفُوسٌ لِنَيْلِ الْمَجْدِ عَاشِقَةٌ وَلَوْ تَسَلَّتْ أَسَلْنَاهَا عَلَى الْأَسَلِ

لَا يَنْزِلُ الْمَجْدُ إِلَّا فِي مَنَازِلِنَا كَالْتَّوَمِ لَيْسَ لَهُ مَأْوَى سِوَى الْمُقْلِ

²⁶² علي الجندي: "فن التشبيه"، ج 2 / ص 28-37.

²⁶³ ناصيف اليازجي: "العرف الطيب في شرح ديوان المتنبي"، ج 2، ص: 651.

²⁶⁴ أبو عبادة البحري: "الديوان" / تحقيق و شرح: حسن كامل الصيرفي / دار المعارف / مصر / ط3: 1963 / ج 3 / ص 1647-1648.

²⁶⁵ الخطيب التبريزي: "شرح ديوان أبي تمام"، ج 2 / ص 198.

- و"الحكم والعظات والنصائح"، كقول ابن الرومي²⁶⁶:

لا تَلَحَّ مِنْ يَبْكِي شَبِيبَتَهُ إلا إذا لم يَدَّ - كها بدم

لَسْنَا نَرَاهَا حَقَّ رُؤْيَيْهَا إلا أوانَ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ

كَالشَّمْسِ لَا تَبْدُو فَضِيلَتَهَا حتَّى تَغْشَى الْأَرْضَ بِالظَّلَمِ

- وقوله²⁶⁷:

لا تُكْتَرَنَّ مَلَامَةَ الْعُشْرَاقِ فكفاهمُ بِالْوَجْدِ وَ الْإِشْفَاقِ

إِنَّ الْبَلَاءَ يُطَاقُ غَيْرَ مُضَاعَفٍ فإذا تَضَاعَفَ كَانَ غَيْرَ مُطَاقِ

لا تُطْفِئَنَّ جَوَى بِلَومِ إِنَّهُ كالرَّيحِ تُغْرِئِي النَّارَ بِالْإِحْرَاقِ

• كما يأتي التمثيل في موقع آخر، أو صورة أخرى، تخالف كل صورة رأيناها ومثلنا لها من قبل، صورة يجعل الشاعر الأصل فيها فرع والفرع أصلا، زيادة في المبالغة، وهو ما اصطاح عليه البلاغيون المتأخرون "بالتشبيه المقلوب"...

والتشبيه المقلوب: "هو الذي يجعل فيه المشبه الذي هو الناقص بالأصالة مشبها به، ويجعل المشبه به الذي هو الكامل بالأصالة مشبها، وإذا جعلت كذلك صار بمقتضى أصل التركيب التشبيه الناقص كاملا وهو المشبه به لفظا... أو بعبارة أخرى هو: جعل المشبه مشبها به، بادعاء أن وجه الشبه فيه أقوى وأتم وأظهر"²⁶⁸.

²⁶⁶ ابن الرومي: "الديوان" / شرح: أحمد حسن بسج / دار الكتب العلمية/ بيروت / ط3: 2002 / ج3/ ص 318.

²⁶⁷ ابن الرومي: "الديوان"، ج2/ ص 471-472، مع ملاحظة أن البيت الثالث منفصل عن الأولين بأبيات.

²⁶⁸ ابن عبد الله شعيب: "علم البيان"، ص: 36.

ويسميه أبو الفتح عثمان بن جني في كتابه "الخصائص": "غلبة الفروع على الأصول"... وقد عرض له ابن الأثير في كتابه "المثل السائر"، وسماه: "الطرد والعكس"... والعلوي صاحب "الطراز" يسميه "التشبيه المنعكس" ...²⁶⁹.

وعن سبب قلب التشبيه يقول علي الجندي: "إن المتفنين في طرق الأداء من أرباب الصناعة البيانية لم يقفوا عند التشبيه العادي؛ لأنهم يرون أن هذه المبالغة المعتدلة أقل من أن تشبع رغبتهم فيما يتوخونه من أغراض الكلام في الغزل والمدح والرثاء واليهاء، فكان أن سلكوا لذلك طريق القلب في التشبيه توصلا لهذه الغاية المنشودة"²⁷⁰.

ومن أمثلة هذا النوع من التشبيه؛ ذلك البيت السائر لمحمد بن وهيب يمدح المأمون:

وَبَدَا الصَّبَاحُ كَأَنَّ عُرْتَهُ وَجَهُ الحَلِيفَةِ حِينَ يُمْتَدِّحُ²⁷¹

ونحو قول ابن المعتز²⁷²:

وَلَا حَ ضَوْءُ هِلَالٍ كَادَ يَفْضَحُنَا مِثْلُ القَلَامَةِ إِذْ قُصَّتْ مِنَ الظُّفْرِ

فالجاري في الاطراد، هو تشبيه القلامه من الظفر بالهلال في تحولها، وتقوسها واعوجاجها فعكس

ابن المعتز ذلك، وشبه الهلال بالقلامه مبالغة ودخولا وإغراقا من جهته في التشبيه...²⁷³.

- وأما العكس والقلب في التمثيل فنحو قول القاضي التنوخي²⁷⁴:

²⁶⁹ ابن عبد الله شعيب: "علم البيان"، ص: 36-37، باختصار. وينظر أبو الفتح عثمان بن جني: "الخصائص" / تحقيق: محمد علي النجار / دار الكتب المصرية / المكتبة العلمية / مصر / ط 2: 1952/ج1/ ص 300، وضياء الدين بن الأثير: "المثل السائر" / تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة / دار نهضة مصر / القاهرة / ط 2/ بدون تاريخ / ج 2/ ص 156، ويحيى بن حمزة العلوي: "الطراز" / طبعة المكتبة العصرية / ج 1، ص: 158.

²⁷⁰ علي الجندي: "فن التشبيه"، ج 1، ص: 282.

²⁷¹ المرجع نفسه، ج 1، ص: 294.

²⁷² ابن المعتز: "الديوان"، ص: 247.

²⁷³ العلوي: "الطراز"، ج 1، ص: 159.

²⁷⁴ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 225.

وَكَأَنَّ الثُّجُومَ يَبِينُ دُجَاهَا سُنُّنٌ لَاحٍ يَبِينُهُ سَنُّ ابْتِدَاعُ

فشبهه النجوم في ظلمة الظلام مع نورها، بالسنن الواضحة التي هي كالأنوار، توسط بينها بدع كسواد الليل في ظلمتها، فالسنة في هداها كالنور، والبدعة في جهلها بمنزلة الظلمة²⁷⁵.

وكتقول بعضهم:

كَأَنَّ انْتِضَاءَ الْبَدْرِ مِنْ تَحْتِ عَيْمَةٍ نَجَاءٌ مِنَ الْبَأْسَاءِ بَعْدَ وَقُوعِ

وذلك أن العادة أن يشبه المتخلص من البأساء بالبدْرِ الذي ينحسر عنه الغمام²⁷⁶.

ولعبد القاهر الجرجاني رأي في "التمثيل" الذي يأتي في صورة التشبيه المقلوب، حيث يشترط لجواز العكس في تشبيه التمثيل أن يكون ذلك على سبيل التخيل، كما هو الشأن في البيتين الأخيرين الذين مثلنا بهما، وسيأتي بيان ذلك في موضعه من الفصل الثالث من بحثنا هذا.

²⁷⁵ العلوي: "الطراز"، ج1، ص: 146.
²⁷⁶ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 229.

◆ بلاغة تشبيه التمثيل وأسراره:

* بلاغته وأسراره:

لقد قررنا من قبل أن التشبيهات أنواع مختلفة، وأنها ليست في درجة واحدة من البلاغة وقوة التأثير... فبعضها أبلغ من بعض، وأقوى تأثيراً... وقد ذكر الكثير من البلاغيين أن التشبيه كلما كان بعيداً خفياً عن الأذهان، يحتاج في استخراج وجهه إلى تدقيق نظر، وإعمال فكر، كان أبلغ وأشد تأثيراً... ومن ثم كان تشبيه التمثيل أبلغ من غيره، وذلك "لما في وجهه من التفصيل الذي يحتاج إلى إمعان فكر، وتدقيق نظر، وهو أعظم أثراً في المعاني، يرفع قدرها، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها..."²⁷⁷

وفي بيان أثر التمثيل في تصوير المعاني وتشخيصها، يقول الزمخشري: "ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خبيئات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المتحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد، وفيه تبيكيت للخصم الألد، وقمع لسورة الجامع الأبي، ولأمر ما أكثر الله في كتابه المبين، وفي سائر كتبه أمثاله، وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء، قال الله تعالى: ﴿وَتَلَكَّ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾²⁷⁸. ومن سور الإنجيل سورة الأمثال..."²⁷⁹.

ويقول أيضاً: "... لأن التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها، لأنه بمنزلة التصوير والتشكيل لها، ألا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة"²⁸⁰، ويقول أيضاً عند قوله تعالى: ﴿وَتَلَكَّ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾

²⁷⁷ السيد أحمد الهاشمي: "جواهر البلاغة" / طبعة دار الفكر / ص 230.

²⁷⁸ سورة العنكبوت، الآية 43

²⁷⁹ الزمخشري: "الكشاف"، ج 1، ص: 190-191. وشهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي: "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني" / دار احياء التراث العربي / بيروت / ج 1 / ص 163.

²⁸⁰ الزمخشري: "الكشاف"، ج 4 / ص 576-577، ومحمد أبو موسى: "البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري..."، ص: 404.

وَمَا يَعْقَلُهَا إِلَّا الْعَلْمُونَ ﴿... أي: لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها إلا هم، لأن الأمثال والتشبيهات إنما هي الطرق إلى المعاني المحتجبة في الأستار حيث تبرزها وتكشف عنها وتصورها للأفهام...²⁸¹.

"والقرآن الكريم وهو المثل الأعلى في بلاغة الأسلوب، وروعة البيان، وكمال الأداء اللغوي... قد اتخذ من الصور التشبيهية وسيلته التي يخاطب بها الناس، ويقرب لهم المعاني البعيدة، ويوضح لهم الصور الذهنية المجردة، ويضرب لهم الأمثال بالواقع المحسوس المشاهد الذي يخضع لمعطيات الحواس الخمس الظاهرة، وذلك مبالغة في الإقناع، وتثبيتا للمعنى في النفوس...²⁸².

والتمثيل يكثر في القرآن الكريم كثرة لافتة، وكثرته تعود إلى ما لهذا النوع من التشبيه من وقع في النفس، وأثر فيها وتأثير عليها، وإلى ما تنطوي عليه صورته من اللطائف والأسرار...²⁸³.

وقد نقل السيوطي عن بعضهم قوله: "ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة: التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقريب، وتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس، فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص، لأنها أثبت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس، ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيهه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد...²⁸⁴.

وإذا، فـ "ليس هذا التأثير الذي ينفخ به التمثيل، والذي يعمل عمل السحر في كياننا فيهره من الأعماق، قد جاء اعتباطاً، أو هو مما يقع فلتات، بل له علل وأسباب متينة الصلة بالنفوس الإنسانية، فإذا استأذن عليها فتحت له أبوابها على مصاريعها، وتلقته بالقبول والبشاشة والارتياح، كما تتلقى شيئاً ساراً مبهجاً يلذها موقعه، ويخف عليها مجملها، ذلك أن النفوس تنفر بطبعها من الغموض، وتفر من اللبس،

²⁸¹ الزمخشري: "الكشاف"، ج4/ص 550، ومحمد أبو موسى: "البلاغة القرآنية..."، ص: 403.

²⁸² عبد الفتاح عثمان: "التشبيه الكناية"، ص: 80.

²⁸³ ابن عبد الله شعيب: "علم البيان"، ص: 30.

²⁸⁴ جلال الدين السيوطي: "الإتقان في علوم القرآن" / تحقيق: شعيب الأرنؤوط / مؤسسة الرسالة ناشرون / بيروت / ط 1: 2008 / ص 671.

وتتمل من مواقف الحيرة والشك والبلبلة، وتبادر إلى المروق من الظلمة إلى النور، ومن الشبهة إلى اليقين أنى وجدت السبيل إلى ذلك...²⁸⁵.

• والتمثيل يشتمل على كثير من الأسرار، هي مظاهر بلاغته، وأسباب حسنه، وقد أورد الدكتور محمود شيخون بعضاً منها، فذكر:

قوة التأثير، وإبراز المعقول في صورة مجسمة، وإلباس المعنوي ثوب المحسوس، والإيجاز، والإيضاح، وإصابة المعنى، ورفع الأستار عن الحقائق، وتقريب المراد للعقل، وعرضه في صورة مشوقة²⁸⁶.

ومن أسراره أيضاً:

- التقريب بين النائيين، والتأليف بين المتقابلين، وبث الوحدة في الصور المتفرقة...²⁸⁷ كأن يجعل الشيء قريباً بعيداً، كقول البحري:

دان على أيدي الغفاة وشاسع
عن كل ندى في الندى وضرب

كالبدر أفرط في الغلو وضوءه
للغصبة السارين جد قريب²⁸⁸

وكأن يقرن بين أمرين متباعدين، كما في قول ابن المعتز²⁸⁹:

وكأن البرق موصحف قار
فأنطباعاً مبررة وأنفتاحاً

وقد أعجب النقاد بهذا البيت وأشادوا به كثيراً، فقد قرن أمرين متباعدين، هما البرق حين ينتشر وينقبض، بالمصحف حين يأخذ القارئ في فتحه وإغلاقه، وكل منهما يختلف جنساً ومكاناً عن الآخر،

²⁸⁵ علي الجندي: "فن التشبيه"، ج2، ص: 22.

²⁸⁶ محمود شيخون: "الإيضاح في التمثيل البلاغي"، ص: 22-23.

²⁸⁷ علي الجندي: "فن التشبيه"، ج2، ص: 23.

²⁸⁸ ابن عبد الله شعيب: "علم البيان"، ص: 61، و البحري: "الديوان"، ج1/ ص 220.

²⁸⁹ ابن المعتز: "الديوان"، ص 141.

ويضاف إلى ذلك خصوصية أخرى حققها ابن المعتز، وهي أنه أوقع التشبيه على الحركة مجردة عن غيرها...

290

- ومنها: تقرير المعاني في النفوس، و"تأييد المعنى الثابت"²⁹¹، نحو قول أبي العتاهية²⁹²:

تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَمْ تَسْأَلْ مَسَالِكَهَا إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبْسِ

المشبه حال من يرجو النجاة من عذاب الآخرة، ولا يسلك مسالك النجاة، والمشبه به حال السفينة التي تحاول الجري على الأرض اليابسة.²⁹³ وقوله: "إن السفينة لا تجري على اليبس"، هو تأييد للمعنى الثابت بقوله: "ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها"، ومقرّر له... إلى غير ذلك من الأسرار التي ينطوي عليها هذا الفن البديع، والتي يقف عليها من تأمل شواهد وأمثله، وعرف أغراض المتكلم من إيراد المعنى على صورته، ولا يتأتى ذلك إلا لذي ذوق سليم، وبصر بوجوه الكلام وأساليبه.

غير أن هذه الأسرار، ليست كلها مما يختص به تشبيه التمثيل، فإن منها ما يشترك فيه مع التشبيه غير التمثيلي بأنواعه، كالإيجاز والإيضاح مثلا، ومنها أسرار يشترك مع غيره في أصلها كالتأثير، ولكنه يفضلها في القوة، فهو أقوى وأشد تأثيرا في النفوس، يعمل فيها عمل السحر، فهو: "أمضى أداة، وأسرع نفاذا، لحسن تأتية، ولطف سحره، ودقة مسلكه في التقريب بين النائيين، والتأليف بين المتقابلين، وبث الوحدة في الصور المتفرقة، وصب المعاني المتعقّلة والمتخيلة والمتوهمة في قوالب الشخوص الحية، والأشباح النابضة المتحركة..."²⁹⁴.

²⁹⁰ ابن عبد الله شعيب: "علم البيان"، ص 61.

²⁹¹ السيد الهاشمي: "جواهر البلاغة" / طبعة دار الفكر / ص 232.

²⁹² أبو العتاهية: "الديوان" / دار بيروت / بيروت / 1986 / ص 230.

²⁹³ عبد العزيز عتيق: "علم البيان"، ص 71.

²⁹⁴ علي الجندي: "فن التشبيه"، ج 2 / ص 23.

ولأن المقال يتضح بالمثل، يحسن بعد هذا الكلام الممثل عن بلاغة تشبيه التمثيل وأساراه، إيراد بعض النماذج من الكلام البليغ، تتجلى فيها تلك الأسرار... والتمثيل كـ "التمثيل"، من شأنه أن يخرج النفس من الخفاء إلى الجلاء، ومن الإجمال إلى البيان.

* نماذج تطبيقية من الكلام البليغ:

1- من القرآن الكريم:

• المثال الأول: قوله تعالى - "يصف حال المنافقين، وما هم فيه من حيرة واضطراب وتخبط" ²⁹⁵ :
 ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تَّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٦٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَةٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿٦٧﴾ صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَةٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَّجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٦٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ تَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ ۗ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوًا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَنْبَصَرَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۗ ﴿٧٠﴾ ²⁹⁶ .

وقد تضمنت هذه الآيات تمثيلين :

الأول: في قوله تعالى: "أولئك الذين اشتروا الضلالة" إلى قوله: "فهم لا يرجعون". قال الطاهر بن

عاشور - مبينا الأسرار التي جيء بهذا المثل والذي بعده لأجلها - : "أعقبت تفاصيل صفاتهم بتصوير مجموعها في صورة واحدة، بتشبيه حالهم بهيئة محسوسة، وهذه طريقة تشبيه التمثيل، إلحاقا لتلك الأحوال المعقولة بالأشياء المحسوسة، لأن النفس إلى المحسوس أميل، وإتماما للبيان بجمع المتفرقات في السمع، المطالة في اللفظ في صورة واحدة، لأن للإجمال بعد التفصيل وقعا من نفوس السامعين، وتقريراً للجميع ما

²⁹⁵ محمد أبو موسى: "التصوير البياني"، ص: 84.

²⁹⁶ سورة البقرة: الآيات: 16-20.

تقدم في الذهن بصورة تخالف ما صور سالفا؛ لأن تجدد الصورة عند النفس أحب من تكررها... واستدللا على ما يتضمنه مجموع تلك الصفات من سوء الحالة وخيبة السعي وفساد العاقبة، فمن فوائد التشبيه قصد تفضيع المشبه، وتقريبا لما في أحوالهم في الدين من التضاد والتخالف، بين ظاهر جميل وباطن قبيح... بصفة حال عجيبة من أحوال العالم، فإن من فائدة التشبيه إظهار إمكان المشبه، وتنظير غرائبه بمثلها في المشبه به... "297.

وتقدير هذا المثل أن الله سبحانه شبيههم في اشتراطهم الضلالة بالهدى، وصيرورتهم بعد البصيرة إلى العمى، بمن استوقد نارا، فلما أضاءت ما حوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله وتأنس بها، فبينما هو كذلك إذ طفت ناره، وصار في ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدي، وهو مع هذا أصم لا يسمع، أبكم لا ينطق، أعمى لو كان ضياء لما أبصر، فلهذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك²⁹⁸.

وقال الدكتور أبو موسى: "... صورهم في حال من جد في طلب النار ليتبين بها موضع قدمه، فلما حصل عليها انطفأت، وبتقى كما كان قبلها في ظلمته وضلالته. حيرة المنافق وما في دواخله من قلق واضطراب، صار مرثيا في هذه الصورة، صورة هذا الكائن في ليل بهيم شديد الظلمة لا يدري ما يحيط به، ولا يأمن أن يكون قد كمنت حوله أهوال ماحقه، أو أن يضع قدمه في مملكة، ثم اجتهد في أن يحصل على ما يضيء له ما حوله فلما أضاءت وأذهبت بعض مخاوفه، واستشعر شيئا من الأمن ذهبت النار، وعاد إلى حالته الأولى من الحيرة والتبدد..."²⁹⁹.

وقد تضمن الأسلوب القرآني في هذه الآيات فوائد بديعة، زادت "التمثيل" روعة، وكسته جلالا

وجالا، منها:

²⁹⁷ محمد الطاهر بن عاشور: "التحرير والتنوير" / الدار التونسية للنشر / تونس / 1984 / ج1 / ص 302.

²⁹⁸ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي: "تفسير القرآن العظيم" / دار الثقافة / الجزائر / ط1: 1990 / ج1 / ص 56-57.

²⁹⁹ محمد أبو موسى: "التصوير البياني"، ص: 85.

قوله: "ذهب الله بنورهم"، ولم يقل بنارهم، فإن النار فيها الإضاءة والإحراق، فذهب الله بما فيها من الإضاءة، وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق، وتركهم في ظلمات لا يبصرون، فهذا حال من أبصر ثم عمي، وعرف ثم أنكر، ودخل في الإس لأم ثم فارقه بقلبه، فهو لا يرجع إليه، ولهذا قال: "فهم لا يرجعون" ³⁰⁰.

وقال: "ذهب الله بنورهم" ولم يقل: "بضوءهم" ... قال الزمخشري: "قلت: ذكر النور أبلغ؛ لأن الضوء فيه دلالة على الزيادة، فلو قيل: ذهب الله بضوءهم، لأوهم الذهاب بالزيادة، وبقاء ما يسمى نورا، والغرض إزالة النور عنهم رأسا، وطمسه أصلا، ألا ترى كيف ذكر عقيبه: "وتركهم في ظلمات"، والظلمة: عبارة عن عدم النور وانطامسه، وكيف جمعها، وكيف نكرها، وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة مبهمة، لا يتراءى فيها شبحان، وهو قوله: "لا يبصرون" ³⁰¹.

وكلمة "لما" في قوله: "فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم"، فيها معنى المفاجأة والسرعة، كأنه ذهب بالنور فور وجوده، فالأمل ما إن بزغ وشع إلا وقد ابتلعتة ظلمة اليأس، وذهب بددا... ³⁰² إلى غير ذلك.

ومن بدائع هذا التمثيل أنه مع ما فيه من تركيب الهيئة المشبه بها، ومقابلتها للهيئة المركبة من حالهم، هو قابل لتحليله بتشبيهات مفردة لكل جزء من هيئة أحوالهم، بجزء مفرد من الهيئة المشبه بها، فشبه استماعهم القرآن باستيقاد النار، ويتضمن تشبيه القرآن في إرشاد الناس إلى الخير والحق بالنار في إضاءة المسالك للسالكين، وشبه رجوعهم إلى كفرهم بذهاب نور النار، وشبه كفرهم بالظلمات، ويشبهون بقوم انقطع إبصارهم. ³⁰³

³⁰⁰ محمد بن أبي بكر بن القيم الدمشقي: - "بدائع التفسير" / تحقيق: يسري السيد محمد / دار ابن الجوزي / م.ع. السعودية / ط 1: 1427هـ / ج 1 / ص 99 - و "الأمثال في القرآن الكريم" / تحقيق: سعيد محمد فر الخطيب / دار المعرفة / بيروت / 1981 / ص 177.

³⁰¹ الزمخشري: "الكشاف"، ج 1 / ص 193، وابن القيم: "بدائع التفسير"، ج 1 / ص 99.

³⁰² محمد أبو موسى: "التصوير البياني"، ص 85.

³⁰³ محمد الطاهر بن عاشور: "التحرير والتنوير"، ج 1 / ص 313.

أما التمثيل الثاني: فقوله تعالى: "أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق"، إلى قوله: "إن الله على كل شيء قدير"، قال الزمخشري: "...ثى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر، ليكون كشفاً لحلمهم بعد كشف، وإيضاحاً غب إيضاح، وكما يجب على البليغ في مظان الإجمال والإيجاز أن يجمل ويوجز، فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والإشباع أن يفصل ويشبع..."³⁰⁴.

وفي هذا التمثيل تصوير للمناققين "في صورة من أحاط بهم صيب من السماء فيه من تكائفه ظلمات تحجب رؤية العين، ثم فيه رعد وبرق يبعثان الهول ويثيران المخاوف، حتى يكاد القوم يرون الموت بأعينهم، ويسمعون دمدمته المصعقة، وحسيسه الرعب، فيجعلون أصابعهم في آذانهم حتى يبعدوا عن أسعاهم هذا الهول الذي لا يطاق، ومع أن البرق ليس كالبرق الذي يراه الإنسان، ويستطيع أن يحدق فيه، فقد كانوا ينتهزون فرصة لمعه ليخطوا خطوة من محيط الرعب الجاثم على أرواحهم، هذا القلق المفزوع الذي تراه ماثلاً في هذه الجماعة، يريك دواخل المنافقين، وتمزق قلوبهم، وتوزع خواطرهم"³⁰⁵.

وفي قوله تعالى: "كلما أضاء لهم مشوا فيه"، ذكر "كلما" في جانب الإضاءة، و"إذا" في جانب الإظلام؛ لدلالة "كلما" على حرصهم على المشي، وأهمهم يترصدون الإضاءة فلا يفيتون زمناً من أزمان حصولها، ليتبينوا الطريق في سيرهم لشدة الظلمة"³⁰⁶.

وهذا التشبيه الثاني حين تقارنه بالتشبيه الأول، تجد أن الحيرة هناك حيرة في ظلمة حاجزة، والتركيز هناك على الظلمة التي تجعل القوم يحرصون على الضوء فيستوقدون ناراً... والحيرة هنا في ظلمة أيضاً، ولكنها لم تكن وحدها التي تشكل الموقف، وإنما هناك صيب منصب، ورعد كالصواعق، وبرق يخطف الأبصار، فالموقف ممتلئ بالرعب والهول، بإضافة هذه العناصر الجديدة، والتي جعلت الظلمة عامرة بموجبات الموت التي لا يحول بينهم وبينها إلا مشيئة الله التي شاءت استمرارهم أحياء كاملي الحواس،

³⁰⁴ الزمخشري: "الكشاف"، ج1، ص: 198.

³⁰⁵ محمد أبو موسى: "التصوير البياني"، ص: 87.

³⁰⁶ الطاهر ابن عاشور: "التحرير والتنوير"، ج1/ ص 321، ومحمد أبو موسى: "التصوير البياني"، ص 87.

ليعانوا هول الموقف بحس صحيح...³⁰⁷ ، وقد ذهب الزمخشري إلى أن التمثيل الثاني أبلغ من الأول؛ لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفضاعته، ولذلك أخرج، وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغظ...³⁰⁸ .

• المثال الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا وَعَلَيْهَا أَتَيْنَاهَا أُمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْرَبَ بِإِلَاسٍ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾³⁰⁹ .

قال الفخر الرازي: " "اعلم انه تعالى لما قال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾³¹⁰ أتبعه بهذا المثل العجيب الذي ضربه لمن يبغي في الأرض ويغتر بالدنيا، ويشتد تمسكه بها، ويقوى إعراضه عن أمر الآخرة والتأهب لها، فقال: " إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض... " ³¹¹ ، ففي هذا المثل: " بيان شأن الحياة الدنيا، وقصر مدة التمتع فيها... أي: إنما حالها في سرعة تقضيها، وانصرام نعيمها بعد إقبالها، واعتزاز الناس بها " كما أنزلناه من السماء فاختلط

³⁰⁷ محمد أبو موسى: "التصوير البياني"، ص: 88-89.

³⁰⁸ الزمخشري: "الكشاف"، ج1، ص: 201-202.

³⁰⁹ سورة يونس: الآية: 24.

³¹⁰ سورة يونس: الآية: 23.

³¹¹ فخر الدين الرازي: "التفسير الكبير" أو "مفاتيح الغيب" / دار الفكر / بيروت / ط1: 1981/ج17/ ص 76

به... " ³¹² . قال الزمخشري: "شبهت حال الدنيا في سرعة تقضيها، وانقراض نعيمها بعد الإقبال... بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف، وزين الأرض بخضرتها ورفيفه..." ³¹³ .

وقوله: "أخذت الأرض زخرفها وازينت"، جملة بدیعة اللفظ، جعلت الأرض آخذة زخرفها متزينة، وذلك على جهة التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون، فاكتست وتزينت بأنواع الحلي، فاستعير الأخذ - وهو تناول باليد؛ لاشتغال نبات الأرض على بهجة ونضارة وأثواب مختلفة، واستعير لتلك البهجة والنضارة والألوان المختلفة لفظ "الزخرف"، وهو الذهب لما كان من الأشياء البهجة المنظر السارة للنفوس، و"ازينت" أي: بناتها وما أودع فيه من الحبوب والثمار والأزهار... ³¹⁴

• المثال الثالث: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ تَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا

جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٦٦﴾ أَوْ كَظُلُمَةٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ

يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ۗ ظُلُمَتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ

وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٦٧﴾ ³¹⁵

لما ذكر تعالى حالة الإيمان والمؤمنين وتنويره قلوبهم، ووصفهم بما وصفهم من الأعمال النافعة في الآخرة، أعقب ذلك بذكر مقابلهم الكفرة و أعمالهم، فمثل لهم ولأعمالهم مثلين: أحدهما - يقتضي بطلان أعمالهم في الآخرة، وأنهم لا ينتفعون بها، والثاني - يقتضي حالها في الدنيا من ارتباكها في الضلال والظلمة... ³¹⁶

³¹² شهاب الدين الألويسي: "روح المعاني"، ج11/ ص 100.

³¹³ الزمخشري: "الكشاف"، ج 3/ ص 129، ومحمد الأمين العلوي الهرري: "حدائق الروح والريحان في روائع علوم القرآن" / دار طوق النجاة/ بيروت / ط1: 2001/ ج12/ ص 239.

³¹⁴ أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي: "البحر المحيط" / تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض وآخرون / دار الكتب العلمية/ بيروت/ ط1: 1993/ ج5/ ص 145.

³¹⁵ سورة النور، الآيتان: 39-40.

³¹⁶ أبو حيان الأندلسي: "البحر المحيط"، ج6/ ص 423.

ففي التمثيل الأول: "شبهت حالة كدهم في الأعمال وحرصهم على الاستكثار منها، مع ظنهم أنها تقربهم إلى رضى الله، ثم تبين أنها لا تجديهم، بل يلقون العذاب في وقت ظنهم الفوز... شبه ذلك بجملة ظمآن يرى السراب فيحس به ماء فيسعى إليه، فإذا بلغ المسافة التي خال أنها موق -ع الماء، لم يجد ماء، ووجد هنالك غريماً يأسره ويحاسبه على ما سلف من أعماله السيئة" ³¹⁷.

وفي التمثيل الثاني: شبهت أعمالهم "في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة، وفي خلوها عن نور الحق؛ بظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب..." ³¹⁸.

وهكذا صور التمثيل في القرآن الكريم، كلها على هذا النمط البديع، صور حية شاخصة، فيها حركة الحياة، وفيها الإحساس القوي العميق، بكل معاني الحياة... ³¹⁹. والتصوير - كما يقول السيد قطب - هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسنة المتخيلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، والحدث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها، فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية... ³²⁰.

2- من الحديث النبوي:

• المثال الأول: قوله صلى الله عليه وسلم: "مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتْ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبٌ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَرَزَعُوا، وَأَصَابَ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا

³¹⁷ الطاهر ابن عاشور: "التحرير والتنوير"، ج18/ ص 251.

³¹⁸ الزمخشري: "الكشاف"، ج4/ ص 310، وابن القيم: "بدائع التفسير"، ج2/ ص 247.

³¹⁹ المرجع نفسه، ص: 56.

³²⁰ السيد قطب: "التصوير الفني في القرآن" / دار الشروق / القاهرة/ مصر / ط6: 2002 / ص: 36.

تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُثْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ قَفَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلِمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ " رواه البخاري ومسلم³²¹.

ففي هذا الحديث بيان مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم النافع، وبيان أحوال الناس مع هذا الهدى والعلم، قال ابن حجر: "قال القرطبي وغيره: ضرب النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء به من الدين مثلاً بالغيث العام الذي يأتي في حال حاجتهم إليه، وكذا كان الناس قبل مبعثه، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت، فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت، ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة التي ينزل بها الغيث، فمنهم العالم العامل المعلم، فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها، ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله، أو لم يتفقه فيما جمع، لكنه أداه لغيره، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به، وهو المشار إليه بقوله: "نَصَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا"، ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به، ولا ينقله لغيره، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها..."³²².

لقد كشف لنا هذا الحديث أمر الناس بعد إذ جاءهم الهدى الذي يحتاجون إليه، ويفتقرون له، بهذا الأسلوب من تشبيه التمثيل الذي صوّر لنا هيئة العالم بما فيها من افتقار إلى الهداية، ثم ما كان من مواقفهم إزاء تلك الهداية الإلهية، بما نراه من الصورة المحسوسة الواضحة في الأرض العطشى، إذ ينزل عليها الغيث وما يستتبعه من نبات في أرض "تقية": طيبة، أو جمع ماء في أخرى "إخاذات" تأخذ وتجمع، أو تضييع وإفساد في الثالثة: "إنما هي قيعان" ..."³²³.

³²¹ محمد بن إسماعيل البخاري: "الجامع الصحيح" / دار الشهاب / الجزائر / 1990 / كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم، ج 1 / ص 28 - ومسلم بن حجاج: "صحيح مسلم" / دار الفكر / بيروت / بدون تاريخ / كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم، ج 7 / ص 63 - والحسن بن خالد الراهمزي: "أمثال الحديث" / تحقيق: عبد العلي عبد الحميد الأعظمي / دار السلفية / بومباي / الهند / ط 1: 1983 / ص 36 - وأبو الشيخ الأصبهاني: "الأمثال في الحديث النبوي" / تحقيق: عبد العلي عبد الحميد الأعظمي / دار السلفية / بومباي / الهند / ط 1: 1982 / ص 243.

³²² أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" / اعنتى به: أبو قتيبة نظر محمد الفارابي / دار طيبة / الرياض / م. ع السعودية / ط 1: 2005 / ج 1 / ص 310، وابن خالد الراهمزي: "أمثال الحديث"، ص: 36 وما بعدها.

³²³ نور الدين عتر: "في ظلال الحديث النبوي" / دار الهدى / عين مليلة / الجزائر / 2008 / ص 18

• **المثال الثاني:** قوله صلى الله عليه وسلم: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَ تَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ

الوَاحِدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمَى" رواه البخاري ومسلم.³²⁴

لقد مثل الحديث حقيقة الإيمان في قلوب المؤمنين الذين يجمعهم ويشد بعضهم ببعض في السراء والضراء، ببناء الجسد الواحد الذي يمسك بعضه بعضاً، وقرر بالتمثيل أن كل فرد من أفراد المجتمع المؤمن كالعضو من أعضاء الجسد، إذا أصيب العضو الواحد منه بالألم، سرى الألم في باقي الأعضاء بحكم الرابط الذي يصل بعضهم ببعض، ومثل ذلك مجتمع المؤمنين، إذا ألم أحدهم، أحس بألمه باقي المؤمنين بحكم رابطة الإيمان التي تصل بينهم، وتنقل مشاعر كل فرد إلى غيره، فرابطة الإيمـان المعنوية تشبه رابطة الجسم المادي...³²⁵

ومما يزيد في تأكيد معنى التماسك بين الممثل له - وهو مجتمع المؤمنين - والممثل به - وهو الجسد... أن الممثل به ورد في صيغة المفرد الذي لا يتحلل إلى أفراد، فيحتفظ بصفات الجسدية، ثم وصف بصفة الواحد إثباتاً للوحدة والتماسك وتأكيداً لها، ثم تجانس فعلاً الشرط والجزاء في المضي للدلالة على أن الأعضاء يدعو بعضها بعضاً إلى الاستجابة والإنقاذ من الهلاك، وكأن خطر الهلاك محقق بكل الأعضاء، لا بالعضو المصاب فقط³²⁶. وألطف اللطف في التعبير، وأدق الدقة ما يحمله لفظ تداعي من عجيب المعنى، فهو يخيل إليك أن أعضاء الجسد قد هبت للنجدة، يدعو بعضها بعضاً، ويناديه لإسعاف صاحبها أو مواساته، ثم يجعل تناديهما ليس الصراخ بلا مغيث، وإنما هو الجواب العملي للمسعف والمساعـد:
السهر والحـمى...³²⁷

³²⁴ البخاري: "الجامع الصحيح"، كتاب الادب، باب رحمة الناس و البهائم، ج 7 / ص 77-78، ومسلم: "صحيح مسلم"، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم و تعاضدهم، ج 8 / ص 20، ومحمد بن علي الحكيم الترمذي: "الأمثال من الكتاب والسنة" / تعليق: سليم مصطفى البديري / دار الكتب العلمية/ بيروت / ط1: 2003 / ص: 26.

³²⁵ عبد الرحمن بودرع: "الإيجاز وبلاغة الإشارة في البيان النبوي" / مطبعة الخليج العربي/تطوان/ المغرب/ ط1: 2009/ ص 157-158.
³²⁶ عبد الرحمن بودرع: "الإيجاز وبلاغة الإشارة في البيان النبوي"، ص: 158، وعز الدين علي السيد: "الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية" / دار اقرأ/ بيروت/ ط2: 1986/ ص 161.

³²⁷ عز الدين علي السيد: "الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية"، ص 161، ونور الدين عتر: "في ظلال الحديث النبوي"، ص 247.

• **المثال الثالث:** قوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةِ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ، وَيَعْبَجُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَا وَضَعْتَ هَذِهِ اللَّبْنَةَ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبْنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ" رواه البخاري ومسلم³²⁸.

قال ابن خلدون الراجحي: "هذا مثل نبوته صلى الله عليه وسلم وأنه خاتم الأنبياء، وبه تتم حجة الله عز وجل على خلقه، ومثل ذلك بالبنين الذي يشد بعضه بعضا، وهو ناقص الكمال بنقصان بعضه، فأكمل الله به دينه، وختم به وحيه، والعرب تمثل ما يباليغون فيه من الوثاقة والأصالة وعقدة المكارم والمفاخر، وأشبه ذلك بالبنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانًا مَرْضُوضًا﴾³²⁹، يعني لا يزول ولا يتخلخل...³³⁰.

وليس يخاف ما في ذلك التشبيه من إبداع ودقة فنية، فقد اختار المشبه به بيتا يبني ويزخرف، وذلك أقرب وألصق بحياة الناس، وأعظم تصويرا للاكتمال المتدرج بوضعه لبنة لبنة، ثم إن مباهاة الناس بحسن البنين أمر مشاهد ملموس، كذلك فإننا فهمنا أهمية الفراغ الذي ملأته هذه الشريعة؛ لأنه موضع في زاوية، والزاوية لها أهميتها العظيمة، لأنها الركن للبنين، فالنقص فيها يكون نقصا ممحا وخطيرا، ثم إنه موضع لبنة لا يتسع لغيرها، فلا مجال للبنة أخرى، كذلك كانت بعثته صلى الله عليه وسلم الختام النهائي للدعوات السماوية، كما أن اللبنة في البنين تكون متناسقة ومتألفة مع باقي أجزاء البنين، كذلك الدعوة الخاتمة مكتملة لما سبقها ومتناسقة معها...³³¹.

³²⁸ البخاري: "الجامع الصحيح"، كتاب الأنبياء، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، ج 4 / ص 162، ومسلم: "صحيح مسلم"، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، ج 7 / ص 64، والحكيم الترمذي: "الأمثال من الكتاب والسنة"، ص 23.

³²⁹ سورة الصف، الآية 04

³³⁰ ابن خلدون الراجحي: "أمثال الحديث"، ص: 7، 8.

³³¹ نور الدين عتر: "في ظلال الحديث النبوي"، ص: 25.

• **المثال الرابع:** قوله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا مِثْلِي وَمِثْلُ النَّاسِ كَمِثْلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَّاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْزِعُهُنَّ وَيُعْلِنُهُنَّ فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا أَخَذُ بِجُحْرِكُمْ عَنِ النَّارِ وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا" رواه البخاري ومسلم³³².

يقرر الرسول عليه السلام شدة حرصه على المؤمنين ورحمته بهم، وشدة جذب الشيطان وفتنته وطاعتهم، فيضرب لحاله معهم مثلاً، ولحالهم مثلاً، ويخرجهما في تخييل حسي شهد حقيقته كل منهم: رجل استوقد ناراً فشبت وأضاءت ما حوله، فجذب الضوء الفرائش والجنادب وغيرها مما تغريه النار على اقتحامها، وأسرع إليها يقع فيها، فأخذ يحاول إيقادهن بنزعهن من النار، فيغلبهن الحمق فيعدن إلى النار يقتحمن فيها³³³.

إلى غير ذلك من التمثيلات النبوية التي تظهر مدى عناية البيان النبوي بهذه الأداة التصويرية البديعة.

3- من الشعر العربي:

لقد جاء التشبيه التمثيلي في شعر العرب في كثرة لافتة، وشغف به الشعراء منذ القدم... فقد ذكر الدكتور مختار عطية أن التشبيه التمثيلي ورد بالمعلقات في كثرة هائلة، حتى قارب الخمسين موضعاً...³³⁴، ومن ذلك:

قول امرئ القيس في فرس:

مَكْرٌ مَقْرٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَاً كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ

³³² البخاري: "الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، باب الانتباه عن المعاصي، ج7/ ص 186، ومسلم: "صحيح مسلم"، كتاب الفضائل، باب شفقتة صلى الله عليه وسلم على أمته ومبالغته في تحذيرهم ما يضرهم، ج 7/ ص 64، والحكيم الترمذي: "الأمثال من الكتاب والسنة"، ص: 26...

³³³ عز الدين علي السيد: "الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية"، ص 161-162.

³³⁴ مختار عطية: "علم البيان وبلاغة التشبيه في المعلقات السبع"، ص 200.

يقول: هذا الفرس مكر إذا أريد منه الكر، ومفر إذا أريد منه الفرّ، ومقبل إذا أريد منه إقباله، ومدبر إذا أريد منه إدباره، وقوله: معاً، يعني أن الكرّ والفرّ والإقبال والإدبار مجتمعة في قوته لا في فعله، لأن فيها تضادا، ثم شبهه في سرعة مرّه وصلابة خلقه، بحجر عظيم ألقاه السيل من مكان عال إلى حضيض³³⁵. وقد استوعب عجز البيت في هذا التشبيه التمثيلي تصويرا حيا جمع بين صورتي الفرس والحجر في مشهد آخذ³³⁶.

وكقول عنتر بن شداد في الذباب وقد وقع في روضة:

هَزَجًا يَجُكُّ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمَكْبَّ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ

ومعنى البيت أنه شبه الذباب حين وقع في هذه الروضة فحك إحدى ذراعيه بالأخرى، برجل مقطوع الكفين يوري زنادا، فهو يمدّه بين ذراعيه إذ لم يكن له كفّان يمرّه بينهما، والأجدم من نعت المكبّ...، ويقال: إنه لم يقل في معنى هذا مثله...³³⁷.

والأمثلة - غير ما ذكر - كثيرة في شعر أصحاب المعلقات السبع أو العشر، وعند غيرهم لا تحصى كثرة... وفيما يلي طائفة منها:

- فمن ذلك قول الفرزدق³³⁸:

إِنَّ الْمَلَامَةَ مِثْلُ مَا بَكَرَتْ بِهِ مِنْ تَحْتِ لَيْلَتِهَا عَلَيْكَ نَوَائِرُ

وَتَقُولُ كَيْفَ يَمِيلُ مِثْلَكَ لِلصَّبَا وَعَلَيْكَ مِنْ سِمَةِ الْحَلِيمِ وَقَارُ

وَالشَّيْبُ يَهْضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصِيحُ بِجَانِبَيْهِ نَهَائِرُ

³³⁵ الزوزني: "شرح المعلقات السبع"، ص 44. و أحمد بن الأمين الشنقيطي: "شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها" / تحقيق: عبد

الرحمن المصطاوي / دار المعرفة/ بيروت/ ط3: 2007 / ص 44.

³³⁶ مختار عطية: "علم البيان وبلاغة التشبيه..."، ص 200.

³³⁷ الخطيب التبريزي: "شرح ديوان عنتره" / تحقيق: مجيد طراد/ دار الكتاب العربي/ بيروت/ 2004/ ص 160.

³³⁸ الفرزدق همام بن غالب: "الديوان" / دار الكتاب اللبناني/ مكتبة المدرسة/ بيروت/ ط 1: 1983 / شرح: إيليا الحلوي / ج 1/

ص 600.

قال الدكتور محمد أبو موسى: "المشبه هو الشيب الذي ينهض في الشباب، ويظهر فيه غالباً عليه، والمشبه به هو ليل يحيط بجوانبه نهار، يصيح به كما يصيح الغالب بالمغلوب..."³³⁹.

وقال أيضاً: "الصورة هنا صورة حسنة، فيها أكثر مما قلناه: فيها قوله "ينهض" تلك التي تشير إلى غلبة الشيب للشباب، واستيلائه على معاقله؛ من فتوة وصبوة واقتدار، وأنه يحيلها إلى ما يضاد ذلك، وقد قابل الشاعر هذه الحالة في المشبه بما يؤديها في المشبه به، فقال: "يصيح" وهي كلمة مؤذنة بضياح الليل ومحقة واستيلاء النهار على سلطانه كله، فالنهار يصيح بجانبه محاصراً له، كما يصيح الفارس المغوار"³⁴⁰. ولاحظ الدكتور الفاضل أن ثمت في تلك الصورة: "مناسبة دقيقة بين الشباب والليل، والشيب والنهار، وهذه المناسبة يؤذن بها السياق، لأن الكلام وارد على لسان صاحبه التي تعذله على الغني بعد الشباب، وأنه لم يَرَعُو عن جهالته، رغم أنه قد صار عليه "من سمة الحلم وقار" فالليل يشبه تلك الغشاوة التي تحول بين المرء في زمن الصبا، وبين رؤيته الرشدة واتباعه، وتجعله يوسع المطية في الجهل..."³⁴¹.

- وقال أبو الطيب المتنبي³⁴²:

لا يُعْجِبَنَّ مَضِيحاً حُسْنَ بَرَّتِهِ وَهَلْ يَرُوقُ دَفِيناً جُودَةَ الكَفَنِ

يريد بحسن بزمته اليسر وسعة الرزق، يقول: لا ينبغي له أن يفرح بذلك على ما هو فيه من الذل، فإنه كالميت الذي عليه أكفان حسنة³⁴³. فالشاعر هنا قد رسم "صورة مقرزة لذلك الذليل الخانع الذي يعيش بلا كرامة، وتعجبه ظواهر الأشياء من ثياب يتباهى بها ونحو ذلك، بينما إنسانيته جريحة مهانة فهو ميت، لأن من فقد كرامته لم يبق له من إنسانيته إلا صورة اللحم والدم، وهذه شركة بين الناس والبهائم،

³³⁹ محمد أبو موسى: "التصوير البياني"، ص 58-59.

³⁴⁰ محمد أبو موسى: "التصوير البياني"، ص 59.

³⁴¹ المرجع نفسه.

³⁴² ناصيف اليازجي: "العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب"، ج 1/ ص 375.

³⁴³ المرجع نفسه، ج 1/ ص 375.

فيكون قد فقد وجوده كإنسان محترم، وصار في عداد الأموات، وماذا ينفع الميت جودة كفته، طالما أنه مدفون تحت التراب تأكله القوارض والديدان؟ والوجه المنتهق بالطرفين هنا: عدم الاعتراف بالزينة إذا كانت في غير موضعها³⁴⁴.

وقال الغزّي في هموم الحياة التي تعرض للناس:

إِذَا قَلَّ عَقْلُ الْمَرْءِ قَلَّتْ هُمُومُهُ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا مُقْلَةٍ كَيْفَ يَرْمُدُ

يعبر الشاعر عن معاناة رجال الفكر والمعرفة من بني الإنسان أحسن تعبير، فالحياة بحر من الآلام والمتاعب والأحزان، ويدرك الناس من أحزانها وآلامها على قدر عقولهم، فمن كان عقله قليلاً، قلت همومه ومتاعبه، وقد جسد الشاعر هذا المعنى بصورة حسية تبينه وتوضحه، فشبه قليل العقل الذي قلت همومه، وذوت أحلامه، فلم يدرك من أشجان الحياة شيئاً يذكر... بالأعمى الذي فقد عينه، فأنى يصيبه الرمد بعد ذلك. إنها صورة حسنة تجسد حال قلبي العقل بقلة الهموم، أولئك الذين فقدوا نور البصيرة؛ بمن فقد نور بصره فليس يرمد، فكلاهما عديم الرؤية لما حوله، ولكن الأول أشد عمى من الثاني، وذلك لأن من فاته نور البصيرة، صار كالحیوان يسرح ويتمتع، ولا هدف له غير ذلك، وأما من فاته نور البصر، فقد يعوضه الله من نور البصيرة ما يسد به فقد بصره، فيرى من الحياة ما لم يره غيره...³⁴⁵.

ومن ذلك قول الفرزدق³⁴⁶:

وَإِنَّكَ إِذْ تَهْجُو تَهْجَاً وَتَرْتَبِي سَرَابِيلَ قَيْسٍ أَوْ سُحُوقَ الْعَجَائِمِ
كَمُهْرِيْقِ مَاءٍ بِالْقَلَاةِ وَعَوَّرَهُ سَرَابٌ أَدَاعَثَهُ رِيَاْحُ السَّمَائِمِ

³⁴⁴ محمد رفعت أحمد زنجير: "التشبيه في مختارات البارودي - دراسة تحليلية" (رسالة دكتوراه) / كلية اللغة العربية / جامعة أم القرى / المملكة العربية السعودية / 1415هـ-1995م / ص 295.

³⁴⁵ محمد رفعت أحمد زنجير: "التشبيه في مختارات البارودي"، ص 405-406.

³⁴⁶ الفرزدق: "الديوان"، ج 2 / ص 566.

قال الدكتور أبو موسى: "أراد أنك حين تجفو تميا وتختار قيسا وتؤثرها عليها تكون خاسرا ومضيعا لخير ينفعك في وقت الحاجة... وقد صوّر هذا المعنى في قوله: "كمهريق ماء بالفلاة"، ولو قال: كمهريق ماء وغره سراب، لأدى المغزى العام، ولكنه لما ذكر الفلاة أفاد شدة حاجته إلى الماء حيث لا يجد له بديلا في حر الصحراء المحرق، ثم أكد هذا المعنى وزاده عمقا بقوله: "أذاعته رياح السائم"، لأن رياح السائم رياح حارة جدا. فالمذكور في فلاة تهب فيها هذه الرياح الملتهبة، وهذا هو التفصيل الذي قلنا إنه تحليل للفكرة، وتجلية لأبعادها، وإشارة صحيحة لصدق الإحساس بها، فقيم هي الماء الذي يروي ظمأه في حر الأحداث اللالحة، وقيس هي ذلك السراب الخادع المتلف لراجيه...³⁴⁷.

إلى غير ذلك من الأمثلة التي لا تحصى كثيرة، والتي تزخر بها دواوين الشعر والأدب في مختلف العصور.

والحقيقة أن ما قيل عن "تشبيه التمثيل" ما هو إلا غيض من فيض، فهو في القرآن آية على "إعجاز" الكتاب العزيز، وفي أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم عَلَمٌ من أعلام البلاغة النبوية، وفي الشعر العربي دليل من دلائل النبوغ... ولا عجب إذا ما عرف الإنسان حقيقة ذلك الفن البديع، ووقف على بعض ما ينطوي عليه من أسرار... إنه ليعمل في النفوس والعقول عمل السحر، فيهب الكيان ويأخذ بالألباب...

ويبقى أن نفصل القول في جهود علم من أعلام البلاغة العربية، في رفع قواعد ذلك الفن، وإبراز معالمه، ومقدار تلك الجهود.

³⁴⁷ محمد أبو موسى: "التصوير البياني"، ص: 147.

الفصل الثالث

الجوانب النظرية في تشبيه التمثيل من
خلال كتابي "أسرار البلاغة" و"دلائل
الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني

لقد سبق في حديثنا في الفصل الثاني عن "التمثيل" أن خلصنا إلى أن دلالة التشبيه والتمثيل في اللغة دلالة واحدة، وأن بعض البلاغيين كالزخشي و ابن الأثير... قد يكونون نظروا إلى اتحاد الدلالة اللغوية لكل منهما، فجعلوها مترادفين، ولم يفرقوا بينهما، فكل تمثيل عندهم تشبيه، وكل تشبيه تمثيل.... .

أما معظم علماء البلاغة وجمهورهم، فإنهم يفرقون بينهما. . وعلى رأس هؤلاء ثلاثة أعلام، تألفت نجومهم في سماء البلاغة العربية، وهم: عبد القاهر الجرجاني، وأبو يعقوب السكاكي، والخطيب القزويني...وهؤلاء الثلاثة اعتمدوا في تحديد التمثيل، والتفرقة بينه وبين التشبيه على وجه الشبه المنتزِع من الطرفين، ولكن اختلفت وجهة نظرهم في ذلك التفریق...وقد مضى بيان ذلك، غير أننا اكتفينا في بيان مذهب عبد القاهر في "التمثيل"، بإشارة مختصرة عامة اقتضى المقام ذكرها كما أسلفنا...

ويأتي هذا الفصل الثالث...والذي نسعى من خلاله إلى بسط القول في مذهب هذا العلم الجليل في "التمثيل، من حيث مفهومه، والفروق بينه وبين التشبيه، ومراتبه، ومواقعه، وتأثيره في النفس...وآراء عبد القاهر التي نسعى لبيانها، قد بثها في كتابيه الجليلين: "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" وبخاصة هذا الأخير والذي اشتمل على جل تلك الآراء...والكتابان - في الشهرة- كثار على علم .

◆ حقيقة تشبيه التمثيل عند عبد القاهر:

لقد فرق عبد القاهر الجرجاني بين نوعين مختلفين من التشبيه:

الأول: تشبيه غير تمثيل، "وهذا النوع يسميه "التشبيه الصريح"، أو "التشبيه الحقيقي الأصلي"³⁴⁸، أو "التشبيه الظاهر"³⁴⁹، أو "التشبيه" فقط، كما هو الحال في المواضيع التي يذكر فيها الفروق بينه وبين التمثيل كما سيأتي.

والثاني: تشبيه تمثيل، ويسميه "التمثيل"...

والسؤال الذي يطرح هنا هو: ما حقيقة تشبيه التمثيل عند عبد القاهر، وعلى ماذا اعتمد في التفريق بينه وبين التشبيه غير التمثيلي؟ والجواب عن ذلك يضطرنا إلى الحديث عن حقيقة التشبيه و التمثيل عنده، وفيما يتحقق كل منهما، وشواهد ذلك.

* حقيقة التشبيه عند عبد القاهر:

قال عبد القاهر: "اعلم أن الشئيين إذا شبه أحدهما بالآخر، كان ذلك على ضربين:

أحدهما: أن يكون من جهة أمر بين لا يحتاج إلى تأول.

والآخر: أن يكون الشبه محصلا بضرب من التأول..."³⁵⁰

ثم شرع يتكلم عن الضرب الأول، فقال: "فمثال الأول: تشبيه الشيء بالشيء من جهة الصورة

والشكل، نحو أن يشبه الشيء إذا استدار بالكرة في وجهه، وبالحلقة في وجه آخر، وكالتشبيه من جهة

اللون، كتشبيه الحدود بالورد، والشعر بالليل، والوجه بالنهار، وتشبيه سقط النار بعين الديك، وما جرى

في هذا الطريق..."³⁵¹، وهو يريد بعبارة "وما جرى في هذا الطريق" - كما ذكر الدكتور المطعني - أن تقيس

³⁴⁸ شفيع السيد: "البحث البلاغي عند العرب"، ص 103، و عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 99، و 108 على سبيل المثال.

³⁴⁹ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 108، 234.... مثلا.

³⁵⁰ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 90.

³⁵¹ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 90

الفصل الثالث

على تشبيه اللون باللون ما كان مثله من بقية الأمور التي تدرك بوحدة من طرق الحواس الخمس. قال: "وهذا ضرب من أضرب التشبيه عند الإمام عبد القاهر، وليس حاصرا لكل صور التشبيه، ويظهر لك هذا من قوله الآتي: "أوجع الصورة واللون معا، كتشبيه الثريا بعنقود الكرم المنور، والنجس بمدهن در حشوهن عقيق.."³⁵²، أراد الإمام أن يبين لك أن الوجه المركب الحسي مثل الوجه المفرد الحسي في أن التشبيه فيها باق في باب التشبيه"³⁵³.

كما يدخل في هذا الضرب الأول أيضا -عنده: التشبيه من جهة الهيئة، ويدخل فيها حال الحركات في أجسامها، وكذلك كل تشبيه جمع بين شيئين فيما يدخل تحت الحواس، كالأصوات، و كتشبيه بعض الفواكه الحلوة بالعسل و السكر، و تشبيه اللين الناعم بالخز، والخشن بالمسح، أو رائحة بعض الرياحين برائحة الكافور...³⁵⁴

وفما يلي طائفة من الأمثلة التي ذكرها عبد القاهر من هذا الضرب، مما يدخل تحت الحواس، مفردا كان ووجهه أم مركبا:

قال ابن الرومي:³⁵⁵

حَبْرُ أَبِي حَفِصٍ لُعَابُ اللَّيْلِ يَسِيلُ لِلْإِخْوَانِ أَيَّ سَيْلٍ

المراد بلعاب الليل:سواده، فقد شبه حبر ذلك الكاتب بلعاب الليل في السواد، ووجه الشبه وهو السواد مفرد حسي، له وجود حقيقي في كل من المشبه والمشبه به³⁵⁶

وقال بعضهم يشبه سقط النار بعين الديك:³⁵⁷

* وَسَقَطَ كَعَيْنِ الدِّيكِ عَاوَزَتْ صُحْبَتِي *

³⁵² المصدر نفسه، ص 90.

³⁵³ عبد العظيم المطعني: " التشبيه و التمثيل "، ص 14.

³⁵⁴ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 90، 91.

³⁵⁵ المصدر نفسه، ص 220.

³⁵⁶ عبد الفتاح فيود: " دراسات بلاغية "، ص 150.

³⁵⁷ البيت لذى الرمة، و تمامه: ... أباه، و هيأنا لموضعها وكرا، ينظر: محمد هود شاعر: هامش تحقيق "أسرار البلاغة"، ص 161،

وذو الرمة: "الديوان" / شرح: أحمد حسن بسج / دار الكتب العلمية / بيروت / لبنان / ط1: 1995 / ص 87.

الفصل الثالث

السقط: ما سقط بين الزندين قبل استحكام الورى، وقد شبه النار بعين الديك، عاورت صاحبي
(أوصحبتى): تداولت، فأنا أقدح مرة وهو مرة.³⁵⁸

ومن ذلك قول أبي قيس بن الأسلت أو قيس بن الخطيم:³⁵⁹

وقد لآح في الصُّبحِ الثُّريا لِمَن رَأَى كَعُنُقودِ مُلَاجِيَّةٍ حِينَ نَوَّرَا

فقد شبه نجوم الثريا بعنقود العنب حين نور، ووجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من تجمع أجسام بيض
مستديرة وصغيرة على كيفية مخصوصة، فهو مركب حسي، وله وجود حقيقي - كما نرى - في كل من طرفي
التشبيه...³⁶⁰

وكقول ذي الرمة:³⁶¹

كَأَنَّ أَصْوَاتَ، مِنْ إِيغَالِهِنَّ بِنَا، أَوَاخِرِ الْمَيْسِ إِنْقَاضَ الْفَرَارِجِ

تقدير البيت: "كأن أصوات أواخر الميس أصوات الفراريج من إيغالهن بنا"، ثم فصل بين المضاف
والمضاف إليه بقوله: "من إيغالهن..."³⁶².

يصف أصوات الرحال المصنوعة من شجر الميس، وقد أسرع بهم المطايا في السير، فصار يسمع
لتلك الرحال أصوات الفراريج الصغار، فوجه الشبه وهو تلك النغمة الخاصة الناتجة من احتكاك أعواد
الرحل عند السير، و المسموعة من أفراخ الدجاج، مفرد حسي مدرك بحاسة السمع، وله وجود حقيقي
في طرفي التشبيه كما هو واضح. ويؤخذ على الشاعر في هذا البيت فصله بين المضاف "أصوت"،
والمضاف إليه "أواخر الميس"، بقوله: "من إيغالهن بنا"، إذ الأصل: كأن أصوات أواخر الميس

³⁵⁸ ذو الرمة: "الديوان"، ص 87.

³⁵⁹ ذكر محقق ديوان قيس بن الخطيم هذا البيت ضمن الشعر المنسوب لابن الخطيم، و ذكر أنه منسوب إلى أبي القيس بن الأسلت في
"الأغاني" (15 / 159)، و"التشبيهات" (5)، و"معاهد التنصيص" (17 / 2)... ينظر: قيس بن الخطيم: "الديوان" / تحقيق: ناصر
الدين الأسد / دار صادر / بيروت / بدون تاريخ / ص 234. وقد نسبه عبد القاهر الجرجاني في الأسرار إلى قيس بن الخطيم، ص 95.

³⁶⁰ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية"، ص 150

³⁶¹ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار بلاغية"، ص 91، و ذو الرمة: "الديوان"، ص 42.

³⁶² عبد القاهر الجرجاني: "أسرار بلاغية"، ص 91.

أصوات الفراريج من إيغالهن بنا، وهذا الفصل على عيب يجلب بفصاحة الكلام، ويعرف بالمعاطلة أو التعقيد اللفظي...³⁶³

إلى غير ذلك من التشبيهات الحسية التي يدرك وجه الشبه فيها بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، ويكون له وجود حقيقي في طرفي التشبيه سواء أكان هذا الوجه الحسي المنتزع من الطرفين مفرداً أم مركباً من عدة أمور....³⁶⁴

ومما يندرج في باب التشبيه دون التمثيل عند الإمام عبد القاهر: كل تشبيه وقع بين الغرائز والطباع، وهي الانفعالات الغريزية والأخلاق الراسخة، وما جرى عليه طبع أو سجية...³⁶⁵ أو بعبارة أخرى: "...تلك التشبيهات التي يكون وجه الشبه فيها عقلياً حقيقياً، أي: من الغرائز والطباع والأخلاق الراسخة، كالكرم والشجاعة واللؤم والمكر والخداع والمراوغة ونحو ذلك...³⁶⁶. وفي ذلك يقول عبد القاهر:

"...وهكذا التشبيه من جهة الغريزة والطباع، كتشبيه الرجل بالأسد في الشجاعة، وبالذئب في النكر. والأخلاق كلها تدخل في الغريزة نحو السخاء والكرم واللؤم، وكذلك تشبيه الرجل بالرجل في الشدة والقوة وما يتصل بهما"³⁶⁷.

فقول عمران بن حطان:

أَسَدٌ عَلَيَّ وَفِي الْحُرُوبِ نَعَامَةٌ فَتُخَاءُ تَنْفَرُ مِنْ صَغِيرِ الصَّافِرِ

شبه المهجور بالأسد في الشجاعة وقت السلم، وبالنعامة الفتخاء في الضعف والجبن وقت الحرب والنزال، ووجه الشبه من الكيفيات الراسخة المتقررة في النفس، ولذا عدده عبد القاهر تشبيهاً...

³⁶³ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية"، ص 150، 151، وعبد العظيم المطعني: "التشبيه والتمثيل"، ص 12.

³⁶⁴ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية"، ص 152.

³⁶⁵ عبد العظيم المطعني: "التشبيه والتمثيل"، ص 15.

³⁶⁶ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية"، ص 152.

³⁶⁷ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار بلاغية"، ص 91، 92.

الفصل الثالث

وقول الشاعر يهجو إنسانا يعد ولا يفني:

يُعْطِيكَ مِنْ طَرْفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً وَيَرَوِّعُ مِنْكَ كَمَا يَرَوِّعُ الثَّعْلَبُ

يَلْقَاكَ يَخْلِفُ أَنَّهُ بِكَ وَائْتِيقُ وَإِذَا تَوَارَى عَنكَ فَهُوَ الْعُقْرُبُ

يطالعك فيه تشبهان: الأول: تشبيهه روغان مخلاف الوعد بروغان الثعلب، أي تشبيهه بطباع بطباع، وهذا عند الإمام تشبيهه لا تمثيل. والتشبيه الثاني موطنه في البيت الثاني "فهو العقرب"، وهو تشبيهه بليغ لحذف الوجه والأداة، ووجه الشبه شدة الإيلام، فهو راجع إلى الغرائز و الانفعالات. وقد علمت أن كل ما كان كذلك فهو عند الإمام تشبيهه لا تمثيل.³⁶⁸

وأما سبب عد عبد القاهر الجرجاني ما كان الوجه فيه من الأخلاق و الغرائز والطباع الثابتة تشبيها، فهو كما ذكر الدكتور عبد الفتاح فيود أن وجه الشبه عندما يكون من تلك الأمور فهو بين ظاهر، لا يحتاج في إدراكه إلى تأول و صرف عن الظاهر، إذ هو مقرر ثابت، له وج حود حقيقي في كلا الطرفين.³⁶⁹

وقد بين الجرجاني هذه الحقيقة، بقوله: "فالشبه في كل هذا كله بين لا يجري فيه التأول، ولا يفترق إليه في تحصيله، وأي تأول يجري في مشابهة الخد للورد في الحمرة، وأنت تراها ههنا كما تراها هناك؟ وكذلك تعلم الشجاعة في الأسد كما تعلمها في الرجل".³⁷⁰

قال الدكتور عبد العظيم المطعني: "أي أن الإمام قد لحظ أن الشبه إذا جرى بين الحسيات في وجه حسي، أو بين الغرائز والطباع والأخلاق، فإنه يجري على نسق واحد هو ظهور المراد من التشبيه بلا خفاء ولا عناء. لذلك جمع بينها، وسمى ما يقع بينها كلها تشبيها لا تمثيلا. وهذا هو معنى قوله في أول مبحث التشبيه والتمثيل: "اعلم أن الشيين إذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين: أحدهما: أن

³⁶⁸ عبد العظيم المطعني: "التشبيه و التمثيل"، ص 16 و 17.

³⁶⁹ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية"، ص 153.

³⁷⁰ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار بلاغية"، ص 92.

يكون من جهة أمر بين لا يحتاج فيه إلى تأويل...³⁷¹ . ولذلك، فإن الدكتور المطعني يرى أن الحسية والغرزية التي ذكرها عبد القاهر، ليست مقصودة لذاتها، بل لما يترتب عليها من أمر هو الفيصل بين التشبيه والتمثيل، ذلك الأمر هو الوضوح و الظهور البين، وما دام الأمر كذلك فإن المقام يتسع لصور أخرى غير المحسوسات تدخل عند الإمام في باب التشبيه فكل صورة كان وجه الشبه فيها واضحا جليا فهو تشبيه سواء كان ذلك في الحسيات أو العقليات، المركبات أو المفردات...³⁷² .

وخلاصة القول: أن التشبيه غير التمثيلي عند عبد القاهر هو ما كان وجه الشبه فيه أمرا بينا بنفسه، لا يحتاج فيه إلى تأويل و صرف عن الظاهر، لأن المشبه مشارك للمشبه به في نفس وجه الشبه و حقيقة جنسه، لا في مقتضاه و لازمه.

وذلك يتحقق في أمرين اثنين:

الأول: أن يكون وجه الشبه حسيا، أي مدركا بإحدى الحواس الخمس الظاهرة، فيكون من المبصرات أو المسموعات أو المشمومات أو المذوقات أو الملموسات، سواء أكان الوجه مفردا أم مركبا.

الثاني: أن يكون وجه الشبه غرزيا طبيعيا "عقليا حقيقيا، فالغزائر والطباع وإن كانت عقلية، لأنها لا تدرك بإحدى الحواس الخمس الظاهرة فقد ألحقها عبد القاهر بالحسيات لأنها حقائق متفرقة ثابتة، تعلمها في المشبه به كما تعلمها في المشبه...³⁷³ .

*** حقيقة التمثيل عند عبد القاهر:**

1- مفهوم التمثيل:

بعد أن أنهى عبد القاهر حديثه عن الضرب الأول من التشبيه، وهو التشبيه غير التمثيلي... انتقل إلى الحديث عن الضرب الثاني، وهو التشبيه التمثيلي، أو "التمثيل"، وهو: "ما لا يكون وجه الشبه فيه

³⁷¹ عبد العظيم المطعني: "التشبيه و التمثيل"، ص 17 و 18.

³⁷² المرجع نفسه، ص 18، و عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية"، ص 155.

³⁷³ السيد محمود شيخون: "الإيضاح في التمثيل البلاغي" ص 9، 10. و بدوي طبانة: "البيان العربي..."، ص 249، و عبد العاطي غريب علام: "البلاغة العربية بين الناقد الخالدين"، ص 156.

الفصل الثالث

أمرا بينا بنفسه، بل يحتاج في تحصيله إلى تأول وصرف عن الظاهر " ³⁷⁴ ، وقد مثل لهذا الضرب بقولهم: "حجة كالشمس في الظهور"، وكلام ألفاظه كالماء في السلاسة، وكالنسيم في الرقة، وكالعسل في الحلاوة"، ويقول بعضهم: "كانوا كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها". قال عبد القاهر: "ومثال الثاني، وهو الشبه الذي يحصل بضرب من التأول، هذه حجة كالشمس في الظهور، وقد شبهت الحجة بالشمس من جهة ظهورها كما شبهت فيما مضى الشيء بالشيء من جهة ما أردت من لون أو صورة أو غيرها، إلا أنك تعلم أن هذا التشبيه لا يتم لك إلا بتأول... ³⁷⁵ ، ثم أخذ يبين طريق التأول في المثال المذكور بقوله: "...وذلك أن تقول: حقيقة ظهور الشمس وغيرها من الأجسام، أن لا يكون دونها حجاب أو نحوه، مما يحول بين العين وبين رؤيتها، ولذلك يظهر الشيء لك إذا لم يكن بينك وبينه حجاب، ولا يظهر لك إذا كنت من وراء حجاب، ثم تقول: إن الشبهة نظير الحجاب فيما يدرك بالعقول، لأنها تمنع القلب رؤية ما هي شبيهة فيه، كما يمنع الحجاب العين أن ترى ما هو من ورائه..." ³⁷⁶ .

قال الدكتور غريب علام: "و يمكن أن يقال في المثال السابق: المشبه مفرد عقلي، لأن المراد بالحجة معنى الكلام المسموع، والمشبه به مفرد حسي، ولما كان وصف المشبه به الحقيقي وهو الظهور من خواص المحسوسات، لأن معناه ألا يكون هناك مانع للبصر من الرؤية، لم يصح أن يوصف به المشبه، فاحتجنا إلى التأول وصرف الكلام عن ظاهره، وإرادة ما يستلزمه الظهور وهو عدم المانع من الإدراك؛ ليكون مشتركا بين الطرفين، وهو عقلي غير حقيقي" ³⁷⁷ ، والمراد بالتأول هو إرجاع وجه الشبه إلى معنى أن يكون له وجود في الطرفين، بوجه من الحيلة والتلطف والذكاء ³⁷⁸ ...فوجه الشبه بين الحجة والشمس هو مطلق الإدراك، وهذا موجود في الطرفين: الشمس مدركة بالحس إذا ارتفع الحجاب،

³⁷⁴ السيد محمود شيخون: "الإيضاح في التمثيل البلاغي"، ص 10

³⁷⁵ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 92.

³⁷⁶ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 92.

³⁷⁷ عبد العاطي غريب علام: "دراسات في البلاغة العربية"، منشورات جامعة قان يونس/ بنغازي/ ليبيا/ ط1: 1997 / ص

.103

³⁷⁸ عبد العظيم المطعني: "التشبيه و التمثيل"، ص 20.

الفصل الثالث

والحجة مدركة بالعقل إذا ارتفعت الشبهة، وهذا معنى التأول والصرف عن الظاهر، لأننا لم نرد أن الحجة مرئية كروية الشمس بل إنها مرئية رؤيا علمية عقلية...³⁷⁹.

وكذا القول في المثال الثاني: "كلام ألفاظه كالعسل حلاوة، و كالماء في السلاسة، وكالنسيم في الرقة، لأن الحلاوة والسلاسة والرقة لا وجود لها في جانب المشبه، فنحن بحاجة إلى تأول نصل به إلى وجه شبه له تحقق في كلا الطرفين، وهو بعد التأول: "الاستطابة وميل النفس وحصول الراحة واللذة لها، وهذا الوجه يوجد في الكلام حيث يحدث الكلام الجيد في النفس سرورا وأريحية، كما يوجد في العسل والماء والنسيم الذي يمتع النفس وتلذ به..."³⁸⁰.

وكذا القول في المثال الآخر، وهو: قول كعب الأشقري، وقد أوفده المهلب على الحجاج، فوصف له بنيه وذكر مكانهم من الفضل والبأس، فسأله في آخر القصة: "فكيف كان بنو المهلب فيهم؟ قال: كانوا حياة السرح نهارا، فإذا أليلوا ففرسان البيات. قال: فأبهم كان أنجد؟ قال: كانوا كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها"³⁸¹، فمعنى ذلك أن بني المهلب لتناسب أصولهم وفروعهم في الشرف، يمتنع تعيين بعضهم فاضلا وبعضهم أفضل منه كما أن الحلقة المفرغة لتناسب أجزائها، يمتنع تعيين بعضها طرفا وبعضها وسطا...³⁸²، ونصل بالتأول من التناسب المحسوس الذي يوجب في الحلقة إلى "التناسب الكلي التام الذي لا تفلوت فيه"³⁸³.

وذكر الدكتور أبو موسى أن المشبه في كل صور التمثيل التي ذكرها عبد القاهر أمر عقلي، وأن المشبه به في كل صور التمثيل التي ذكرها هو أمر حسي، وإنما سمي التمثيل تمثيلا لأنه يمثل الأمور المعقولة

³⁷⁹ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 154. وعبد العظيم المطعني: "التشبيه والتمثيل"، ص 20.

³⁸⁰ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 154.

³⁸¹ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 94، و ذكر محمود شاكر أن هذه القصة مذكورة في كتاب الكامل للمبرد...وينظر: أبو

العباس محمد بن يزيد المبرد: "الكامل"، تحقيق محمد أحمد الدالي / مؤسسة الرسالة / بيروت / ط3: 1997 / ج3، ص 1347. 1348

³⁸² ابن عبد الله شعيب، علم البيان، ص 25.

³⁸³ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 154.

ويجعلها شاخصة ماثلة في أمر محسوس...³⁸⁴، كما ذهب إلى أن التأول الذي هو أساس التمثيل لا يكون إلا مع الوجه الحسي... فوجه الشبه مثلا في قول الشاعر:

أَصْبِرْ عَلَى مَضِّ الْحَسُوِّ دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ
فَالنَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا إِنَّ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

هو ما تراه عينك في هذه النار التي لم تمد بالخطب، وهي تأكل نفسها، وليس الفناء لانقطاع مدد البقاء، كما قال المتأخرون... قال- أي أبو موسى:- "...وهذا الذي أسس عبد القاهر عليه الفرق حين ذكر أن التمثيل ما كان الوجه فيه متأولا، لأن الوجه العقلي لا تأويل فيه، وإنما التأويل لأن هذا الوجه الحسي لا يقوم في المشبه إلا على وجه التأول، و كأن تقول: إن الذي تراه في الحسود الذي تركت مقاولته، كالذي تراه في هذه النار التي تأكل نفسها، أنت هنا تبين أن الوجه الحسي قائم في المشبه على وجه المقاربة، وأن الذي في المشبه ليس هو وجه الشبه، وإنما هو شيء يشبه وجه الشبه، أو هو لازم الوجه كما قال القاهر، وهذا اللازم هو الذي اعتبره المتأخرون وجه الشبه، وسكتوا عن التأول، وأسقطوا التصوير الحسي الذي هو محض التمثيل، وقد قامت دراسة التمثيل عند عبد القاهر على هذا التأول..."³⁸⁵

2- مراتب التمثيل:

وبعد أن تحدث عبد القاهر عن الضرب الثاني من ضربي التشبيه، وهو "التمثيل" .. ذكر أنه "يتفاوت تفاوتاً شديداً، فمنه ما يقرب مأخذه و يسهل الوصول إليه بقليل من التأمل كما في المثال الأول، و منه ما يحتاج فيه إلى قدر من التأمل كما في المثال الثاني ظن ومنه ما يدق ويغمض حتى يحتاج في استخراجه إلى فضل روية ولطف فكرة، كما في المثال الثالث..."³⁸⁶، وفي ذلك يقول عبد القاهر: "ثم إن ما طريقه التأول يتفاوت تفاوتاً شديداً، فمنه ما يقرب مأخذه و يسهل الوصول إليه، ويعطي المقادة طوعاً، حتى أنه

³⁸⁴ محمد أبو موسى: "مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني" / مكتبة وهبة / القاهرة / ط1: 1998/ ص 374.

³⁸⁵ محمد أبو موسى: "مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني"، ص 375-376.

³⁸⁶ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 154.

يكاد يداخل الضرب الأول الذي ليس من التأول في شيء، وهو ذكرته لك - ومنه يحتاج فيه إلى قدر من التأمل و منه ما يدق و يغمض حتى يحتاج في استخراجه إلى فضل روية و لطف فكرة..."³⁸⁷

فهذا النص من عبد القاهر يشير إلى أن التفاوت في الخفاء في صور التمثيل على درجات، وهي حسب الترتيب التصاعدي لها:³⁸⁸

- نوع فيه خفاء يسير، ومن أمثلته عنده تشبيه الحجة بالشمس في الظهور.
 - ونوع أعلى قليلا من النوع الأول...كما في تشبيه الكلام بالماء في السلاسة، والنسيم في الرقة، والعسل في الحلاوة...وفي المقارنة بين هذين النوعين يقول: "فهذا كله تأول ورد شيء إلى شيء بضرب من التلطف، وهو أدخل قليلا في حقيقة التأول، وأقوى حالا في الحاجة إليه من تشبيه الحجة بالشمس"³⁸⁹.

- ونوع يشهد فيه أمر التأول...كما في قول كعب الأشقر السابق: "كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها"...يقول عبد القاهر معلقا على هذا المثال: "فهذا كما ترى ظاهر الأمر في فقره إلى فضل الرفق به والنظر، ألا ترى أنه لا يفهمه حق فهمه إلا من له ذهن ونظر يرتفع به عن طبقة العامة؟ وليس كذلك تشبيه الحجة بالشمس، فإنه كالمشترك البين الاشتراك، حتى يستوي في معرفته اللبيب اليقظ والمضعوف المغفل، وهكذا تشبيه الألفاظ بما ذكرت، قد تجده في كلام العامي. فأما ما كان مذهبه في اللطف مذهب قوله: "هم كالحلقة"، فلا تراه إلا في الآداب والحكم المأثورة عن الفضلاء وذوي العقول الكاملة".³⁹⁰

وقد لاحظ الدكتور عبد الفتاح فيود أن ذلك التفاوت الذي ذكره الجرجاني يرجع إلى أمرين اثنين:

- الأول: مقدار الخفاء الذي أحوج إلى التأول...

³⁸⁷ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 93.

³⁸⁸ عبد العظيم المطعني: "التشبيه و التمثيل"، ص 22.

³⁸⁹ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 93.

³⁹⁰ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 94.

- والثاني: الشيوخ والندرة... فإن شاع التمثيل على السنة العامة إلى حد استوى الناس جميعا في إدراك وجهه و استخراجها كما في المثال الأول، كان في المرتبة الدنيا من مراتب التمثيل... وإن قل شيوعه كما في المثال الثاني: كلام ألفاظه كالماء في السلاسة... كان في المرتبة الوسطى... وإن ندر ولم يرد إلا على السنة الخاصة كما في قولهم: " هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفها " كان كان في المرتبة العليا...³⁹¹
قال الدكتور فيود: " وما من ريب في أن المركبات العقلية يتحقق فيها هذان الأمران معا: شدة الخفاء، وعدم الشيوخ، ولذا فإنها في أعلى مراتب التشبيه التمثيلي... " ³⁹²، ومن أمثلة ذلك قول عبد الله ابن المعتز:

دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ

أَصْبِرْ عَلَى مَضَضِ الْحَسُو

إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

فَالْتَأَرْ تَأْكُلُ بَعْضَهَا

يريد: دع الحسود وأهمله، ولا تلق له بالا، فانك إن فعلت ذلك معه مات حسرة وغيظا... فالمشبه هو الحسود الذي يهمله محسوده، فيزداد غيظه، ويرتد كيده على نفسه، والمشبه به هو النار التي لا تمد بالوقود فتخبو وتزول، ووجه الشبه هو إسراع فناء الشيء عندما لا يمد بأسباب البقاء، وهو وجه عقلي غير حقيقي يحتاج إلى تأول، ومركب من أمرين: توقّف الإمداد الذي ترتب عليه زوال ما كان موجودا بسببه.³⁹³

3- أنواع وجه الشبه العقلي التمثيلي:

لقد تبين مما سبقك أن وجه الشبه في التمثيل أو التشبيه التمثيلي عند عبد القاهر: " لا يكون حسيا، ولا من الغرائز والطباع العقلية الحقيقية، ولكنه يكون عقليا غير حقيقي "، أي: غير منقرر في ذات

³⁹¹ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية " ص 156.

³⁹² المرجع نفسه، ص 157.

³⁹³ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية " ص 157.

الموصوف، فلا يكون بينا في نفسه، بل يحتاج في تحصيله إلى تأول، لأن المشبه لم يشارك المشبه به في صفته الحقيقية...³⁹⁴

وإذا...فليس كل وجه شبه عقلي يكون تمثيلا عند عبد القاهر، فتشبيه الرجل الشجاع بالأسد وجه الشبه فيه عقلي، وهو مع هذا يسمى تشبيها عنده، ولا يسمى تمثيلا... فعقلية الوجه لا تكفي في عدّ الصورة تمثيلا إلا إذ انضم إليها نوع من الخفاء.

وعليه فالقاعدة أن كل تمثيل عند عبد القاهر فوجه الشبه فيه عقلي، وليس كل صورة وجه الشبه فيها عقلي تمثيلا...³⁹⁵

إذا علم هذا، فالحديث الآن عن وجه الشبه العقلي التمثيلي...فقد أشار عبد القاهر إلى أنه يتنوع إلى: مفرد، ومركب، ومتعدد. وقد جاء هذا التنوع - كما ذكر الدكتور المطعني - على النسق الآتي:³⁹⁶

أ - وجه شبه عقلي تمثيلي مفرد: وقد أشار إليه عبد القاهر بقوله: " ثم إن هذا الشبه العقلي، ربما انتزع من شيء واحد، كما مضى من انتزاع الشبه للفظ من حلاوة العسل..."³⁹⁷، فالوجه - كما ترى - مفرد عقلي تمثيلي، لانطباق شرط التمثيل عليه.

ب- وجه شبه عقلي تمثيلي مركب: وقد وضحه بقوله: " وربما انتزع من عدة أمور يجمع بعضها إلى بعض، ثم يستخرج من مجموعها الشبه، فيكون سبيله سبيل الشبيئين يمزح أحدهما بالآخر، حتى تحدث صورة غير ما كان لهما في حال الأفراد، لا سبيل الشبيئين يجمع بينهما و تحفظ صورتها..."³⁹⁸.

³⁹⁴ بدوي طبانة: "البيان العربي"، ص 250.

³⁹⁵ عبد العظيم المطعني: "التشبيه و التمثيل"، ص 28.

³⁹⁶ المرجع نفسه، ص 28 و ما بعدها.

³⁹⁷ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 101.

³⁹⁸ المصدر نفسه، ص 101.

الفصل الثالث

وقد مثل عبد القاهر لهذا النوع من الشبه العقلي التمثيلي، بقوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا

التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾³⁹⁹.

فالشبه منتزع من أحوال الحمار، وهو أنه يحمل الأسفار التي هي أوعية العلوم، ومستودع ثمر العقول، ثم لا يحس بما فيها ولا يشعر بمضمونها، ولا يفرق بينها وبين سائر الأحوال التي ليست من العلم في شيء، ولا من الدلالة عليه بسبيل، فليس له مما يحمل حظ سوى أنه يثقل عليه، ويكد جبينه، فهو كما ترى مقتضى أمور مجموعة، ونتيجة لأشياء ألفت وقرن بعضها إلى بعض.⁴⁰⁰

فوجه الشبه في الآية الكريمة حصل من انضمام ثلاثة أشياء نص عليها عبد القاهر، وهي:⁴⁰¹

- أن روعي من الحمار فعل مخصوص وهي الحمل
- وأن روعي أن يكون المحمول شيئاً مخصوصاً، وهي كتب العلم.
- وأن روعي أن الحامل لها - وهو الحمار - جاهل بما فيها، وهذه الأمور لا يحصل الشبه بها بانفرادها بعضها عن بعض، بل بانضمامها، لأن الشبه لا يتعلق بالحمل حتى يكون الحامل حماراً، ولا يتعلق بمطلق حمل الحمار حتى يكون المحمول كتب العلم، ولا يكون الشبه بهذين إلا إذا انضم إليهما حمل الحمار بما يحمل، وهذا هو معنى التركيب في الوجه، بحيث لو أزلت واحداً من الثلاثة من الصورة لاختل التمثيل وذهبت قيمته.

وللدكتور أبي موسى كلام نفيس يبين فيه مراد عبد القاهر من قوله السابق الذكر-معلقاً على آية الجمعة:- "...فيكون سبيله سبيل الشبيئين يمزج أحدهما بالآخر."، يقول: "...وفي هذا المقام يذكر الشيخ أن العناصر اللغوية تتداخل، وتسبب، وتصهر، حتى تكون شيئاً واحداً و جديداً، لا تلاحظ فيه حال المفردات التي كُوت هذا الكل، وإنما تمحى أوصاف الجزء، وكأنها تفاعلت تفاعلاً كيميائياً، ذهبت فيه

³⁹⁹ سورة الجمعة، الآية 5.

⁴⁰⁰ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 101.

⁴⁰¹ عبد العظيم المطعني: "التشبيه و التمثيل"، ص 29، وعلي عشري زايد: "البلاغة العربية...."، ص 117-118.

الفصل الثالث

خواص المادة الداخلية في التركيب، ونتج من هذه المواد المتفاعلة، والتي ذهبت خصائصها، تركيبة لغوية جديدة هي التي تعتبر في الدلالة البلاغية، وكأنك لا تدرك المراد من الألفاظ التي تكتبها أو تقرؤها، لأن هذه الألفاظ تدوب في البناء الكلي للتركيب اللغوي الذي يصبح شيئاً غير هذه الجزئيات، وعليك أيها القارئ أن تستحضر هذا التركيب، وأن تستحضر السياق و القرائن، حتى يعينك على استخلاصه، وهذا من أغرب ما قرأته، ولم أقرأه لغير عبد القاهر...⁴⁰²

ج- وجه شبه عقلي تمثيلي متعدد: و قد مثل عبد القاهر لهذا النوع، فقال: "ومثال ما يجيء فيه التشبيه معقودا على أمرين إلا أنهما لا يتشابكان هذا التشابك، قولهم: "هو يصفو ويكدر"، "ويمرُّ ويحلو"، "ويشجُّ ويأسو"، "ويُسرح ويُلجم"، لأنك وإن كنت أردت أن تجمع له الصفتين، فليست إحداها ممتزجة بالأخرى، لأنك لو قلت: "هو يصفو"، ولم تتعرض لذكر الكدر، أو قلت "يحلو"، ولم يسبق ذكر "يمر"، وجدت المعنى في تشبيهِك له بالماء في الصفاء و بالعسل في الحلاوة بحاله وعلى حقيقته، وليس كذلك الأمر في الآية...⁴⁰³

وقد ذكر عبد القاهر الفرق بين الآية السابقة وهذا المثال، وهو أن المثال يصح فيه الاكتفاء بأحد الوصفين، فإذا قلت: فلان يصفو، أو يحلو، فقد وقع تمثيك صحيحا، إذ لا ينكر تشبيه الرجل بالماء في الصفاء، أو بالعسل في الحلاوة... ولا يصح ذلك في الآية، لأنه يشترك فيها أن يكون الحامل حاراً، وأن يكون المحمول كتب علم، وأن يقترن بهذين جمل الحمار بمضمون ما حمل. وخلاصة القول هنا: أنك في التمثيل أو التشبيه المتعدد، يصح الاكتفاء بأحد الوصفين، وفي التمثيل أو التشبيه المركب لا يصح.⁴⁰⁴

وقد ذكر الدكتور شوقي ضيف أن المثال السابق، وهو قولهم: "هو يصفو ويكدر"، هو من باب الاستعارة المكنية، إذ أضيفت إلى الشخص لازمتان من لوازم الماء، هما الصفو و الكدر...⁴⁰⁵ فهذا

⁴⁰² محمد أبو موسى: "مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني"، ص 380. و عبد العظيم المطعني: "التشبيه والتمثيل"، ص 29.

⁴⁰³ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 102-103.

⁴⁰⁴ عبد العظيم المطعني: "التشبيه و التمثيل"، ص 30.

⁴⁰⁵ شوقي ضيف: "البلاغة تطور و تاريخ"، ص 196.

المثال، وإن ذكره عبد القاهر في التشبيه، إلا أنه لم يقصد أنه من التشبيه الاصطلاحي، بل هو من قبيل الاستعارة المكنية، والاستعارة أساسها التشبيه، فهو موجود وفي كل استعارة، أي هو تشبيه معنوي باعتبار أصله، أما الآن في هذا المثال، فهو استعارة.⁴⁰⁶

4- التمثيل المركب:

لقد تحدث عبد القاهر في "الأسرار" بشيء من الإسهاب- عن التشبيه التمثيلي المركب، وتناوله من عدة جوانب قاصداً بذلك إيضاحه، وتميزه، وبيان أنه أحق من غيره وأجدر باسم "التمثيل"...ويمكن تلخيص حديثه عن التمثيل المركب في النقاط التالية:

أ - التمثيل المركب بم يكون؟ وهذا - كما ذكر الدكتور المطعني - ملحظ دقيق فطن إليه عبد القاهر، فقد فرق - في وضوح - بين التمثيل المفرد، والتمثيل المركب. فالتمثيل المفرد هو ما كان وجه الشبه فيه لأمر يرجع إلى نفسه، والمركب ما كان الشبه فيه لأمر لا يرجع إلى نفسه...⁴⁰⁷، قال عبد القاهر: " اعلم أن الشبه إذا انتزع من الوصف، لم يخل من وجهين: أحدهما: أن يكون لأمر يرجع إلى نفسه.

والآخر أن يكون لأمر لا يرجع إلى نفسه"⁴⁰⁸

وقد مثل للأول "بتشبيه الكلام بالعدل في الحلاوة"، لأن كلا من الكلام الجميل والعدل يوجب في النفس لذة وحالة محمودة. وإذا تأملت الوجه هنا وجدته في الحلاوة نفسها، ولا يتوقف تحصيله على أمر آخر زائد عليها...⁴⁰⁹

أما الثاني - أي التمثيل المركب - وهو ما يكون الشبه فيه لأمر لا يرجع إلى نفسه، أي أنه يتوقف على لواحق توجب حصوله، ولا يكتفى فيه بلفظ دون لفظ⁴¹⁰ ... "فمثاله أن يتعدى الفعل إلى شيء

⁴⁰⁶ عبد العاطي غريب علام: "دراسات في البلاغة العربية"، ص 106.

⁴⁰⁷ عبد العظيم المطعني: "التشبيه و التمثيل"، ص 30.

⁴⁰⁸ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 104.

⁴⁰⁹ عبد العظيم المطعني: "التشبيه و التمثيل"، ص 30.

الفصل الثالث

مخصوص يكون له من أجله حكم خاص، نحو كونه واقعا في موقعه وعلى الصواب، أو واقعا غير موقعه...⁴¹¹، يعني أن تعدي الفعل إلى الشيء المخصوص لازم في التمثيل المركب، وأن ذلك التعدي يكسبه حكما، لولا التعدي ما كان ذلك الحكم...⁴¹²

وقد مثل عبد القاهر للتمثيل المركب بأمثلة عديدة⁴¹³، منها:

- قولهم: " هو كلقابض على الماء "، " والراقم في الماء "، فالشبهه في هذا القول منتزع مما

بين القبض والماء و الرقم، وليس بمنتزع من القبض نفسه، أو من الرقم ذاته، لأن فائدة القبض أن يحصل الشيء في اليد و يظل بها، و فائدة الرقم أن يبقى أثر الشيء، فعندما يكون المقبوض عليه أو المرقوم عليه ماء، فقد انتفت الفائدة من القبض والرقم، فالذي يعمل عملا لا يحصل منه على فائدة، تشبه حالته هذه، فيقال: هو كلقابض على الماء، وكالراقم فيه... قال مجنون ليلى:⁴¹⁴

فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةِ كَقَابِضٍ عَلَى الْمَاءِ خَائِتُهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ

فقد شبهه خيبة مسعاه وعدم حصوله على قصده من ليلاه، بحال من قبض بيده على ماء، فإذا

بالماء قد تسرب من بين شقوق الأصابع، ولم يحصل هو على طائل...⁴¹⁵

وكذلك قولهم: "يضرب في حديد بارد"، و"ينفخ في غير فخم"، وكذا قولهم: "أخذ القوس بارمها"، وهو

مثل: "ويضرب لمن يسند إليه أمر، هو جدير به وخبير"⁴¹⁶.

⁴¹⁰ المرجع نفسه، ص 30-31.

⁴¹¹ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 104.

⁴¹² عبد العظيم المطعني: "التشبيه و التمثيل"، ص 31.

⁴¹³ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 104. و ما بعدها

⁴¹⁴ كذا أورده الجرجاني في "الأسرار"، ص 124... وذكر محمود شاكر - في هامش الصفحة المذكورة - أن هذا البيت ملفق من بيتين، بيت مجنون ليلى:

فأصبحت من ليلى الغداة كناظر مع الصبح في أعقاب نجم مغرب

وقول معاذ العقبلي:

أجرت فلم تمنع، وكنت كقابض على الماء خائته فروج الأصابع

وينظر: قيس بن الملوح: "الديوان" برواية أبي بكر الوالي/تحقيق: بسري عبد الغني/ دار الكتب العلمية/بيروت/ط1: 1999/ص 81.

⁴¹⁵ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 165-166.

⁴¹⁶ المرجع نفسه، ص 166.

فالشبهه في هذه الصورة : " أخذ القوس باريها " ليس مأخوذاً من مجرد الأخذ، ولكن منه باعتبار وقوعه على مفعول (القوس)، ووقوعه من فاعل مخصوص (باريها)، ولذلك فانك حين تقول: " أخذ " وتسكت، لا تفيد شيئاً من المراد هنا، وإذا قلت: " أخذ القوس ولم تذكر الفاعل المخصوص (باريها) قصر كلامك عن المراد، وعندما تقول: "أخذ القوس باريها "، فقد جئت بالحسن كله والصواب كله.⁴¹⁷

وكقولهم: "ما زال يقتل منه في الذروة والغارب "، يقولونه في تشبيهه حسن احتيال الإنسان ليصل إلى ما يريد من بحيل يتأبى عليه البذل و العطاء... فالشبهه في هذا القول قد انتزع مما بين الفتل وما تعدى إليه من الذروة والغارب، لأنه لا يوجد في الفتل من حيث هو فتل، وإنما يوجد في الفتل إذا وقع في الشعر من ذروة البعير وغاربه...⁴¹⁸

ولا يخفى أن هذه الأمثلة استعارات تمثيلية مركبة...⁴¹⁹ ، وقد أورد عبد القاهر بعضها في "دلائله" ممثلاً بها للتمثيل الذي يجيء على حد الاستعارة...⁴²⁰

- ومن ذلك قولهم أيضاً: " هو كالحادي وليس له بعير"، و"أنت كمن يجمع السيفين في غمد"، و"هو كثير الجور على إلفه"، و"هو كمتبغى الصيد في عريسه الأسد".

- ومن ذلك آية الجمعة السابقة، وهي قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ...﴾ الآية...

وخلاصة القول هنا "أن وجه الشبهه في التشبيه التمثيلي المركب قد ينتزع مما بين الفعل والجار والمجرور، كقولهم: "هو كمن يخط في الماء"، أو مما بين الفعل و الفاعل والمفعول، كقولهم: "أخذ القوس باريها"، أو مما بين الفعل و مفعوليه كقوله: "أعط القوس باريها"، أو مما بين الفعل و مفعوله و الجار والمجرور، كما في قولهم: "هو كمتبغى الصيد في عريسة الأسد"، "هو كمن يجمع سيفين في غمد"، فالوجه لم ينتزع مما بين الفعل و مفعوله حتى يلاحظ تقييده بالجار و المجرور، لأن المستحيل ليس جمع السيفين، بل جمعها في غمد واحد، والممتنع ليس طلب الصيد، بل طلبه من بيت الأسد... كما قد ينتزع مما بين

⁴¹⁷ عبد العظيم المطعني : " التشبيه و التمثيل "، ص 31.

⁴¹⁸ عبد الفتاح فيود : "دراسات بلاغية" ص 166.

⁴¹⁹ عبد العاطي علام : "دراسات في البلاغة العربية"، ص 132.

⁴²⁰ عبد القاهر الجرجاني : "دلائل الإعجاز"، ص 69.

الحال وصاحبها كما في الآية الكريمة: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ

أَسْفَارًا﴾، حيث انتزع الوجه مما بين الحمار والجملة الحالية "يحمل أسفارا"، فلا بد من ملاحظة "الحمار"،

والفعل "يحمل"، والمحمول "أسفارا"...ومنه قولهم: "كالهادي ليس له بعير"، حيث انتزع الوجه مما بين

"الهادي" والجملة الحالية: "وليس له بعير"....⁴²¹

وهذه الأمثلة كلها قد انتزع فيها وجه الشبه من جملة واحدة، و قد ينتزع التشبيه التمثيلي من جملتين

أو أكثر... وحينئذ يكون أدخل في باب التمثيل من غيره، كما سيذكر عبد القاهر، و فيما يلي بيان ذلك:

ب - التشبيه الأحق باسم التمثيل: وقد بين عبد القاهر رأيه في المسألة، وجلاها بقوله: "وعلى

الجملة فينبغي أن تعلم أن المثل الحقيقي، و التشبيه الذي هو الأولى بأن يسمى "تمثيلا"، لبعده عن

التشبيه الظاهر الصريح، ما تجده لا يحصل لك إلا من جملة من الكلام أو جملتين أو أكثر، حتى إن

التشبيه كلما كان أوغل في كونه عقليا محضا، كانت الحاجة إلى الجملة أكثر، ألا ترى إلى نحو قوله عز و جل:

﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ

وَاللَّائِعْمَةُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهِمْ أَلَيْسَ لَنَا لَيْلًا

أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْرَب بِالْأَمْسِ﴾⁴²²، كيف كثرت الجمل فيه؟ حتى إنك ترى في هذه

الآية عشر جمل إذا فصلت. وهي وإن كان قد دخل بعضها في بعض حتى كأنها جملة واحدة، فان ذلك

لا يمنع من أن تكون صور الجمل معنا حاصلة تشير إليها واحدة واحدة. ثم إن الشبه منتزع من مجموعها،

من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض، و أفراد شطر من شطر، حتى إنك لو حذف منها جملة واحدة

من أي موضع كان، أخل ذلك بالمغزى من التشبيه.⁴²³

⁴²¹ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 167-168.

⁴²² سورة يونس، الآية 24.

⁴²³ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 108، 109.

قال الدكتور غريب علام معلقا على كلام عبد القاهر هذا: " أي إن التشبيه كلما كان أكثر جملا، كان أوغلا في كونه عقليا، أي كانت حاجته إلى العمل العقلي أكثر... ربما أن يكون عبد القاهر هو قصد ذلك، و لم يقصد أن الإيغال في كونه عقليا محضا يحتاج إلى جمل أكثر، لأن الواقع أن كثرة الجمل في التشبيه وقتلتها ليست تابعة للعقلية والحسية، ولكنها تابعة للمعاني التي يستدعي الغرض تأليف التشبيه منها، فقد يستدعي الغرض تأليفه من جملة، و قد يستدعي تأليفه من أكثر " ⁴²⁴، و هذا الأمر حسب الدكتور غريب - يظهر بوضوح إذا وازنا بين آية "يونس" السابقة، و بين قوله تعالى: ﴿وَأَصْرَبْ لَهُمْ مَثَلًا حَيَوةً أَلْدُنْيَا كَمَا آتَنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ﴾ ⁴²⁵... قال: "فأساس التشبيهين ومغزاهما واحد، وهو التحذير من الاعتزاز بالدنيا ونعيمها، وتأكيده سرعة زوالها، و لكن لوحظ في التشبيه الأول أمور اقتضت كثرة جملة، ولم تلاحظ في الثاني، منها: إفادة عموم النفع، و جمال الأرض وبهجتها، ومنها: اغترار الناس بها، واعتمادهم عليها، وظنهم أنهم قادرون عليها متمكنون منها، و أنها قد سلمت من الآفات، فزيادة الجمل في الآية الأولى جاءت من إرادة هذه المعاني، لا من التوغل في العقلية كما قد يفهم من عبارة عبد القاهر السابقة " ⁴²⁶.

وذكر الدكتور بدوي طبانة أن قول عبد القاهر السابق، قد يفهم منه أنه يشترط في التشبيه لكي يعد تمثيلا أن يكون مركبا، وقد يؤيد هذا الرأي الأمثلة التي أوردتها للتمثيل في كتابة "دلائل الإعجاز"، و كلها يتركب فيه الشبه... ⁴²⁷، "وربما كان هذا هو الذي أغرى المتأخرين باعتبار التركيب في التمثيل، لأن الشيخ قال هو الجدير باسم التمثيل" ⁴²⁸... ولعل من هؤلاء السكاكي... فإنه خص التمثيل بالمركبات العقلية، وجعل ما عداها تشبيها... ⁴²⁹

⁴²⁴ عبد العاطي علام: "دراسات في البلاغة العربية"، ص 106-107.

⁴²⁵ سورة الكهف، الآية 45.

⁴²⁶ غريب علام: "دراسات في البلاغة العربية"، ص 107.

⁴²⁷ بدوي طبانة: "علم البيان" ن ص 94-95.

⁴²⁸ محمد أبو موسى: "مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني"، ص 383.

⁴²⁹ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 192-193.

وفي العصر الحديث... نجد الدكتور شوقي ضيف يصرح بذلك، فيقول- بعد أن تحدث عن التشبيه والتمثيل عند عبد القاهر: "... ويؤخذ من مجموع كلامه هنا أن التمثيل يختص بالتشبيهات المركبة التي يكون فيها وجه الشبه عقليا منتزعا من عدة أمور يجمع بعضها إلى بعض، ثم يستخرج من مجموعها، كآلية الكريمة ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ تَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾..."⁴³⁰، ويؤكد هذا الأمر عند دراسته لكتاب السكاكي في البلاغة⁴³¹.

والحقيقة أن رأي عبد القاهر الواضح- كما ذكر الدكتور طبانة- هو أنه يشترط في التشبيه لكي يكون تمثيلا، أن يكون الوجه فيه عقليا غير حقيقي من غير نظر إلى إفراده أو تركيبه، وقد مثل له بالمركب، كما مثل له بالمفرد⁴³²، أما الأمثلة التي أوردها في "الدلائل"، فقد صرح أنها من التمثيل الذي يكون مجازا لمجئك به على حد الاستعارة، أو ما يسمى عند البلاغيين "الاستعارة التمثيلية"، وهذه لا تكون إلا مركبة⁴³³.

ج- ما يوههم ظاهره جواز الفك:⁴³⁴

لقد أشار عبد القاهر أثناء حديثه عن التشبيه التمثيلي المركب إلى بعض خصائص هذا النوع، ومن أبرزها: أنه يمتنع فك التركيب الذي هو عليه...⁴³⁵، ومن أوضح الأمثلة على ذلك آية "يونس" السابقة... ثم أراد أن يزيد هذا الأمر إيضاحا، فذكر من المركب ضربا قد يتوهم فيه أنه يكتفي بشرط الصورة، ولكن المراجعة وحسن التأمل يأبى ذلك التشطير، ويؤكد ضرورة اعتبار أجزاء الصورة مكتملة..."⁴³⁶

⁴³⁰ شوقي ضيف: "البلاغة تطور و تاريخ"، ص 196.

⁴³¹ المرجع نفسه، ص 303.

⁴³² بدوي طبانة: "علم البيان" ن ص 95. وأحمد مطلوب: "عبد القاهر الجرجاني، بلاغته و نقده / وكالة المطبوعات / الكويت / ط 1 : 1973 / ص 135-136.

⁴³³ بدوي طبانة: "علم البيان" ن ص 95.

⁴³⁴ عبد العظيم المطعني: "التشبيه و التمثيل"، ص 35.

⁴³⁵ المرجع السابق، ص 34.

⁴³⁶ محمد أبي موسى: "مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني"، ص 383.

الفصل الثالث

وفي ذلك يقول عبد القاهر: " وقد يجئ الشيء من هذا القبيل يتوهم فيه أن إحدى الجملتين أو الجمل تنفرد وتستعمل بنفسها تشبيها وتمثيلا، ثم لا يكون كذلك عند حسن التأمل..."⁴³⁷ ، ومثل لذلك بقول كثير عزة:⁴³⁸

كَمَا أَبْرَقَتْ قَوْمًا عِطَاشًا غَمَامَةً فَلَمَّا رَجَوْهَا أَقْشَعَتْ وَ تَجَلَّتِ

يشبه كثير عزة حاله مع عزة، وقد أطعمته بالوصال في أول أمره، ثم فاجأته بالحرمان بحال قوم أخذهم الظمأ، فأبصروا غمامة فوقهم تبرق مؤذنة بإنزال الغيث، ثم سرعان ما تولت و كانوا قد طم عوا في نوالها.⁴³⁹

قال عبد القاهر: " و قد يمكن أن يقال: إن قولك: " أبرقت قوما عطاشا غمامة "، تشبيه مستقل بنفسه، لا حاجة به إلى ما بعده من تمام البيت في إفادة المقصود الذي هو ظهور أمر مطمع لمن هو شديد الحاجة، إلا أنه و إن كان كذلك، فإن حقنا أن ننظر في مغزى المتكلم في تشبيهه. ونحن نعلم أن المغزى أن يصل ابتداء مطمعا بانتهاؤ مؤيس، و ذلك يقتضي وقوف الجملة الأولى على ما بعدها من تمام البيت..."⁴⁴⁰

قال الدكتور المطعني: "يعني أن جملة"كما أبرقت قوما عطاشا غمامة" وحدها لا تفيد ما قصده الشاعر من وصل اليأس بالرجاء، وهذا كلام طيب، ومعنى دقيق فطن إليه الإمام، ولم يفتن إليه غيره"⁴⁴¹.

د- أبرز العناصر في التشبيه التمثيلي المركب⁴⁴²: وهذا أمر آخر فطن له عبد القاهر، وهو أن أبرز عنصر في الصورة المشبه بها، هو الذي يلي أداة التشبيه... وقرر أن هذا العنصر لا يجوز حذفه...⁴⁴³ وفي ذلك يقول: "واعلم أن "المثل" قد يضرب بجمل لا بد فيها من أن يتقدمها مذكور يكون مشبها به، ولا يمكن حذف المشبه به والاقتصار على ذكر المشبه، ونقل الكلام إليه حتى كأنه صاحب الجملة، إلا أنه

⁴³⁷ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 110.

⁴³⁸ كثير عزة: "الديوان"/شرح: إحسان عباس/دار الثقافة/بيروت/1971/ص 107

⁴³⁹ عبد العظيم المطعني: "التشبيه و التمثيل"، ص 35.

⁴⁴⁰ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 110-111.

⁴⁴¹ عبد العظيم المطعني: "التشبيه و التمثيل"، ص 36.

⁴⁴² المرجع نفسه، ص 38.

⁴⁴³ المرجع نفسه، ص 38.

مشبه بمن صفته وحكمه مضمون تلك الجملة" ⁴⁴⁴، واستدل على ذلك بالماء في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً﴾، قال: "لو أردت أن تحذف "الماء" الذي هو المشبه به، وتنقل الكلام إلى المشبه الذي هو "الحياة" أردت ما لا تحصل منه على كلام يعقل، لأن الأفعال المذكورة المحدث بها عن الماء، لا يصح إجراؤها على الحياة، فاحفظ هذا الأصل...⁴⁴⁵، و استدل أيضا بقوله صلى الله عليه وسلم: "الناس كإبل مائة، لا تكاد تجد فيها راحلة" "...قال: "لا بد فيه من المحافظة على ذكر المشبه به الذي هو "الإبل"، فلو قلت: "الناس لا تجد فيهم راحلة" أو "لا تجد في الناس راحلة"، كان ظاهر التعسف"⁴⁴⁶.

5- المماثلة والمثل والتمثيل:

لقد رأى عبد القاهر—بعد بيانه لحقيقة التمثيل كما رباها—أن يدفع وهما قد يتوهمه البعض إذا ما سمع أو قرأ أن أبا أحمد العسكري-خال أبي هلال وأستاذه- يطلق على نحو: "أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى"، و"أنت ترقم في الماء"... اسم "المماثلة"، فيظن أنها شيء آخر غير التمثيل... فأراد الجرجاني أن "يوضح أن هذه التسمية لا تعني أن ذلك النوع من الكلام شيء غير المثل والتمثيل..."⁴⁴⁷

وفي ذلك يقول عبد القاهر: "وذكر أبو أحمد العسكري أن هذا النحو من الكلام يسمى "المماثلة"، وهذه التسمية توهم أنه شيء غير المراد "بالمثل" و"التمثيل"، وليس الأمر كذلك، كيف وأنت تقول: "مثلك مثل من يقدم رجلا ويؤخر أخرى؟، ووزان هذا أنك تقول: "زيد الأسد"، فيكون تشبيها على الحقيقة، وإن كنت لم تصرح بحرف التشبيه. ومثله أنك تقول: "أنت ترقم في الماء"، و"تضرب في حديد بارد"، وتنفع في غير فحم"، فلا تذكر ما يدل صريحا على أنك تشبهه، ولكنك تعلم أن المعنى على قولك: "أنت

⁴⁴⁴ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 113.

⁴⁴⁵ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة" ص 114.

⁴⁴⁶ المصدر نفسه، ص 113.

⁴⁴⁷ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 183.

كمن يرقم في الماء، وكمن يضرب في حديد بارد، وكمن ينفخ في غير فحم"، وما أشبه ذلك مما تحجى بمشبهه به ظاهر تقع هذه الأفعال في صلة اسمه أو صفته⁴⁴⁸.

وقد سبق في الفصل الأول بيان أن "المائة" عند أبي هلال العسكري - والتي يرجح أنه جلبها من رسالة خاله وأستاذه أبي أحمد العسكري - هي "التمثيل" عند غيره، وقد تقدمت هناك أدلة ذلك.

6- التمثيل الذي يكون مجازاً:

إن المتأمل في الشواهد التي استشهد بها عبد القاهر للتمثيل، يلاحظ أن منها ما جاء في صورة التشبيه، وهو حقيقة لغوية. . ومنها ما جاء في صورة الاستعارة، وهي مجاز لغوي، نحو قولهم لمن يتردد في الأمر: "أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى"، وكذا قولهم: "أخذ القوس باربها"، و"يضرب في حديد بارد"، و"ينفخ في غير فحم"، ونحو ذلك.

وقد صرح عبد القاهر في "دلائل الإعجاز" بأن التمثيل قد يكون مجازاً "وإنما يكون "التمثيل" مجازاً إذا جاء على حد الاستعارة"⁴⁴⁹، وبين هذا الأمر بقوله: "وأما "التمثيل" الذي يكون مجازاً لمجيبك به على حد الاستعارة، فمثاله قولك للرجل يتردد في الشيء بين فعله و تركه: "أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى". فالأصل في هذا: أراك في ترددك كمن يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، ثم اختصر الكلام، وجعل كأنه يقدم الرجل ويؤخرها على الحقيقة. كما كان الأصل في قولك: " رأيت أسداً": رأيت رجلاً كالأسد، ثم جعل كأنه الأسد على الحقيقة. وكذلك تقول للرجل يعمل في غير معمل: "أراك تنفخ في غير فحم"، و"تخط على الماء"، فتجعله في ظاهر الأمر كأنه ينفخ و يخط، والمعنى على أنك في فعلك كمن يفعل ذلك... "إلى آخر ما مثل به.⁴⁵⁰

⁴⁴⁸ عبد القاهر الجرجاني: " أسرار البلاغة"، ص 113.

⁴⁴⁹ عبد القاهر الجرجاني: " دلائل الإعجاز"، ص 67.

⁴⁵⁰ عبد القاهر الجرجاني: " دلائل الإعجاز"، ص 68-69.

الفصل الثالث

والملاحظ على الأمثلة التي مثل بها، أنها تدخل تحت ما سماه المتأخرون "الاستعارة التمثيلية أو
"الاستعارة المركبة"، وهي "تركيب استعمل في غير ما وضع له، لعلاقة المشابهة، مع قرينة مانحة من
إرادة المعنى الأصلي" ⁴⁵¹.

⁴⁵¹ عبد العزيز عتيق: "علم البيان"، ص 132.

◆ الفروق بين التشبيه والاستعارة والتمثيل:

لقد عقد عبد القاهر الجرجاني في كتابه "أسرار البلاغة" فصولاً عديدة، أثبت فيها جملة من الفروق المميزة بين التشبيه والتمثيل من جهة، وبين التمثيل والاستعارة من جهة أخرى... وغرضه من ذلك تجليه الفروق الفاصلة بينها، وتوضيح العلاقات التي تربط بينها... وفيما يلي بيان ذلك:

*الفروق بين التمثيل و التشبيه:

الفرق الأول: ويمكن تسميته بالفرق الأساس أو الرئيس، وهو ما سبق بيانه من أن التشبيه

هو ما كان وجه الشبه فيه أمراً بينا بنفسه، لا يحتاج إلى تأويل وصرف عن الظاهر... والتمثيل ما لا يكون وجهه أمراً بينا بنفسه، بل يحتاج تحصيله إلى ضرب من التأويل وصرف عن الظاهر... أي أن عبد القاهر قد اعتمد في تفريقه بين التشبيه و التمثيل على وضوح وجه الشبه وخفائه، وعلى مدى وجوده وتحققه في الطرفين... وقد مضى بيان ذلك مفصلاً.

الفرق الثاني: وقد بينه عبد القاهر بقوله: "وإذ قد عرفت الفرق بين الضريين، فاعلم أن التشبيه

عام، والتمثيل أخص منه، فكل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلاً، فأنت تقول في قول قيس بن الخطيم:

وَقَدْ لَاحَ فِي الصُّبْحِ الثُّرَيَّا لِمَنْ رَأَى كَعَنْقُودٍ مُلَّاحٍ — يَّةٍ حِينَ نَوَّرَا

إنه: "تشبيه حسن"، ولا تقول: هو "تمثيل"..."⁴⁵²

أي أن التمثيل يصح لك أن تطلق عليه اسم التشبيه؛ لأنه أحد صورته، وإذا أطلقت كلمة التشبيه،

شملت التمثيل وغير التمثيل؛ لأن التشبيه أعم من التمثيل، والأعم يشمل الأخص. أما التشبيه فلا يقال إنه

تمثيل؛ لأن الأعم لا يطلق عليه معنى الأخص... فالتشبيه والتمثيل يجتمعان في نحو: "ألفاظه كالعسل في

الحلاوة"، وينفرد التشبيه في نحو تشبيه الخد بالورد في الحمرة...⁴⁵³

⁴⁵² عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 95.

⁴⁵³ عبد العظيم المطعني: "التشبيه و التمثيل"، ص 23-24.

فالعلاقة بين التشبيه والتمثيل هي علاقة العموم والخصوص، ولعل مراد عبد القاهر بالتشبيه هنا-كما ذكر الدكتور فيود- التشبيه بمعناه الاصطلاحي الذي عرف عند البلاغيين، وهو مجرد إلحاق أمر بآخر في معنى مشترك بينهما بأداة، فبين التشبيه والتمثيل بهذا المعنى : علاقة العموم والخصوص، بمعنى أنه يجوز إطلاق لفظ "التشبيه" على "التمثيل"، كما يجوز إطلاقه على التشبيه الظاهر الصريح، ولكن هذا الإطلاق عام في التشبيه الظاهر، خاص في التمثيل...⁴⁵⁴

وعلى هذا الأساس قسم عبد القاهر بعض الشعراء إلى: شعراء تشبيه كابن المعتز، وإلى شعراء تمثيل كصالح بن عبد القدوس...⁴⁵⁵ وهذه نظرة دقيقة، حيث بين أن التشبيه يكثر عند بعض الشعراء ويقل التمثيل، ويكثر التمثيل عند البعض ويقل التشبيه... فابن المعتز قد كثر في شعره التشبيهات الحسية واشتهر بها، وأحسن فيها أكثر من إحسانه في التشبيهات المعنوية والعقلية، ولذا يقال: ابن المعتز حسن التشبيهات بديعها...وصالح بن عبد القدوس قد كثر في شعره التشبيهات المعنوية والعقلية واهتم بها أكثر من اهتمامه بالحسيات، ولذا يقال: صالح بن عبد القدوس كثير الأمثال في شعره...⁴⁵⁶

- الفرق الثالث: وقد أشار إليه عبد القاهر بقوله: " وكل ما لا يصح أن يسمى "تمثيلاً"، فلفظ

"المثل" لا يستعمل فيه أيضاً، فلا يقال: "ابن المعتز حسن الأمثال"، تريد به نحو الأبيات التي قدمتها،

وإنما يقال: "صالح بن عبد القدوس كثير الأمثال في شعره"، يراد نحو قوله:

وَإِنَّ مَنْ أَدَّبْتُهُ فِي الصَّبَا كَالْعُودِ يُسْقَى الْمَاءَ فِي غَرْسِهِ

حَتَّى تَرَاهُ مُورِقًا نَاضِرًا بَعْدَ الَّذِي أَبْصَرْتَ مِنْ يُنْسِهِ

وما أشبهه مما الشبه فيه من قبيل ما يجري فيه التأول...⁴⁵⁷

⁴⁵⁴ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 161-162.

⁴⁵⁵ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 95 وما بعدها.

⁴⁵⁶ عبد العاطي غريب علام: "دراسات في البلاغة العربية"، ص 110.

⁴⁵⁷ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 97.

الفصل الثالث

وهذه - كما ذكر الدكتور المطعني - إضافة جديدة لدرس التمثيل، يضيفها عبد القاهر... وحاصل هذه

الإضافة أن من جملة الفروق بين التمثيل و التشبيه، أن التمثيل يحسن أن يطلق عليه لفظ "المثل" و "الأمثال"، أما التشبيه فلا يصح فيه ذلك.⁴⁵⁸

ولكن، وإن كان يحسن أن يطلق على "التمثيل" لفظ "المثل"... فإن بينهما فروقا عديدة، تتبعها بدقة الدكتور المطعني، وبينها بيانا شافيا...⁴⁵⁹

ومما تقدم يتضح لنا أن عبد القاهر قد فرق بين التشبيه والتمثيل بأن التشبيه وجه الشبه فيه بين ظاهر محقق في كلا الطرفين، فلا يحتاج إلى تأويل و صرف عن الظاهر، ولا يصح أن يطلق عليه لفظ "المثل" أو "الأمثال". أما التمثيل فوجه الشبه فيه غير بين، بل به خفاء يتفاوت من تمثيل لآخر، وقد احتاج من أجل ذلك الخفاء إلى تأمل وتأويل و صرف عن الظاهر، حتى نصل إلى الوجه الذي يتحقق وجوده في كلا الطرفين وقد صح لهذا وحسن وراق أن يطلق لفظ "المثل" و "الأمثال" على التشبيهات التمثيلية.⁴⁶⁰

- الفرق الرابع: وهو فرق دقيق، ذكره عبد القاهر على أنه الأصل الذي بنى عليه تقسيم التشبيه إلى تمثيل وغير تمثيل، حتى يؤكد ضرورة هذا التقسيم، وأنه ليس من صواب الفهم أن يكونا سواء...⁴⁶¹ وهو "أن التشبيه يشترك طرفاه في جنس وجه الشبه ونفس الصفة التي جمعت بينهما، أما التمثيل فإن طرفيه يشتركان في لازم الصفة ومقتضاها، لا في حقيقتها وذاتها، فقولنا: "خد كالورد" تشبيه، حيث اشترك طرفاه في جنس الحمرة وحقيقتها. أما قولنا: "كلام ألفاظه كالعسل حلاوة" فتمثيل، لأن

⁴⁵⁸ عبد العظيم المطعني: "التشبيه و التمثيل"، ص 24-25.

⁴⁵⁹ المرجع نفسه، ص 86 و ما بعدها.

⁴⁶⁰ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 164.

⁴⁶¹ محمد أبو موسى: "مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني"، ص 377.

الطرفين لم يشتركا في جنس الحلاوة، بل في لازمها ومقتضاها، أي الحكم والأثر الناتج عنها، وهو اللذة والاستطابة وميل النفس...⁴⁶²

وفي ذلك يقول عبد القاهر: " اعلم أن الذي أوجب أن يكون في التشبيه هذا الانقسام، أن الاشتراك في الصفة يقع مرة في نفسها وحقيقة جنسها، ومرة في حكم لها ومقتضى. فالخد يشارك الورد في الحمرة نفسها، وتجدها في الموضوعين بحقيقتها، واللفظ يشارك العسل في الحلاوة، لا من حيث جنسه، بل من جهة حكم وأمر يقتضيه، وهو ما يجده الذائق في نفسه من اللذة، والحالة التي تحصل في النفس إذا صادفت بحاسة الذوق ما يميل إليه الطبع ويقع منه بالموافقة..."⁴⁶³

وهذه الفلسفة - كما يقول الدكتور المطعني - من نتاج الإمام عبد القاهر، وثمرة طيبة من اتجاهه الذوقي التحليلي للأساليب، وسبر غورها، واقتناص شوارذ المعاني وغوامض الأسرار.⁴⁶⁴

وقد خلاص عبد القاهر من تحليلاته السابقة إلى نتيجة مهمة، وهي أن التشبيه أصل، والتمثيل فرع "مرتب عليه"، ولم يرسل القول في هذا إرسالا، بل إنه يأخذ بيدك ويجلي لك الأمر حتى يقنعك بما يقول...⁴⁶⁵ قال: "وإذا تقررت هذه الجملة حصل من العلم بها أن التشبيه الحقيقي الأصلي هو الضرب الأول، وأن هذا الضرب فرع له ومرتب عليه. ويزيد ذلك بيانا: أن مدار التشبيه على أنه يقتضي ضربا من الاشتراك، ومعلوم أن الاشتراك في نفس الصفة، أسبق في التصور من الاشتراك في مقتضى الصفة، كما أن الصفة نفسها مقدّمة في الوهم على مقتضاها، فالحلاوة أولا، ثم إنها تقتضي اللذة في نفس الذائق لها..."⁴⁶⁶

⁴⁶² عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 164. وعبد العاطي غريب علام: "البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين"، ص 167،

و"دراسات في البلاغة العربية"، ص 105.

⁴⁶³ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 98.

⁴⁶⁴ عبد العظيم المطعني: "التشبيه و التمثيل"، ص 26.

⁴⁶⁵ عبد العظيم المطعني: "التشبيه و التمثيل"، ص 27، وعبد العاطي غريب علام: "البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين"، ص 167.

⁴⁶⁶ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 99.

الفرق الخامس: من الفروق التي ذكرها عبد القاهر بين التمثيل والتشبيه الصريح: "أنك بالتمثيل في حكم من يرى صورة واحدة، إلا أنه يراها تارة في المرأة، وتارة على ظاهر الأمر، وأما في التشبيه الصريح، فإنك ترى صورتين على الحقيقة"⁴⁶⁷.

أي أنك بالتمثيل في حكم من يرى صورة من الصور، ولكنه يراها تارة على حقيقتها وأخرى في المرأة، ومن هنا أخذ اسم التمثيل، أما في التشبيه فأنت ترى صورتين حقيقتين في كل من المشبه والمشبه به. فإذا قلت: "حد كالورد في الحمرة"، ترى حمرة الحد حقيقة ماثلة، وترى حمرة الورد كذلك، ولا تتوقف معرفة إحدهما على وجود الأخرى بجوارها... وأما نحو: "كلامه كالعسل في الحلاوة"، فإنك وإن أثبت الحلاوة للطرفين، فليس هناك في الحقيقة إلا صورة واحدة تراها على حقيقتها في العسل، وأما حلاوة الكلام فتأتي بالتأول، فهي صورة معكوسة لحلاوة العسل، وليس لها وجود في ذاتها، فالتجوز في إثبات الحلاوة والكلام، ولو قلنا: "كلامه كالعسل في ميل النفس إليه" لم يكن هناك تجوز لأن ميل النفس موجود في الطرفين...⁴⁶⁸

الفرق السادس: وهو فرق يضيف به عبد القاهر جديداً، يجلي به جانباً من جوانب الاختلاف بين التشبيه والتمثيل... إنه وحده هو الذي بدأ القول فيه، ومضى فيه أشواطاً بعيدة... ذلك هو: مرونة القلب في التشبيه وعكسها في عكسه...⁴⁶⁹

وفي ذلك يقول عبد القاهر: "اعلم أي قد عرفت أن كل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلاً، وثبت وجه الفرق بينهما. وهذا أصل إذا اعتبرته وعرضت كل واحد منها عليه فوجدته يجيء مجيئاً حسناً، وينقاد القياس فيه انقياداً لا تعسف فيه، ثم صادفته لا يطاوعك في التمثيل تلك المطاوعة، ولا يجري في عنان مرادك ذلك الجري، ظهر لك نوع من الفرق والفصل بينهما غير ما عرفت، وانفتح منه باب إلى دقائق وحقائق، وذلك "جعل الفرع أصلاً والأصل فرعاً، وهو إذا استقرت التشبيهات الصريحة وجدته

⁴⁶⁷ المصدر نفسه، ص 236، وعلي الجندي: "فن التشبيه"، ج 2 / ص 11.

⁴⁶⁸ عبد العاطي غريب علام: "دراسات في البلاغة العربية"، ص 136.

⁴⁶⁹ عبد العظيم المطعني: "التشبيه و التمثيل"، ص 39-40.

الفصل الثالث

يكثر فيها. وذلك نحو أنهم يشبهون الشيء في حال، ثم يعطفون على الثاني فيشبهونه بالأول، فترى الشيء مشبها مرة، ومشبها به أخرى⁴⁷⁰.

فالتشبيه الظاهر يكثر فيه قلب طرفيه، وجعل الأصل فرعا والفرع أصلا، فهم يشبهون النجوم بالمصابيح، ثم يقبلون فيشبهون المصابيح بالنجوم، ويشبهون الخد بالورد، والورد بالخد، والعيون بالزجس، والزجس بالعيون، والروض المنور بالوشى المنم، والوشى في الحلل بأنوار الرياض، والوجه بغرة الصباح، وغرة الصباح بالوجه...⁴⁷¹

أما التمثيل فلا يتأتى فيه القلب إلا إذا كان مبنيا على ضرب من التأول والتخيل...⁴⁷²، وذلك "لأنه لما كان التمثيل يكثر فيه تشبيه المعقول بالمحسوس، وانتزاع الوجه الأول من الثاني، فلو عكس هذا كان فيه مخالفة للعقل، لأن اتصاف المعقول بوصف المحسوس إنما جاء من طريق تشبيهه به، فلو عكس لزم انتزاع وصف المحسوس من المعقول، وهو تناقض، ولأن المحسوس أظهر وأقوى من المعقول، فيكون الواجب قياس المعقول عليه، ولا يصح العكس"⁴⁷³.

قال عبد القاهر: "وإذا كان الأمر كذلك، علمت أن طريقة العكس لا تجيء في "التمثيل" على حدها في التشبيه الصريح، وأنها إذا سلكت فيه كان مبنيا على ضرب من التأول والتخيل، يخرج عن الظاهر خروجا ظاهرا، ويبعد عنه بعدا شديدا"⁴⁷⁴.

وقد أفاض عبد القاهر في عرض شواهد التشبيه الظاهر التي كثر فيها القلب وساغ، فوقع الشيء الواحد فيها مشبها في حال، و مشبها به في حال أخرى...⁴⁷⁵

وكذلك أفاض في عرض شواهد التمثيل التي جاز فيها العكس على سبيل التخيل، والتخييل

في التمثيل – كما ذكر الدكتور غريب علام- يكون من وجهين:

⁴⁷⁰ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 204.

⁴⁷¹ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 186.

⁴⁷² المرجع نفسه، ص 190.

⁴⁷³ عبد العاطي غريب علام: "البلاغة العربية بين الناقد الخالدين"، ص 190.

⁴⁷⁴ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 226.

⁴⁷⁵ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 186، وعبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 204 وما بعدها.

الفصل الثالث

الأول: إيهام أن المعقول موصوف حقيقة بوصف المحسوس

والثاني: إيهام أن المعقول أعرف منه بوصفه...⁴⁷⁶

ومن شواهد التمثيل التي جاء فيها الفـرع مردودا إلى موضع الأصل والعكس...قول القاضي

التوخي:⁴⁷⁷

وَكَاَنَّ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهٍ سُنَّ لَاحَ بَيْنَهُنَّ ابْتِدَاعُ

فالأصل أن تشبه السنن والبدع التي هي أمور معقولة، بالنجوم والدجى التي هي محسوسة، ووجه

الشبه عقلي، آت من طريق "التأول" وإرادة مقتضى وصف المشبه به، وهو أن كلا من السنن والنجوم سبب الاهتداء والنجاة، وكلا من البدع والدجى سبب الضلال والهلاك...ولكن الشاعر عكس

على طريق التخيل، فجعل أولا: أن السنن موصوفة بالبياض حقيقة، بناء على أنه شاع وصفها بالبياض على سبيل الاستعارة المبنية على تشبيهها بما هو أبيض، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "أتيتكم بالحنيفية البيضاء"، وأن البدع موصوفة بالسواد، لما شاع من وصف البدعة والكفر بالسواد، بناء على تشبيهها بما هو أسود، ثم تخيل ثانيا بناء على ذلك أن السنن والبدع أعرف بالبياض والسواد من النجوم والدجى، فصح له بناء على هذه الدعوى أن يعكس...⁴⁷⁸

وواضح أن البيت يدخل في تشبيه المحسوس بالمعقول، وأورد عبد القاهر من هذا الضرب أمثلة مختلفة كتشبيه الليل الموحش بالصدود، وتشبيه النار في الفحم بالإنصاف يتراءى في خلال الظلم، ومثل "هواء أرق من شكوى المحبين" و"أرض واسعة كأخلاق الكرم"..⁴⁷⁹

وبعد، فهذه هي جملة الفروق التي أثبتها عبد القاهر بين التمثيل والتشبيه... وهي تدل على ذكاء حاد، وقرينة فياضة، وعلم راسخ، وبصر بأساليب العرب وسننهم في كلامهم، مع ذوق سليم وحسن فهم.

⁴⁷⁶ عبد العاطي غريب علام: "البلاغة العربية بين الناقد الخالدين"، ص 190.

⁴⁷⁷ أبو منصور الثعالبي: "بليغة الدهر في محاسن أهل العصر" / تحقيق: مفيد محمد قبيحة / دار الكتب العلمية / بيروت / ط 1: 1983 / ج 2 / ص 395.

⁴⁷⁸ عبد العاطي غريب علام: "البلاغة العربية بين الناقد الخالدين"، ص 191، وعبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 226-227. وعلي الجندي: "فن التشبيه"، ج 1 / ص 344.

⁴⁷⁹ شوقي ضيف: "البلاغة تطور و تاريخ"، ص 205، وعبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 227 وما بعدها.

***الفروق بين التمثيل والاستعارة:**

وكما فرق عبد القاهر بين التمثيل والتشبيه... فقد وضع بين الاستعارة والتمثيل فروقا دقيقة، تستنتج من حديثه عن الفرق بين الفنين... وهي تتلخص فيما يلي:

الفرق الأول: من الفروق التي أشار إليها - ويمكن استنتاجه من خلال الأساس الذي يقوم عليه كلا الفنين البيانيين... أن الأساس في الاستعارة النقل من الأصل المعروف، أو المعنى الذي دل عليه باللفظ الوضعي إلى شيء آخر لم يوضع له ذلك اللفظ، ولم يعرف عند أصحاب اللغة وواضعيها - أما الأساس في التمثيل فيعتمد - في التمثيل المركب - على انتزاع الشبه من جملة من الكلام أو ما في حكم الجملة من قبل العقل بضرب من التأول... ومن هنا يتضح الفرق بين الاستعارة و التمثيل، إذ الاستعارة تكون في اللفظ، و التمثيل يكون في الجملة أو أكثر أو شبه الجملة⁴⁸⁰.

الفرق الثاني: كما يقول عبد القاهر أنه: " إذا كان الشبه بين المستعار منه والمستعار له من المحسوس والغرائز والطباع وما يجري مجراها من الأوصاف المعروفة، كان حقها أن يقال إنها تتضمن التشبيه، ولا يقال إن فيها تمثيلا وضرب مثل، وإذا كان الشبه عقليا جاز إطلاق التمثيل فيها..."⁴⁸¹

الفرق الثالث: أن الاستعارة لا تفيد الشبه وحده، بل تزيد عليه المبالغة والادعاء في إثبات المعنى، يتم ذلك أيضا في أقل العبارات وأكثرها اختصارا، وليس كذلك التمثيل الذي هو نوع من أنواع التشبيه.⁴⁸²

الفرق الرابع: أن الشبه في الاستعارة يكون موجودا في الشيء على الافراد، من غير أن تكون نتيجة بينه وبين شيء آخر، و ذلك كاستعارة "الظلمة" للجهل والكفر والضلال، والنور للعلم والهداية والإيمان... أما التمثيل فلا يتأتى الشبه فيه على هذا النحو، بل يكون مركبا من حاله مع غيره، فمثال ما يكون الشبه فيه مع غيره قول القائل: "أخذ القوس باربها"، فلا يستقيم أن يكون القوس استعارة

⁴⁸⁰ ابن عبد الله شعيب: "علم البيان"، ص 135. وعبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 238، و 240.

⁴⁸¹ ابن عبد الله شعيب: "علم البيان"، ص 135. و عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 240.

⁴⁸² ابن عبد الله شعيب: "علم البيان"، ص 137. وشوقي ضيف: "البلاغة تطور و تاريخ"، ص 205. وعبد القاهر الجرجاني:

"أسرار البلاغة"، ص 239-242.

للخلافة، والباري استعارة عن مستحقها، فليس تمت شبه بين القوس والخلافة، أو بين الباري والمستحق، وإنما الشبه مؤلف من حال الخلافة مع القائم بها، ومن حال القوس مع بارئها، وهو يتمثل في أن كل واحد منها أعرف بالشيء وأحق به، لأنه أهدى إلى حسن استعماله والإفادة منه وبه.⁴⁸³

الفرق الخامس: أن الاستعارة لا تدخل تشبيه التمثيل الذي ينتزع من عدة أمور⁴⁸⁴... وفي ذلك يقول عبد القاهر: "...فأما إذا كان من الضرب الثاني الذي لا سبيل إلى معرفة المقصود من الشبه فيه إلا بعد ذكر الجمل التي يعقد بها التمثيل، فإن الاستعارة لا تدخله، لأن وجه الشبه إذا كان غامضاً، لم يجز أن تقتسر الاسم وتغصب عليه موضعه، وتنقله إلى غير ما هو أهله من غير أن يكون معك شاهد ينبئ عن الشبه..."⁴⁸⁵

الفرق السادس: أن يكون الشبه في الاستعارة - بين المستعار منه والمستعار له " مما يقرب مأخذه ويسهل متناوله، ويكون في الحال دليل عليه، وفي العرف شاهد له، حتى يمكن المخاطب إذا أطلقت له الاسم أن يعرف الغرض ويعلم ما أردت"⁴⁸⁶. والسبب في ذلك أنه لا بد من الوضوح وظهور الغرض من الاستعمال، فحين تطلق "الشمس" فإن هذا اللفظ يدل على أن المراد منه هو الحسن والنور؛ لأنهما من أخص الأمور التي تتعلق بالشمس، وأن العرف قد جرى بأن يشبه من أجلها به، وتعرف كون النور والحسن أصلاً فيها يقاس عليه... أما الشبه في التمثيل فيحتاج إلى نظر في استنباطه، وإعمال تأمل للوقوف عليه، وهو لا يظهر إلا بعد أن تكتمل الجمل التي يكون لها دخل في تشكيه. وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ

الْأَرْضِ﴾ الآية، فلا يصح القول بأن الحياة ماء، أو إنما الحياة الدنيا ماء أنزلناه من السماء، فلا يستقيم القول ولا يكون له معنى إلا إذا قدرناه وقلنا: "إنما الحياة الدنيا مثل ماء ينزل من السماء... الخ"، والسبب

⁴⁸³ ابن عبد الله شعيب: "علم البيان"، ص 136-137. وعبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 258.

⁴⁸⁴ شوقي ضيف: "البلاغة تطور و تاريخ"، ص 205.

⁴⁸⁵ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 243-244.

⁴⁸⁶ المصدر نفسه، ص 243.

في ذلك عدم تصور شبه بين الدنيا والماء يصح قصده. فلا بد إذن من إعمال ذهن وأكتمال الجمل حتى يتأتى الشبه على النحو الذي تتم به الغاية⁴⁸⁷.

◆ مواقع التمثيل وتأثيره في المعاني والنفوس:

بعد أن بين عبد القاهر حقيقة التشبيه والتمثيل، وجلى الفروق الفاصلة بينهما... انتقل إلى الحديث عن مواقع التمثيل وتأثيره في النفوس، وأثره في أداء المعنى، وأسباب ذلك التأثير... وقد توسع في بيان ذلك وفي عرض الأمثلة والشواهد، محللاً لها تحليلاً أدبياً رائعاً، يدل على ملكة في البيان راسخة، وبصر بأساليب الكلام العربي، وذوق أدبي رفيع...

*مواقع التمثيل وتأثيره:

ذكر عبد القاهر أن التمثيل يقع في الكلام على وجهين:⁴⁸⁸

أولهما: أن يجيء في أعقاب المعاني، وذلك بأن يذكر المشبه به الذي به تمام التمثيل بعد كلام يتضح فيه أحوال المشبه... كما في قول ابن المعتز:

اضْبِرْ عَلَى مَضِّ الْحَسْوِ دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ

فَالنَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا إِنَّ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

حيث مثلت حال الحسود يصبر على غيظه فيموت كدداً، بحال النار تحمد إن لم تمد بالوقود اللازم لدوام اشتعالها، وقد ذكر المشبه به بعد كلام بين حال المشبه...

ثانيهما: أن تبرز المعاني ابتداءً في علو ثوب التمثيل، وتنقل من صورتها الأصلية إلى صورته، وذلك حيث يجيء التمثيل على حد الاستعارة، فلا تذكر في الكلام حال المشبه، كما في قولهم يمثلون حال

⁴⁸⁷ ابن عبد الله شعيب: "علم البيان"، ص 136.

⁴⁸⁸ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية"، ص 199، وعبد العاطي غريب علام: "البلاغة العربية بين الناقد الخالدين"، ص 169 وما بعدها.

الفصل الثالث

المتردد: "أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى"، وقولهم في بيان إسناد الأمر إلى من يحسنه: "أخذ القوس بارميا" وقولهم في تصوير حال من يحتال للأمر حتى يصل منه إلى ما يريد: "ما زال يفتل منه في الذروة والغارب" ومنه قول ابن لنكك يصف قوما لهم منظر حسن ومخبر قبيح:⁴⁸⁹

فِي شَجَرِ السَّرِيْرِ مِنْهُمْ مَثَلٌ لَهُ رُؤَاءٌ وَ مَا لَهُ ثَمْرٌ...

هذا ويبدو أثر التمثيل واضحا جليا في إبراز تلك المعاني الممثلة، حيث يكتسي الكلام به أبهة وجمالا، ويرتفع قدره، وتتضاعف قواه في تحريك النفوس وإثارة الوجدان واستمالة القلوب...⁴⁹⁰

وفي ذلك يقول عبد القاهر: "واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه، أن "التمثيل" إذا جاء في أعقاب المعاني، أوبرزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته، كساها أبهة، وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صباية وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطيا محبة وشغفا. فإن كان مدحا، كان أبهى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهز للعطف، وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح... إلى آخره⁴⁹¹ ومعنى "شب من نارها"، أي: حسنت به المعاني، وجادت، وشهرت، وتداولها أهل الأدب... وهذه قيمة في الأدب لا تجحد، وفضل فيه لا ينكر... ومعنى "كسبها منقبة" أي صارت به المعاني ذوات مناقب، أعني ذوات شرف، لها من الفضل ما تعلق به على نظرائها... وهذا من أثر التمثيل في المعنى نفسه، وهو القسم الأول من هذا النص... أما القسم الثاني: وهو قوله: "وضاعف قواها في تحريك النفوس لها"، فإنه مدخل آخر من مداخل تقويم النص الأدبي، والذي دخلت فيه صنعة التمثيل، وهو فعل هذه الصنعة لا في النص نفسه، ولكن في الذي يتلقى النص.. فعبد القاهر يشرح كيف تتلقى نفوس المخاطبين - وهم ممن ارتفعوا عن طبقة العامة - صور هذا التمثيل، وقد أجاد في هذه العبارة، وأن هذه الصور تنفذ إلى أقاصي

⁴⁸⁹ أبو منصور النعالي: "بئمة الدهر في محاسن أهل العصر"، ج 2 / ص 410.

⁴⁹⁰ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 200.

⁴⁹¹ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 115-116.

الفصل الثالث

الأفئدة أي تداخل سرائر القلوب، ويكون لها رنين في أقاصيها، وتحرك ما قر في قرار النفس، و تستثيره وتعطفه نحو المعنى...⁴⁹²

ثم إن عبد القاهر "بعد هذا الوصف العام لأثر التمثيل في النفس، رجع وقسم هذا الأثر على فنون الكلام والأغراض التي يروم الناس الإبانة عنها، فان كان مدحا كان أبيه وأفهم، وإن كان ذما كان أوجع - وهكذا..."⁴⁹³

وانتقل بعد ذلك إلى بيان ما أجمل ذكره من الأثر النفسي للتمثيل، وبيانه لذلك الأثر النفسي - كما ذكر الدكتور أبو موسى - يشبه عمليات التدريب على التدوق، وذلك بعرض الفكرة مجردة من صنعة التمثيل ومحاولة رصد ما يجده القارئ في نفسه، رسدا دقيقا، ثم عرضها وهي في صورة التمثيل، ثم رصد ما يجده في نفسه في هذه الحالة الثانية، ثم الموازنة بين الحالتين...⁴⁹⁴

ومن أمثلة ذلك قوله: "وإن أردت أن تعرف ذلك - وإن كان تقل الحاجة فيه إلى التعريف،

ويستغنى في الوقوف عليه عن التوقيف - فانظر إلى نحو قول البحري:

دَانٍ عَلَى أَيْدِي الْعَفَاةِ وَشَاسِعٍ عَنْ كُلِّ نِدٍّ فِي النَّدَى وَ صَرِيْبٍ
كَالْبَدْرِ أَفْرَطَ فِي الْعُلُوِّ وَ صَوْءُهُ لِلْغُصْبَةِ السَّارِيْنَ جَدُّ قَرِيْبٍ

وفكر في حالك وحال المعنى معك، وأنت في البيت الأول لم تنته إلى الثاني، ولم تتدبر نصرته إياه، وتمثيله له فيما يملئ على الإنسان عيناه، ويؤدي إليه ناظره، ثم قسمها على الحال وقد وقفت عليه، وتأملت طرفيه، فإنك تعلم بعد ما بين حالتك، وشدة تفاوتها في تمكن المعنى لديك، وتجبته إليك، ونبهه في نفسك، وتوفيره لأنسك...⁴⁹⁵

- وقال في موضع آخر: " وأنشد قول ابن لنكك:⁴⁹⁶

إِذَا أَخُو الْحُسَيْنِ أَضْحَى فِعْلُهُ سَمِيحاً رَأَيْتَ صَوْرَتَهُ مِنْ أَفْبَحِ الصُّوْرِ

⁴⁹² محمد أبو موسى: "مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني"، ص 385-386.

⁴⁹³ المرجع نفسه، ص 386.

⁴⁹⁴ المرجع نفسه، ص 387.

⁴⁹⁵ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 116.

⁴⁹⁶ أبو منصور الثعالبي: "يتيمة الدهر..."، ج 2 / ص 419.

وتبين المعنى واعرف مقداره، ثم أنشد البيت بعده:

وَهَبْنَاكَ كَالشَّمْسِ فِي حُسْنٍ، أَلَمْ تَرَ نَا
تَقَرُّ مِنْهَا إِذَا مَالَتْ إِلَى الضَّرَرِ؟

وانظر كيف يزيد شرفه عندك؟⁴⁹⁷

- وقال أيضا: " وكذلك فرّو في بيت المتنبي:⁴⁹⁸

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُّرٍّ مَرِيضٍ يَجِدُ مُ
رَأً بِهِ الْمَاءُ الزَّلَالَا

لو كان سلك بالمعنى الظاهر من العبارة كقولك: " إن الجاهل الفاسد الطبع يتصور المعنى بغير

صورته، ويحتمل إليه في الصواب أنه خطأ، هل كت تجد من الروعة، وهل كان يبلغ من وقم الجاهل ووقده، وقعه وردعه والتهجين له والكشف عن نقصه، ما بلغ التمثي ل في البيت، وينتهي إلى حيث انتهى؟"⁴⁹⁹... إلى غير ذلك من الأمثلة.

*أسباب تأثير التمثيل:

وبعد أن بين عبد القاهر أثر التمثيل في المعاني والنفوس... "انتقل إلى الخطوة التي تليها، وهي أسباب هذا الأثر، وهذا انتقال متدرج، وموافق لفطرة البحث، وقد أدخل هذه الأسباب في الأحوال النفسية، وجعلها جزء من أسباب أنس النفوس، وجزء من المتألف لنافر المسرة، وأسس من هذا بابا جليلا من أهم وأرفع الدراسات البلاغية التي تخالط فيها الصنعة الأسلوبية الأحوال النفسية وتلتبس بها، وتتداخل معها، وكيف يكون التلاقي بين خطرات اللغة و خطرات القلوب..."⁵⁰⁰

وأسباب تأثير التمثيل عند عبد القاهر ترجع إلى ما يلي:

1- أنه ينقل النفوس من معنى خفي إلى جلي واضح: وذلك أنه ينقلها من معنى معقول إلى معنى محسوس، فالحسيات أقوى تأثيرا من العقلية، وأسبق حصولا في النفس... وكذا ينقل التمثيل النفس من معنى يدرك بعد التفكير والنظر، إلى معنى يدرك بالضرورة والبدئية، كاستلزام المسبب السبب، وكون

⁴⁹⁷ عبد القاهر الجرجاني: " أسرار البلاغة "، ص 118.

⁴⁹⁸ ناصيف اليازجي: " العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب "، ج 1 / ص 330.

⁴⁹⁹ عبد القاهر الجرجاني: " أسرار البلاغة "، ص 119.

⁵⁰⁰ محمد أبو موسى: "مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني"، ص 389.

الجزء أصغر من الكل... وينقلها من معنى مكني عنه إلى معنى مصرح به، فتأنس النفس بذلك ويقر بها
المعنى...⁵⁰¹

قال عبد القاهر: "...فأول ذلك وأظهره، أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكني، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعمّا يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع؛ لأن العلم المستفاد من طرق الحواس، أو المركز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة، يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلوغ الثقة فيه غاية التمام، كما قالوا: "ليس الخبر كالمعاينة"⁵⁰²

2- ففيه الشكوك والريب: وذلك حينما يقع التمثيل عقيب معنى "غريب بدیع يمكن أن يخالف فيه، ويدعى امتناعه واستحالة وجوده..."⁵⁰³

وذلك نحو قول أبي الطيب:

فَإِنْ تَقَى الْأَنَامَ وَ أَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغَزَالِ

وذلك لأن الشاعر أراد أن يصف الممدوح بأنه فاق بني جنسه ولم تعد بينه وبينهم مقارنة ولا مشابهة، بل صار هو كأنه أصل بنفسه وجنس برأسه، وهذا أمر غريب... ومن يدعي مثل هذه الدعوى فهو في حاجة إلى دليل يصحح به دعواه في جواز وجوده على الجملة أولاً، لينتقل من هذا الجواز العام إلى الجواز الخاص، وهو ثبوت ما ادعاه للممدوح بعينه... ولما قال: "فإن المسك بعض دم الغزال" فقد احتج لدعواه وأبان أن لما ادعاه أصلاً في الوجود، وبرا نفسه من صفة الكذب وأزال الريب والشك عن سامعيه.⁵⁰⁴

3- بيان المقدار: أي بيان مقدار المشبه... وذلك إذا كان المشبه معروف الصفة قبل التشبيه معرفة

إجمالية، وكان التشبيه يبين مقدار هذه الصفة...⁵⁰⁵

⁵⁰¹ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 206-207، و عبد العظيم المطعني: "التشبيه والتمثيل"، ص 69-70.

⁵⁰² عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 121.

⁵⁰³ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 123، عبد العظيم المطعني: "التشبيه والتمثيل"، ص 71.

⁵⁰⁴ عبد العظيم المطعني: "التشبيه والتمثيل"، ص 71.

⁵⁰⁵ ابن عبد الله شعيب: "علم البيان"، ص 46.

ومثال ذلك قول مجنون ليلي:

فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةِ كَقَابِضٍ عَلَى الْمَاءِ خَائِتُهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ

فالخيبة وبوار السعي وعدم حصول الشاعر على ما يرغبه من ليلي ويؤمل فيه، مما لاشك في أنه قد وقع، ومما لا يحتاج إلى دليل وبرهان، ولهذا فهو لا يبين إمكان حدوث خيبة الأمل وبوار السعي، بل يريد أن يبين مقدارهما، وأنه قد بلغ فيها الغاية، حتى أنه لم يحظ من حبيبته بشيء قل أوكثر، شأنه شأن قابض على الماء خائته فروج الأصابع.⁵⁰⁶

4- الجمع بين طرفين متباعدين : وذلك حيث يصور الشيء في غير جنسه، ويلتقط له وجه شبه من غير محلته، فيكون له من الطرف واللفظ ما لا يخفى، إذ يريك المتباعدين متقاربين، والمتنافرين متآلفين، وكلما كان التباعد بين الشئيين أشد، كان التشبيه أطف وأغرب وأعجب وأطرب...⁵⁰⁷

وهذا السبب من أسباب تأثير التمثيل لا يختص بالتمثيل، بل يتأق أيضا في التشبيه الصريح...⁵⁰⁸
ولكن التمثيل - كما ذكر عبد القاهر - أخص من التشبيه في التأثير وتحريك قوى الاستحسان، وأسبق جار في هذا الرهان...⁵⁰⁹

قال عبد القاهر: "...وهل تشك في أنه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بعد ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المشم والمعرق. وهو يريك للمعاني الممثلة بالأوهام شيها في الأشخاص الماثلة، والأشباح القائمة، وينطق لك الأخرس، ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجماد، ويريك التنام عين الأضداد، فيأتيك بالحياة والموت مجموعين، والماء والنار مجتمعين، كما يقال في المدوح هو حياة لأولياءه، موت لأعدائه..."⁵¹⁰

ومن أمثلة ذلك قول البحري السابق:

⁵⁰⁶ ابن عبد الله شعيب: "علم البيان"، ص 46، و عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 124-125.

⁵⁰⁷ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 211، و عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 130

⁵⁰⁸ عبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 211.

⁵⁰⁹ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 131.

⁵¹⁰ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 132.

دانٍ على أيدي العفاة وشاسيع..... إلى آخره

5- توليد معان كثيرة وتعددتها من مصدر واحد: ⁵¹¹ وفي ذلك يقول عبد القاهر: " وإنه ليأتيك من الشيء الواحد بأشبهاء عدة، ويشتق من الأصل الواحد أغصانا، وفي كل غصن ثمر على حدة، نحو أن "الزَّند" بإيرائه يعطيك شبه الجواد، والذي الفطن، وشبه التُّجج في الأمور والظفر بالمراد، وبإصلاحه شبه البخيل الذي لا يعطيك شيئا، والبليد الذي لا يكون له خاطر ينجح فائدة ويخرج معنى، وشبه من يجيب سعيه، ونحو ذلك...⁵¹²

ومن ذلك أنه " يعطيك شبه الإنسان في نشئه ونمائه إلى أن يبلغ حد التمام، ثم تراجع إذا انقضت مدة الشباب، كما قال:

المَرْءُ مِثْلُ هِلَالٍ حِينَ تُبْصِرُهُ يَبْدُو ضَعِيلاً ضَعِيفاً ثُمَّ يَنْسِقُ
يُزْدَادُ حَتَّى إِذَا مَا تَمَّ أَعْقَبَهُ كَرَّ الْجَدِيدَيْنِ نَقْصاً ثُمَّ يَنْمَحُ...⁵¹³

6- حاجة التمثيل في الغالب إلى إعمال الفكر وتقليب النظر وكثرة التأمل... حتى يتوصل إلى المعنى المراد، وهذا الاحتياج مرده إلى خفاء وجه الشبه وغموضه...⁵¹⁴

فالمعنى - كما يقول عبد القاهر - إذا أتاك ممثلاً، فهو في الأكثر ينجلي لك بعد أن يجوجك إلى طلبه بالفكرة وتحريك الخاطر له والهمة في طلبه. وما كان منه أطف، كان ⁵¹⁵ امتناعه عليك أكثر، وإباؤه أظهر، واحتياجه أشد. ومن المركز في الطبع أن الشيء إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه، ومعاناة الحنين نحوه، كان نيله أحلى، وبالمرزية أولى، فكان موقعه من النفس أجل وألطف، وكانت به أضن وأشغف...⁵¹⁶

⁵¹¹ عبد العظيم المطعني: " التشبيه و التمثيل "، ص 81.

⁵¹² عبد القاهر الجرجاني: " أسرار البلاغة "، ص 136.

⁵¹³ المصدر نفسه، ص 137.

⁵¹⁴ عبد الفتاح فيود: " دراسات بلاغية " ص 217.

⁵¹⁵ العبارة في الطبعة المعتمدة من كتاب " الأسرار ": ". كانت امتناعه عليك أكثر؟ "، ولعله خطأ في الطباعة.

⁵¹⁶ عبد القاهر الجرجاني: " أسرار البلاغة "، ص 139.

وينبغي هنا التنبيه إلى أن عبد القاهر لم يقصد بالدقة والحفاء والغموض في التمثيل، ما يصل إلى حد التعمية والإلغاز... وإنما أراد ستر المعنى بغشاء رقيق يزول مع إعمال الفكر وتقليب النظر... - وقد صرح هو بهذا في نهاية حديثه عن تأثير التمثيل وأسبابه...⁵¹⁷

♦ تأثر عبد القاهر وتأثيره في بحث التمثيل:

يبقى بعد هذا البيان لآراء عبد القاهر الجرجاني في "تشبيه التمثيل" "...أن نتحدث - ولو بإيجاز- عن مدى تأثره- في دراسته لذلك الفن البديع- بمن سبقوه، ممن سبق عرض آرائهم... ومدى تأثيره فيمن جاءوا بعده...

*تأثر عبد القاهر بالسابقين:

إن الكلام في هذه المسألة، هو- في الحقيقة- فرع عن الكلام في أصل عام يندرج تحته مبحث "التمثيل"، ألا وهو مبحث "الصور البيانية"، ويدخل تحتها: التشبيه والتمثيل، والحقيقة والمجاز، والاستعارة، والكناية والتعريض. وهذه الفنون البيانية كلها، قد عالها البلاغيون قبل عبد القاهر، وهذه حقيقة تذكر ولا تنكر... ولكن عبد القاهر بحثها بحثاً مختلفاً عن بحث أولئك لها... وقد أشار هو نفسه إلى هذه الحقيقة في نهاية حديثه عن التشبيه والتمثيل والاستعارة... وذلك في قوله: "واعلم أن هذه الأمور التي قصدت البحث عنها، أمور كأنها معروفة مجهولة، وذلك أنها معروفة على الجملة، لا ينكر قيامها في نفوس العارفين ذوق كلام، والمتمهرين في فصل جيده من رديته- ومجهولة من حيث لم يتفق فيها أوضاع تجري مجرى القوانين التي يرجع إليها، فتستخرج منها العلل في حسن ما استحسنت وقبح ما استهجن، حتى تعلم علم اليقين غير الموهوم، وتضبط ضبط المزموم المخطوم. ولعل الملل إن عرض لك، أو النشاط إن فتر عنك، قلت: "ما الحاجة إلى كل هذه الإطالة؟ وإنما يكفي أن

⁵¹⁷ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 139 وما بعدها. وعبد العظيم المطعني: "التشبيه والتمثيل"، ص 82. وعبد الفتاح فيود: "دراسات بلاغية" ص 218 وما بعدها.

الفصل الثالث

يقال: الاستعارة مثل كذا، فتعد كلمات، وتنشد أبيات، وهكذا يكفينا المؤونة في التشبيه والتمثيل يسير من القول...⁵¹⁸

وعبد القاهر بذلك يضع في أيدينا فرق ما بينه وبين سابقه في بحث الصور البيانية، فقد كان يكفهم أن يسموها، ويفتحوا لها الأبواب يسردون أمثلتها دون تحليل ودون وضع قوانين فارقة ومقاييس يعرف بها جيد الكلام من رديته، وحسنه من قبيحه...⁵¹⁹

ويمكن القول إن ملامح علم البيان لم تتحدد ولم تتجسد في نظرية متكاملة إلا في كتابات عبد القاهر في كتابيه "الدلائل" و"الأسرار" وبخاصة هذا الأخير...⁵²⁰ ولم يكن دوره في تحديد ملامح هذه النظرية مقصورا على جمع ما تبعث من مباحثها عبر كتب السابقين والتأليف بينه، وإنما تجاوز ذلك إلى تعميق هذه النظرات العامة السريعة التي اتسمت بها معالجة معظم من تناولوا موضوعات علم البيان ومباحثه قبله، وأضاف إلى ما قالوه الكثير من الأبواب والفصول...⁵²⁰

وعبد القاهر يمتاز من سابقه جميعا " بأنه بحث بحثا عميقا في أثر كل فن من تلك الفنون في العمل الأدبي، أي أنه فلسفها و بين عيوبها و محاسنها، وربطها ربطا وثيقا بالدراسات النفسية، فالجميل جميل لتأثيره في النفس، وإثارة المشاعر والذكريات، أو لإثارة الملكات والحواس بتحريكها حتى تنظن إلى الحسن المعنوي، وتصله بألوان الحسن المادي الذي تراه في الطبيعة في تناسقها، وفي تآلف كائناتها و أصواتها وألوانها وحركاتها...⁵²¹

وهذا الكلام ينطبق على بحث "التمثيل"، والذي يمكن اعتباره من أمتع المباحث التي تناولها عبد القاهر بالدراسة والتحليل العميقين... ويفترق عبد القاهر - في دراسته للتمثيل - عن سابقه ومعاصريه، في عدة أمور، أهمها:

⁵¹⁸ عبد القاهر الجرجاني: "أسرار البلاغة"، ص 260.

⁵¹⁹ شوقي ضيف: "البلاغة تطور و تاريخ"، ص 206.

⁵²⁰ علي عشري زايد: "البلاغة العربية..."، ص 114.

⁵²¹ بدوي طبانة: "البيان العربي..."، ص 149.

الفصل الثالث

أ - أنه - كما ذكر الدكتور مطلوب - كان من أوائل الذين وض - عوا حدا واضحا بين التشبيه والتمثيل، حينما قسم التشبيه إلى ضربين...⁵²²

ب - توسعه ودقته في وضع الفروق الفاصلة بين التمثيل والتشبيه من جهة، وبين التمثيل والاستعارة من جهة أخرى...

ت - كلامه الرائع عن مواقع التمثيل وأثره في المعاني والنفوس، وأسباب تأثيره... يضاف إلى ذلك توسعه في إيراد الشواهد من الكلام البليغ، وإتباعها بالتحليل الأدبي والنفسي، ودعوته القارئ إلى تذوق النصوص... إلى غير ذلك.

والحقيقة - كما ذكر الدكتور محمد جلال الذهبي - أن عبد القاهر قرأ تراث من سبقه - لاشك في ذلك - ثم اشتملت عليه نفسه فخرج شيئا آخر غير ما كان، لا يستطيع إنسان أن يقول: إنه هو، وإن كان هو أصله، فالشاهد الذي نلذ به ونهش له، أصله رحيق زهر، قد يكون من ألوان متعددة وأماكن متباينة لكنه صار شيئا غير ما كان...⁵²³

*تأثيره فيمن جاءوا بعده:

إن تأثير عبد القاهر فيمن جاء بعده - ممن كتبوا في البلاغة - أمر لا يكاد يخفى على أحد من له إطلاع على كتب البلاغة، ولا ينكره إلا جاحد أو حاسد... وإذا كان يقال عن النحويين بعد سيبويه: إنهم عيال على كتابه في النحو... فكذلك كان رجال البلاغة بعد عبد القاهر عيالا على كتابيه الجليلين "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة"، والذين استوعبا معظم مباحث البلاغة العربية، مع ما تميزت به دراسة عبد القاهر لها من عمق ودقة ومنهاج واضح...

غير أن هذا التأثير العام بما كتبه عبد القاهر في البلاغة، لا يلزم منه أن الذين جاءوا من بعده قد تابعوه في كل آرائه، بل الحقيقة التي يقف عليها كل مطلع على ما كتبه عبد القاهر في البلاغة، وما كتبه غيره ممن تأثروه، هي أنهم خلفوه في مسائل عدة...

⁵²² أحمد مطلوب: "معجم المصطلحات البلاغية و تطورها"، ص 333.

⁵²³ محمد جلال الذهبي: "سهات البلاغة عند الشيخ عبد القاهر"، ص 3.

الفصل الثالث

على أنه ينبغي أن يلاحظ هنا كذلك، أن بعض ما خالف فيه أولئك عبد القاهر... قد يكون منشؤه فهما معينا فهموه من مجموع كلامه في المسألة، أو عدم إدراكهم لمقاصد الشيخ من كلامه... ولعلّ هذا الأمر ينطبق على بحث "التمثيل"، ففي باب "التمثيل" كان عبد القاهر - كما سبق ذكره - من أوائل من وضعوا حدًا واضحًا بين التشبيه والتمثيل، وقد اعتمد في التفريق بينهما على وجه الشبه المنتزع من الطرفين... وكذلك فعل معظم الذين جاءوا من بعده، وهذا في حد ذاته تأثر، كل ما في الأمر أنه اختلفت وجهة نظرهم في ذلك التفريق:

- فالسكاكي - كما سبق - لا يرى "التمثيل" إلا ما كان وجهه مركبا عقليا، ولعله قد نظر إلى ما ذهب إليه عبد القاهر من أن التمثيل المركب أجدر باسم "التمثيل" من غيره... يضاف إلى ذلك أن علما من أعلام البلاغة وهو فخر الدين الرازي - والذي ذكر في مقدمة كتابه "نهاية الإيجاز"، أن كتابه هذا إنما هو اختصار وإعادة ترتيب لكتابي عبد القاهر⁵²⁴ - قد صرح بأن التشبيه الذي يخص باسم "التمثيل" هو ما كان منتزعا من اجتماع أمور يتقيد البعض ببعض⁵²⁵، والسكاكي - كما ذكر الدكتور الذهبي - في معظم آرائه البلاغية، ينقل عن الفخر الرازي⁵²⁶...

- والخطيب القزويني، ومعه جمهور البلاغيين - كما سبق أيضا - يرى أن التمثيل ما كان وجهه مركبا، سواء كان حسيا أو عقليا... فقد خالف عبد القاهر في أنه عد ما كان وجه الشبه فيه من المركبات الحسية تمثيلا لا تشبيها، ولعل السبب في ذلك أنه أدرك أن الوجه عندما يكون من تلك المركبات الحسية لا يخلو من خفاء، وإن كان لا يحتاج ذلك الحفاء في معظم صور المركبات الحسية إلى تأول وصرف عن الظاهر...⁵²⁷

⁵²⁴ فخر الدين محمد بن الحسين الرازي : " نهاية الإيجاز في دراسة الإيجاز " / تحقيق: سعد سليمان حمودة / دار المعرفة الجامعية / مصر / 2003 / ص 32.

⁵²⁵ المصدر نفسه، ص 116.

⁵²⁶ محمد جلال الذهبي: " سمات البلاغة عند الشيخ عبد القاهر "، ص 36.

⁵²⁷ عبد الفتاح فيود: " دراسات بلاغية "، ص 155.

كما كان لعبد القاهر تأثيره في باب الشواهد وتحليلها، والحديث عن تأثير التمثيل... ولكنه تأثير ضعيف، إذ "لم يستطيعوا أن يحتفظوا له بالمستوى الذي وصل إليه عبد القاهر..."⁵²⁸، بل إن قصورهم عنه شديد.

• وفيما يلي ذكر أهم نتائج الفصل المستخلصة:

- أولا: يعد عبد القاهر الجرجاني من أوائل من وضعوا حدا واضحا بين التشبيه والتمثيل، وذلك بما أثبتته من فروق عديدة بينها، بل إنه فرق تفريفا دقيقا - أيضا- بين التمثيل والاستعارة... مما يدل على علم راسخ، ودكاء حاد، وقريحة فياضة، وبصر بأساليب العرب في كلامها...
- ثانيا: مذهب عبد القاهر في "التمثيل"، أنه كل تشبيه كان وجه الشبه فيه عقليا غير غرزي - أي غير حقيقي- سواء كان مفردا أم مركبا، ومع ذلك فهو يفضل المركب العقلي على المفرد، ويرى أنه الأجدر باسم التمثيل "...وربما كان هذا هو الذي أغرى المتأخرين -كالسكاكي- باعتبار التركيب في التمثيل...
- ثالثا: تبين أن "التمثيل" عند عبد القاهر قد يأتي في صورة التشبيه وهو حقيقة لغوية... كما قد يأتي في صورة الاستعارة - وهي مجاز لغوي... والشواهد التي مثل بها، مع تصريحه بأن التمثيل قد يكون مجازا لمجئتك به على حد الاستعارة... خير شاهد على ذلك.
- رابعا: تميز عبد القاهر عن سابقيه ولاحقيه، بحديثه الرائع المسهب عن أثر التمثيل في المعاني والنفوس، وشرحه لأسباب التأثير... مع التوسع في إيراد الشواهد من الكلام البليغ، وتحليلها تحليلا أدبيا ونفسيا معمقا، ودعوته القارئ أو السامع إلى تذوق النصوص، وفي ذلك تدريب للمتلقي على حسن التذوق والنقد...
- خامسا: لاشك في أن عبد القاهر قرأ تراث من سبقوه، ومن ذلك ما كتبه عن "التمثيل"... ولكن بينه وبينهم فرقا كبيرا في طريقة عرض ذلك الفن البديع... بل إن الفرق في ذلك ظاهر -كذلك- بينه وبين للاحقيه، فلم يستطيعوا أن يحتفظوا له بالمستوى الذي وصل به إليه عبد القاهر، فضلا عن أن يضيفوا إليه جديدا...

⁵²⁸ علي عشري زايد: " البلاغة العربية... "، ص 119.

الفصل الثالث

وإن في ذلك لدليلا على عبقرية ذلك العلم... عبقرية فذة تشهد لصاحبها بالتفوق، وتبوء المكان
العلي من سماء البلاغة العربية...

الخاتمة

بعد هذا التطواف في رحاب ذلك الفنّ البديع؛ فنّ "تشبيه التمثيل"، والذي وقفنا من خلاله على بدايات نشأته وتخلّقه، وتتبعنا مراحل نموّه وتطوّره، وتجلّت لنا - فيما نظنّ ونزعم- حقيقته، ووقفنا على جوانب من جهود عبد القاهر الجرجاني في رسم حدوده، ورفع قواعده... بعد هذا كله، آن الأوان للمطوّف أن يلقي العصا، وييدي الجبّي، وجنى البحث نتأجه... وهذه - أيها القارئ الكريم - أهمّها:

- أولاً: تبينّ بما سبق عرضه من آراء علماء البلاغة السابقين في التمثيل، أنّ مفهوم ذلك الفنّ البلاغي - قبل عبد القاهر الجرجاني- كان عامّاً، يطلق على كثير من الصّور البيانية كالاستعارة والكناية والتشبيه الاصطلاحي... وقد تبينّ ذلك جلياً من خلال الشواهد التي مثّلوا بها.

- ثانياً: تبينّ -أيضاً- أنّ قدامة بن جعفر يكون أوّل من عدّ التمثيل مخالفاً للتشبيه، وأوّل من خصّه بتعريف، ومثّل له بشواهد...وقد تأثّره- في عمله- من جاءوا بعده تأثراً شديداً، غير أنّ ذلك لم يمنع من أن تكون لهم بعض الملاحظات والزيادات و الاستدراكات التي أثرت البحث...ولكنّ ذلك كلّ لم يكن كافياً لبيان حقيقة "تشبيه التمثيل"، ورسم حدوده، وتحديد معالمه.

- ثالثاً: هناك من البلاغيين من لم يرد عنده مصطلح "التمثيل"، ولكنه أشار إليه إشارة دقيقة، تحت مسمّى "المثّل" الذي هو عنده من المجاز، كما رأينا عند الجاحظ...وأشار إليه بأمثلته، وبيان حسنه، حتى سمّاه تشبيه البلاغة، كما سبق عند الرّماني...ولا شكّ في أنّ هذه الإشارات والملاحظات قد أفاد منها من جاءوا بعدها.

- رابعاً: خلصنا إلى أن معاني التمثيل في اللغة ترجع إلى المماثلة والتجسيم والتصوير. وعند التحقيق فإنّها ترجع إلى المماثلة ومناظرة الشيء للشيء...

- خامساً: الرأى الأمثل والأعدل في معنى "تشبيه التمثيل" اصطلاحاً أنّه: " ما كان وجه الشبه فيه دقيقاً لا يدركه ولا يفتن إليه إلا أصحاب الأذواق السليمة، الذين ارتفعوا عن طبقة العامة " - وهذا يتحقق في:

- ما كان وجه الشبه فيه مفردا عقليا غير غرزي.

- وما كان وجه الشبه فيه مركبا عقليا.

- وما كان وجه الشبه فيه مركبا حسيا.

وأما التشبيه غير التمثيلي فهو بخلافه، أي: ما كان وجه الشبه فيه واضحا بينا لا يحتاج إلى إعمال

فكر وإطاف روية- وهذا يتحقق في:

- ما كان وجه الشبه فيه مفردا حسيا

- وما كان وجه الشبه فيه عقليا (والشأن في مثل هذا الوجه أن يكون مفردا)

- سادسا: تبين أن "التمثيل" ينطوي على أسرار عظيمة تدلّ على فضيلته وعلوّ منزلته... وحسنه في

القرآن الكريم، والحديث النبويّ، وكلام العرب - ظاهر باهر... وما على المرء من حرج إذا قال عن

ذلك الفنّ البديع: **إنّه من البيان "بِمَنْزِلَةِ الرَّبِّيعِ مِنَ الزَّمَانِ".**

- سابعا: يعد عبد القاهر الجرجاني من أوائل من وضعوا حدا واضحا بين التشبيه والتمثيل، وذلك بما

أثبتته من فروق عديدة بينهما، بل إنه فرق تفريقا دقيقا - أيضا- بين التمثيل والاستعارة... وهذا مما يدل على

أن صور البيان على اختلافها كانت قد تميّزت عنده، بخلاف من سبقوه.

- ثامنا: مذهب عبد القاهر في "التمثيل"، أنه كل تشبيه كان وجه الشبه فيه عقليا غير غرزي -

أي غير حقيقي- سواء كان مفردا أم مركبا، ومع ذلك فهو يفضّل المركب العقلي على المفرد، ويرى أنه

الأجدر باسم التمثيل"...وربما كان هذا هو الذي أغرى المتأخرين -كالسكاكي- باعتبار التركيب في

التمثيل...

- تاسعا: تبين أن "التمثيل" عند عبد القاهر قد يأتي في صورة التشبيه وهو حقيقة لغوية... كما قد

يأتي في صورة الاستعارة - وهي مجاز لغوي... والشواهد التي مثل بها، مع تصريحه بأن التمثيل قد يكون

مجازا لمجئك به على حد الاستعارة...خير شاهد على ذلك.

- عاشرا: تميز عبد القاهر عن سابقيه ولاحقيه، بحديثه الرائع المسهب عن أثر التمثيل في المعاني

والنفوس، وشرحه لأسباب التأثير... مع التوسع في إيراد الشواهد من الكلام البليغ، وتحليلها تحليلا أدبيا

ونفسيا معمقا، ودعوته القارئ أو السامع إلى تذوق النصوص، وفي ذلك تدريب للمتلقي على حسن التذوق والنقد...

- **حادي عشر:** لاشك في أن عبد القاهر قرأ تراث من سبقوه، ومن ذلك ما كتبه عن "التمثيل"... ولكنّ بينه وبينهم فرقا كبيرا في طريقة عرض ذلك الفن البديع... بل إن الفرق في ذلك ظاهر - كذلك - بينه وبين لاحقيه، فلم يستطيعوا أن يحتفظوا له بالمستوى الذي وصل به إليه عبد القاهر، فضلا عن أن يضيفوا إليه جديدا... وإنّ في ذلك لدليلا على عبقرية ذلك العلم... عبقرية فذة تشهد لصاحبها بالتفوق، وتبوء المكان العلي من سماء البلاغة العربية...

والحقيقة أنّ فنّ "تشبيه التمثيل" يستحقّ من الجهد في سبيل بيان حقيقته، وإبراز شرفه وفضيلته، ومكانته من البلاغة... أضعاف ما بُدِل. والنية معقودة على تحقيق هذا الأمر فيما يُستقبل، ومن الله نستمدّ المعونة والتوفيق... إنّه أكرم مسؤول - وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المصادر و المراجع

المصادر والمراجع

■ القرآن الكريم ، برواية حفص عن عاصم.

☞ ابن الأثير ، ضياء الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم (ت: 637 هـ):

(1) -"المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1999

(2) -"المثل السائر"، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط2، بدون تاريخ

☞ ابن الرومي :

(3) -"الديوان" ، شرح: أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 3: 2002

☞ ابن القيم ، محمد بن أبي بكر الدمشقي (ت: 751 هـ):

(4) -"بدائع التفسير" ، تحقيق: يسري السيد محمد، دار ابن الجوزي، م.ع.السعودية، ط1: 1427 هـ

(5) -"الأمثال في القرآن الكريم" ، تحقيق: سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة، بيروت، 1981

☞ ابن المعتز، عبد الله (ت: 296 هـ):

(6) -"البديع" ، تحقيق: عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل ، بيروت ، ط1: 1990

(7) - الديوان" ، طبعة دار صادر، بيروت

☞ ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحلیم (ت: 728 هـ):

(8) -"الإيمان" ، تحقيق صديقي جميل عطار، دار الفكر، بيروت ، ط1: 1419 هـ

☞ ابن جنبي ، أبو الفتح عثمان (ت: 392 هـ):

(9) -"الخصائص" ، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، مصر، ط2: 1952

☞ ابن رشيقي ، أبو علي الحسن (ت: 456 أو 463 هـ):

(10) -"العمدة" ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، طبعة دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ

☞ ابن سنان الخفاجي ، أبو محمد عبد الله بن محمد (ت: 466 هـ):

(11) -"سر الفصاحة" ، تحقيق: علي فودة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط2: 1994

كـ ابن عاشور، محمد الطاهر:

(12) - "التحرير والتنوير"، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984

كـ ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا (ت:395هـ):

(13) - "مقاييس اللغة"، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1979

كـ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت:276هـ):

(14) - "تأويل مشكل القرآن"، تحقيق: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بدون تاريخ.

كـ ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل الدمشقي (ت:774هـ):

(15) - "تفسير القرآن العظيم"، دار الثقافة، الجزائر، ط:1: 1990

(16) - "البداية والنهاية"، تحقيق: جودة محمد جودة، ومحمد حسني الشعراوي، دار ابن الهيثم، القاهرة، ط:1: 2006

كـ ابن مقبل

(17) "الديوان"، تحقيق: عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، 1995

كـ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين الأفرنجي المصري (ت:711هـ):

(18) - "لسان العرب"، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ

كـ الأخطل، غيث بن غوث التغلبي:

(19) - "الديوان"، شرح مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:2: 1994

كـ الأصمعي، عبد الملك بن قريب (ت:216هـ):

(20) - "الأصمعيات"، تحقيق وشرح: سعدي ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1: 2004

- كـ الأعشى، ميمون بن قيس:
- (21) -"الديوان، دار بيروت، بيروت، 1980
- كـ الأعم الشنمري.
- (22) أشعار الشعراء الستة الجاهليين، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ
- كـ الألو سي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود البغدادي (ت:1270هـ):
- (23) -"روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، دار احياء التراث العربي، بيروت
- كـ الأمين، محمد العلوي الهرري:
- (24) -"حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن"، دار طوق النجاة، بيروت، ط1: 2001
- كـ الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (ت: 403هـ):
- (25) -"إعجاز القرآن"، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط4، بدون تاريخ
- كـ البحري، أبو عبادة:
- (26) -"الديوان"، تحقيق و شرح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ط3: 1963
- (27) -"الديوان"، دار صادر، دار بيروت، بيروت، 1962
- كـ البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت:256هـ):
- (28) -"الجامع الصحيح"، دار الشهاب، الجزائر، 1990
- كـ التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب (ت: 512هـ):
- (29) -"شرح ديوان عنتر"، تحقيق: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، 2004
- (30) -"شرح ديوان أبي تمام"، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف، القاهرة ط4
- كـ الثعالبي، أبو منصور عبد الملك النيسابوري (ت: 429هـ):
- (31) -"يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر"، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1983
- كـ الجاحظ، عمرو بن بحر (ت255هـ):

(32) - "الحيوان"، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، شركة مصطفى الباي الحلبي وأولاده، ط2: 1966

✍️ الجرجاني ، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان (ت:471هـ):

(33) - "دلائل الإعجاز"، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، مطبعة المدني، القاهرة، ط3: 1992

(34) - "أسرار البلاغة"، تحقيق: محمود شاكر، دار المدني-جدة، مطبعة المدني - مصر، ط2: 1989

✍️ الجندي ، علي :

(35) - " فن التشبيه " ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط2: 1966

✍️ الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت 393هـ):

(36) - "الصاحح"، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4: 1990

✍️ الحكيم الترمذي ، أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر (ت:320هـ):

(37) - "الأمثال من الكتاب والسنة"، تعليق: سليم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 2003

✍️ الحموي، ياقوت:

(38) - "معجم الأدباء"، دار الفكر، ط3: 1980

✍️ الخفاجي ، محمد عبد المنعم وآخرون:

(39) - "الأسلوبية والبيان العربي"، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1: 1992

✍️ الذهبي، محمد جلال:

(40) - "سماة البلاغة عند الشيخ عبد القاهر"، مطبعة الأمانة، مصر، ط2، بدون تاريخ

✍️ الرازي ، أبو بكر بن عبد القادر (ت: هـ)

(41) - "مختار الصحاح"، دار الحديث، القاهرة، 2004

✍️ الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر (ت:606 هـ):

(42) - "نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز"، تحقيق: سعد سليمان حمودة، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2003

(43) - "التفسير الكبير" أو "مفاتيح الغيب"، دار الفكر، بيروت، ط1: 1981

كـ الرمهرمزي، القاضي أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلّاد (ت:360هـ):

(44) - "أمثال الحديث"، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد الأعظمي، الدار السلفية، بومباي، الهند، ط1، 1983

كـ الرّماني، علي بن عيسى (ت386هـ):

(45) - "النكت في إيجاز القرآن"، ضمن: "ثلاث رسائل في إيجاز القرآن.."، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، بدون تاريخ

كـ الزمخشري، جار الله (ت538هـ):

(46) - "الكشاف"، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1: 1998، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض

(47) - "أساس البلاغة"، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1998

كـ الزوزني، أبو عبد الله الحسين:

(48) - "شرح المعلقات السبع"، مكتبة المعارف، بيروت، ط5: 1985

كـ السجلاسي، أبو محمد القاسم (المتوفى بعد سنة 700هـ على التراجيح):

(49) - "المنزعة البديع"، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، الزباط، المغرب، ط1: 1980

كـ السكّاني، أبو يعقوب (ت: 626هـ):

(50) - "مفتاح العلوم"، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2: 1987

كـ السيد، عز الدين علي:

(51) - "الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية"، دار اقرأ، بيروت، ط2: 1986

كـ السيد، شفيق:

(52) - "البحث البلاغي عند العرب"، دار الفكر العربي، مدينة نصر، مصر، ط2: 1996

كـ السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت:911هـ):

(53) - "الإتقان في علوم القرآن"، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط1: 2008

كـ الشنقيطي، أحمد بن الأمين:

(54) - "شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها"، تحقيق: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط3: 2007

كـ الصغاني، الحسن بن محمد بن الحسن (ت 650هـ):

(55) - "التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية" ، تحقيق: إبراهيم إسماعيل الأبياري ، دار الكتب، القاهرة، 1970

كـ العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر(ت:852هـ):

(56) - "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" ، اعتنى به: أبو قتيبة نظر محمد الفارياي ، دار طيبة ، الرياض ، م.ع السعودية، ط1: 2005

كـ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل(ت: 395هـ):

(57) - "الصناعتين" ، تحقيق : مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2: 1989

كـ العلوي، يحيى بن حمزة (ت:749هـ):

(58) - "الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز" ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية ، بيروت، ط1: 2002

كـ الفرزدق ، همام بن غالب:

(59) - "الديوان"، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت، ط1: 1983، شرح: إيليا الحاوي

كـ الفيروزابادي ، مجد الدين(ت817هـ):

(60) - "القاموس المحيط"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1980

كـ الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي المقري(ت 770هـ):

(61) - "المصباح المنير"، مكتبة لبنان، بيروت، 1987

كـ القزويني، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الخطيب (ت 739هـ):

(62) - "الإيضاح في علوم البلاغة" ، دار الكتب العلمية ، بيروت، بدون تاريخ

(63) - "الإيضاح في علوم البلاغة"، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 2003

(64) - "التلخيص" ، شرح عبد الرحمن البرقوقي ، دار الفكر العربي، ط2: 1932

المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد (ت:285 هـ):

(65) - "الكامل" ، تحقيق محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط3: 1997

المرزوقي ، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت:421 هـ):

(66) - "شرح ديوان الحماسة" ، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ، ط1: 1991

المصري ، ابن أبي الإصبع (ت:654 هـ):

(67) - "تحرير التّحجير" ، تحقيق: حنفي محمد شرف ، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،
الجمهورية العربية المتحدة

المطعني ، عبد العظيم:

(68) - "من قضايا البلاغة و النقد" ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1: 2002

(69) - "التشبيه والتمثيل" ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1 ، 2002

الهاشمي ، السيد أحمد:

(70) - "جواهر البلاغة" ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط4 ، 2009

(71) - "جواهر البلاغة" ، دار الفكر ، بيروت ، 2003

اليازجي ، ناصيف :

(72) - "العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب" ، دار الجيل بيروت ، دار نظير عبود ، بدون تاريخ

أبو الشيخ الأصهباني ، أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان (ت:369 هـ):

(73) - "الأمثال في الحديث النبوي" ، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد الأعظمي ، دار السلفية ، بومباي ، الهند ، ط1: 1982

أبو العتاهية:

(74) - "الديوان" ، دار بيروت ، بيروت ، 1986

أبو حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي (ت:745 هـ):

(75) - "البحر المحيط" ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمد معوض وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،

ط1: 1993

كعب أبو عبيدة، معمر بن المنثى (ت: 211هـ)

(76) - "مجاز القرآن"، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 2006

كعب أبو فراس الحمداني:

(77) - "الديوان"، دار بيروت، بيروت، 1986

كعب أبو موسى، محمد:

(78) - "البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري"، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ

(79) - "التصوير البياني"، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3: 1993

(80) - "مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني"، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1: 1998

كعب بودرع، عبد الرحمن:

(81) - "الإيجاز وبلاغة الإشارة في البيان النبوي"، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، ط1: 2009

كعب ذو الرمة:

(82) - "الديوان"، شرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1: 1995

كعب زايد، علي عشري:

(83) - "البلاغة العربية..."، مكتبة الآداب، القاهرة، ط4: 2004

كعب زنجير، محمد رفعت أحمد:

(84) - "التشبيه في مختارات البارودي - دراسة تحليلية" (رسالة دكتوراه)، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1415هـ-1995م

كعب زهير بن أبي سلمى:

(85) - "الديوان"، المكتبة الثقافية، بيروت، بدون تاريخ

كعب شعيب، ابن عبد الله:

(86) - "علم البيان"، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، بدون تاريخ

كـ شيخون ، سيد محمود:

(87) - "الإيضاح في التمثيل البلاغي"، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2006

كـ ضيف، شوقي:

(88) - "البلاغة تطور و تاريخ"، دار المعارف، مصر، 1965

كـ طبانة، بدوي :

(89) - "علم البيان"، دار الثقافة، بيروت، بدون تاريخ

(90) - "قدامة بن جعفر والنقد الأدبي"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3: 1969

كـ طرفة بن العبد:

(91) - "الديوان"، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3: 2002

كـ عبد التواب، صلاح الدين:

(92) - "الصورة الأدبية في القرآن الكريم"، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغان، مصر، ط1: 1995

كـ عتر ، نور الدين:

(93) - "في ظلال الحديث النبوي"، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2008

كـ عتيق ، عبد العزيز:

(94) - "علم البديع"، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1: 2006

(95) - "في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية، بيروت، بدون تاريخ.

(96) - "علم البيان"، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1: 2006

كـ عثمان ، عبد الفتاح:

(97) - "التشبيه والكناية"، مكتبة الشباب، مصر، 1993

كـ عطية ، مختار:

(98) - "علم البيان و بلاغة التشبيه"، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، 2004

كعب غريب علام، عبد العاطي:

(99) - "دراسات في البلاغة العربية"، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ليبيا، ط1: 1997

(100) - "البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفّاجي"، دار الجيل، بيروت، ط1: 1993

كعب فيود، عبد الفتاح:

(101) - "دراسات بلاغية"، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1 1998

كعب قدامة ابن جعفر، أبو الفرج (ت: 327هـ):

(102) - "نقد الشعر"، تحقيق: محمد عبد المنعم خفّاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ

(103) - "نقد النثر" (منسوب)، نشر: طه حسين وعبد الحميد العبادي، المكتبة العلمية، بيروت 1980

كعب قطب، السيد:

(104) - "التصوير الفني في القرآن"، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط16: 2002

كعب قيس بن الخطيم:

(105) - "الديوان"، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ

كعب قيس بن الملوّح:

(106) - "الديوان" برواية أبي بكر الوابي، تحقيق: يسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1999

كعب كثير عزة:

(107) - "الديوان"، شرح: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1971

كعب مرعي بن يوسف، الحنبلي (ت: 1033هـ):

(108) - "القول البديع"، تحقيق: محمد بن علي الصّامل، دار كنوز إشبيليا، م.ع.السعودية، ط1: 2004

كعب مسلم، ابن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ):

(109) - "صحيح مسلم"، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ

كعب مطلوب، أحمد:

- (110) - "معجم المصطلحات البلاغية و تطورها"، مكتبة لبنان، طبعة: 2000
- (111) - "عبد القاهر الجرجاني، بلاغته و نقده، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1 : 1973
- (112) - "البلاغة عند السكاكي"، مكتبة النهضة، بغداد، ط1: 1964
- هدارة ، محمد مصطفى:
- (113) - "علم البيان"، دار العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1: 1989
- يوسف ، حسني عبد الجليل:
- (114) - "التصوير البياني بين القدماء والمحدثين"، دار الافاق العربية، القاهرة، بدون تاريخ
- (115) "ديوان الهذليين"، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2: 1995

| | |
|-----|--|
| 7 | مقدمة |
| 2 | الفصل الأول |
| 2 | تشبيه التمثيل عند السابقين |
| 14 | أبو عبيدة |
| 18 | ابن قتيبة الدينوري |
| 20 | قدامة بن جعفر |
| 26 | أبو هلال العسكري |
| 31 | أبو بكر الباقلاني |
| 34 | ابن رشيح القيرواني |
| 41 | ابن سنان الحفّاجي |
| 46 | *ونذكر فيما يلي أهم نتائج الفصل المستخلصة: |
| 45 | الفصل الثاني |
| 45 | تشبيه التمثيل حقيقته ومعناه |
| 47 | ♦ حقيقة تشبيه التمثيل ومعناه: |
| 47 | *التمثيل في اللغة: |
| 52 | * التمثيل في الاصطلاح: |
| 52 | 1- اختلاف مذاهب العلماء في التمثيل: |
| 59 | 2- حقيقة التمثيل: |
| 63 | 3- صور التمثيل: |
| 65 | * تشبيه التمثيل: |
| 65 | 1- مفهومه: |
| 68 | 2- مواقعه: |
| 75 | ♦ بلاغة تشبيه التمثيل وأسراره: |
| 75 | * بلاغته وأسراره: |
| 79 | * نماذج تطبيقية من الكلام البليغ: |
| 79 | 1- من القرآن الكريم: |
| 85 | 2- من الحديث النبوي: |
| 89 | 3- من الشعر العربي: |
| 123 | الفصل الثالث |

الجوانب النظرية في تشبيه التمثيل من خلال كتابي "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني

123

93 ♦ حقيقة تشبيه التمثيل عند عبد القاهر:

93 * حقيقة التشبيه عند عبد القاهر:

98 * حقيقة التمثيل عند عبد القاهر:

98 1 - مفهوم التمثيل:

101 2 - مراتب التمثيل:

103 3 - أنواع وجه الشبه العقلي التمثيلي:

107 4 - التمثيل المركب:

114 5 - المماثلة والمثل والتمثيل:

115 6 - التمثيل الذي يكون مجازا:

117 ♦ الفروق بين التشبيه والاستعارة والتمثيل:

117 * الفروق بين التمثيل والتشبيه:

124 * الفروق بين التمثيل والاستعارة:

126 ♦ مواقع التمثيل وتأثيره في المعاني والنفوس:

126 * مواقع التمثيل وتأثيره:

129 * أسباب تأثير التمثيل:

133 ♦ تأثر عبد القاهر وتأثيره في بحث التمثيل:

133 * تأثر عبد القاهر بالسابقين:

135 * تأثيره فيمن جاءوا بعده:

189 الخاتمة

197 المصادر و المراجع

الملخص:

يعتبر تشبيه التمثيل أبلغ أنواع التشبيه؛ وذلك لما في وجهه من التفصيل الذي يحتاج إلى إمعان فكر، وتدقيق نظر، وهو أعظم أثرا في المعاني، يرفع قدرها، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها... فلا عجب أن يكثر في القرآن والسنة وكلام العرب كثرة لافتة؛ تدلّ على بلاغته وحسنه ورفعة شأنه...

وقد حفلت الدراسات القديمة بهذا الفنّ البديع لما تقدّم، وشُغِلَ البلاغيون ببيان حقيقته، ورسم حدوده، وإبراز أثره في المعاني والنفوس... واختلفت فيه المذاهب وتعددت.

ويعتبر عبد القاهر الجرجانيّ (ت: 471هـ) أبرز من درسوا فنّ تشبيه التمثيل؛ حيث أسهم - بجهود جبّارة - في رسم حدوده، وبيان أثره في المعاني والنفوس، وشرح أسباب تأثيره... وذلك في كتابيه الجليلين: "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز".

وتأتي هذه الدراسة لبيان أوليّة هذا الفنّ البديع في الموروث العربيّ، وبيان حقيقته ومعناه، وأثره في بلاغة الكلام، والتعريف بالأعلام الذين أسهموا بجهودهم في رفع دعائمه، وتفصيل القول في جهود عبد القاهر خاصّةً.

الكلمات المفتاحية:

البيان؛ الصورة البيانية؛ الخيال؛ التخيل؛ النظم؛ توحي معاني النحو؛ التشبيه؛ الاستعارة؛ التأثير في المتلقي؛ البلاغة.